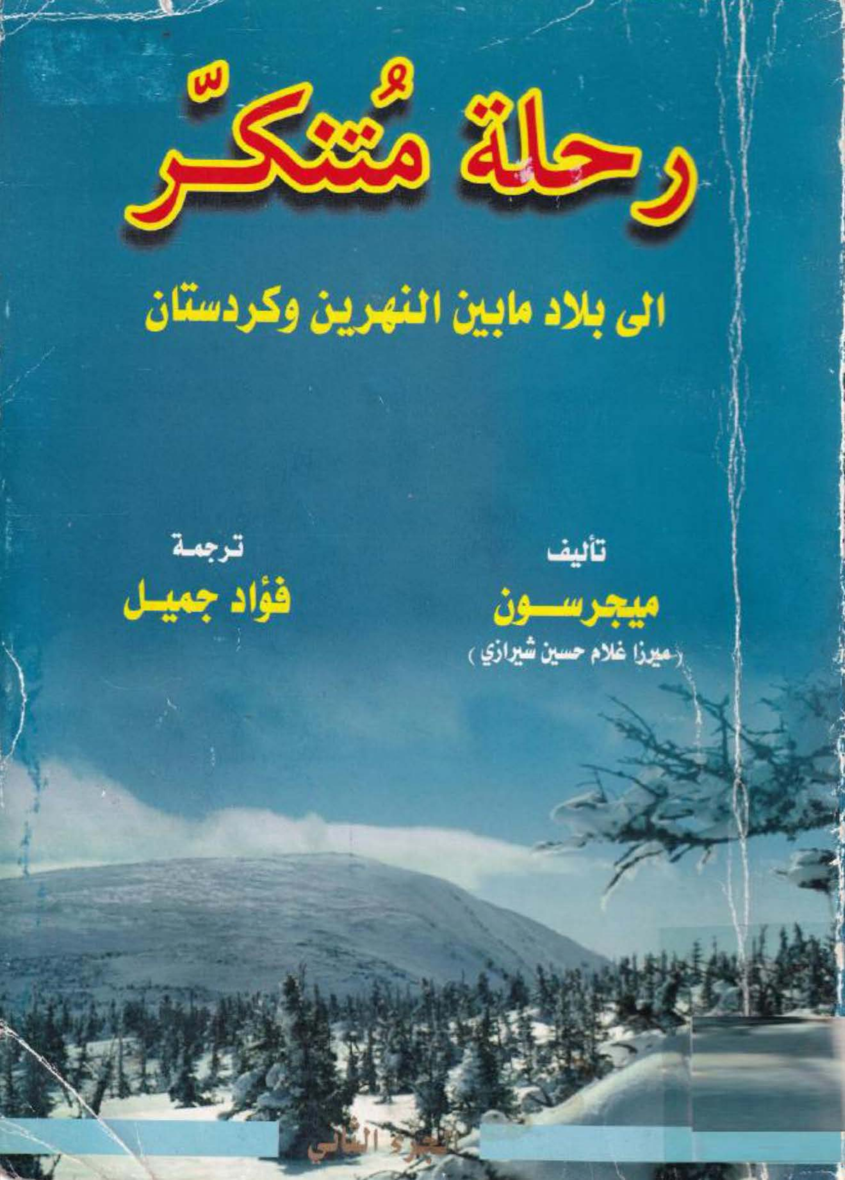

رحلة مُتنكّر
الى بلاد مابين النهرين وكردستان
تأليف
ميجرسون
(ميرزا غلام حسين شيرازي)
ترجمة
فؤاد جميل
الجزء الثاني

رحلة "متنكر" إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان

تأليف

سون

"ميرزا غلام حسين شيرازي"

نقله إلى العربية وحققه وقدم له وعلق عليه

فؤاد جميل

الجزء الثاني

من (السليمانية) الى (بغداد) ـ الاكراد ، قبائلهم وديارهم

الطبعة الاولى

١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م

١٤٠٠ / ١٣٩١ - ١٩٧١



الاهداء

الى روح (صلاح الدين الايوبي) البطل المؤمن المسلم . (العراقي ـ الكردى) و (المثل الاعلى الانساني) ... منقذ فلسطين من (العدوان الصليبي) :

وروح من صلاح الدين هبت
من الاجداث مقلقة الوساد !
تساءل هل اتت (دول ثمان)
ضخام ما اتاه على انفراد ؟!

«وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بأذن ربهم تحيتهم فيها سلام» .

ومن اصدق من الله حديثا

ف.ج



مقدمة (المترجم) التصديرية

لـ (الجزء الثاني) من (الكتاب)

لامعدى عن (كلمة شكر) تزجى الى كل من اقتنى (الجزء الاول) من (كتابي المترجم) هذا ، وتقبله قبولا حسنا ، اذ وجد فيه كتابا ،قيما قويما، وفي بابه بدعاء لقد نفدت نسخه المطبوعة في ثلاثة اشهر ، او زد عليها قليلا، ولا فخر، ذلك (ان الفخر فرع من العجب !) اعتيادا ·

لهذه (السلسلة) من (الامهات المترجمة) المتصلة بعراقنا الغالي الحبيب، التي اطالع بها قرائي الكرام الاعزة ، بين الفينة والفينة ، (قصة) تبدأ بايام الطلب في (الجامعة) ذلك اني اخذت استقصي ، منذ سني كينونتي فيها، كل ما هو منشور او غميس (*) ، نادر ونفيس من الكتب التي حررها ثقات اثبات ،واخص منهم بالذكر من حرر، عن كثب، وكان شاهد عيان ، فاقبل على دراسة واعية مستوعبة مستأنية فاشبع بذلك نهمة عقلية، فان وجدته ـ بعد ذلك ـ خليقا بان ينقل الى العربية ادرجته في (ثبت) وبت اترقب الفرصة السانحة · ثم اني شمرت عن ساعد الجد فاخذت انقل تباعا الى العربية منها ما فيه، بالتحقيق فائدة ومتعة ، مشفوعا بتعليق ومقدمة ، وها انذا جعلت في (المكتبة العراقية ـ العربية) من الكتب المترجمة ما عدتها تزيد على ١٥ كتابا ، وما بقي منها في (ثبت الغابرات) (**) اكثر مما نشر ومضى · ومن هذه الكتب اسفار كانت غائبة تحت اعفار (خزانات الكتب) فاصبحت على طرف الثمام من ايدي قرائي الكرام الاعزة · ان جل ما صدر ،كما احسب، ينيرجوانب ذوات خطر من تاريخ (عراقنا الغالي الحبيب) وستمضي البقيه الباقية في تحقيق (الغاية) التي استهدفتها، واعني بها : التوعية الوطنية ـ القومية المنهجية المدروسة المرتكنة الى حقائق تاريخية

(*) آثرتها ترجمة لتعبير (غير منشور Unpublished) بكلمة واحدة داله على معنى خير من كلمتين ·

(**) اي : ثبت الكتب الباقية، والغابرين مفردة قرآنية شريفه وردت في الآيه الكريمة (الا عجوزا في الغابرين) ·

ممحصة تفسر (حاضرنا) في ضوء (ماضينا) وتلقي علــى (مســـتقبلنا) ضـــوءا كاشـــفا .

● ● ●

قلناها، ونقولها كرة اخرى : ان مثلنا الاعلى في الترجمة هـــو الاعتصام بالامانة الصارمة في اداء المعاني الواردة في (الكتاب الاصل) بعد احلالها في المباني السليمة في (الكتاب المترجم). اني لا اؤمــن ، قطعا ، بالترجمة التي تستهدف النقل الحرفي البليد ، وبالنسبة للكتـــب المترجمة ذوات المسحة الادبية خصيصا، لذلك غلبت هذه (المسحة) عــلى كتبي المترجمة ، فاصبحت تقرأ من قبل الكثرة الكاثرة في غير ســـآمة ولا ملالة، وتحقق لهم المتعة العقلية ـ الروحية. ان هذا ليفسر لم تحفل نصوص كتبي المترجمة بالآيات القرآنية والابيات الشعرية والاقـــوال المأثورة وما اليها .

وساعرض على قارئي الكريم كيف يريد المتمسكون بالترجمـــة الحرفية البليدة أن تكون الترجمه عليه وكيف نسلك نحن في ترجمتنـــا التاليه. فعبارة Rain slanted perpetually مثلا يريد هـؤلاء الناس ـ سامحهم الله ـ ان تترجم ب (والمطر انحدر بصورة دائمية) امـا نحن فلانجد ادق وابلغ وآنق ترجمة لها من الآية القرآنية الكريمة (وفتحت ابواب السماء بماء منهمر). واصحاب الترجمة الحرفية البليدة يرون ان تترجم عبارة كهـذه . At early dawn, we left on our journey بعبارة من هذا القبيل (وتركنا ونحن في رحلتنا عند اوائـل الفـــجر) اما نحن فنترجمها :

(وفصلنا راحلين في غرة الفجر والعصفور لم يطر !) ولاتنـــس ان (فصل) من المفردات القرآنية الشريفة وان الصورة التي يرسمها شطر البيت: (في غرة الفجر والعصفور لم يطر) للفجر الوليد ابلغ وآنق وامتع . وهـذا يستتبع أن تصطفى لبنائها اللغوى المفردات الفصيحة الدالة على المعنــى بدقة، الرقيقة المترفة الانيقة. وفي صميم اسلوبي في الترجمة اصطنـاع المفردات القرآنية الشريفة . فالفاظ القرآن هي الدر المكنون المنتقى مـــن بحر العربية، أم اللغى ولسان الذكر المبين، ولغتنا الكريمة هذه زاخـرة بالمفردات الفصاح المونقات كما يزخر البحر وفي قاعة اللآلىء لمن اســتطاع الغوص اليها. وشد ما اضحكني، بهذا الصدد، (وشر البلية مـا يضحك) ان يعترض علي (صديق) مستنكرا استعمالي مفردة (اليحموم) بدلا عــن (الدخان)، ولعله لم يدر ان (اليحموم) من نطق القرآن الكريم، ومعنـــى المفردة الدقيق ليس هو معنى (الدخان) على الوجه الدقيق، على تقارب في المعنيين، وعلى ما تفصله كتب (فقه اللغة) جميعا .

حقا لقد بعدت الشقة بين الناطقين بالعربية اليوم وبين المفردات العربية الصحاح الفصاح التي تزخر بها معاجيم اللغة، فغدت، لديهم ، على لطافة جرسها ودقة معانيها (غير مانوسة)، وليس هذا من شاني في شيء فانا اتصيد المفردة العربية الدالة على المعنى الانكليزي في الترجمة، واعمد الى شرحها في (هامش الكتاب) ارادة الفائدة للقارىء الناشىء المستفيد ،والطلعة المستزيد • هذا هو السبب ، عينه ، (ولا علي ان يعترض المعترضون) في ان (حواشي الكتاب) حفلت بشروح مفردات ، الى تعليقات وتصويبات ، واضافات ، يقتضيها السياق ، واذا عرف السبب ، كما قيل ، بطل العجب !

● ● ●

و (المسحة الثانية) التي اسعى الى ان تتسم بها كتبي المترجمة ـ ومنها (الكتاب) الذي تحمله بيمينك ـ ايها القارىء الكريم ـ هي (المسحة التحقيقية) • صحيح ان مؤلفيها هم، في الاغلب الاعم، من المطلعين الدراس الثقات الأثبات ، وكل منهم في ميدان اختصاصه • وان (ميجر سون) ـ مؤلف هذا (الكتاب) قد اوتي حظا عظيما من دقة البصر ونفاذ البصيرة وحدة الذكاء وسداد الرأي والتحليل• لكنه بشر وقد وجدت عنده لسانا ذربا، عبر غنهفلمه، يسابق عقله فيسبقه، يلبس الحق بالباطل حينا، ويجري وراء اراء غريبه عجيبة بادية مقاتلها احيانا، لذلك وجب علي، باعتدادي (المترجم) ، عند وقوفي على مثل هذا ، الا ادع (كتابي المترجم) يكون وسيلة لاشاعة خطأ واهم وغلط قبيح ورد في (الكتاب الاصل) • قلت ان (المؤلف) بشر، و(المترجم) بشر ايضا، ولابد ان يوجد في صنيع كل بشر خطأ او نقص أو اهمال ، والله تعالى هو المنزه عن ذلك كله كشأن (كتابه) المحكم العزيز ، اذ قال عز من قائل (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كبيرا) • ثم لتتذكر هذه (القلة) من الذين كانت لهم اراء وملاحظات في هذا الشان : انني، بالتحقيق، لست بمبتدع ، كما انني لست بمتبع ايضا • انه ديدن المترجمين البارعين . ذوي الشان ، في الشرق والغرب • هذا واني لاتوجه الى (نقادي) الموضوعيين بالحمد ، اصدقه واصفاه ، وبالشكر اوفره واوفاه ، لاغتنامهم اياي فرصة الرد على نقدهم ما دمنا نهدف جميعا الى التجويد في معاني وفي الذي ذكرناه مجزاة عن كل اطالة •

● ● ●

واخيرا ••• حين اعلنت عن صدور (الجزء الثاني) من (كتابي المترجم) هذا ، بعد صدور (الجزء الاول) منه وشيكا، كنت التزمت بذلك باعتداده (وعدا ادبيا) ـ وهو التزام يحرص المدرك لتبعته الادبية

على الايفاء به، لكنه تاخر وقد يكون بعض المتلهفين اليه قد شعر، لذلك، بشيء من مرارة وامتعاض ... ولكني اذكر هذا (البعض) بقول الشاعر :

(ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لاتشتهي السفن !)

ولا يدرك اسباب تاخير (كتابنا) الا كل من دفع بكتاب الى المطبعة في العراق ، وسرعان ما وجد نفسه في لجة (مشكلات) يتخبط فيها ، وصدق الشاعر ، حين قال كرة اخرى :

(لايعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها)

لكن .. لابد لمن زرع ، وكد ونصب ، من ان يحصـــد (وكل زرع اذا ما هاج محصود) . ولا معدى لمن يتصدى الى الانتاج الفكري ـ علـــى اختلاف اوجهه ، ان تكون جرأته على العمل تعدل جرأته على القول وان يكون ايمانه بـ (رسالته) عميقا راسخا ، وعزمه موطدا ثابتا ، ومسيره في تبليغها حثيثا دائبا ، وقد يكون (امره) ميسرا حينا ، وقد يكـــون معسرا احيانا (ولا يكلف الله نفسا الا وسعها) ومنه تعالى البدء واليـــه الرجعى . وله الحمد وحسن الثنا .

بغـداد

فؤاد جميل

الفصل الثاني عشر

الحياة في السليمانية[1]

وجاء (متي) في اليوم التالي (في غرة الفجر والعصفور لم يطر !) ، وبالاستعانة بالحمالين أخرجنا البضاعة ووضعناها في البيت الجديد ، حيث كان هناك اثنان و ثلاثة من المشترين بانتظارها • لقد اختار هؤلاء جلود ال (رون ـ الدهن) التي يرغبون فيها ، وما ان عيّن الثمن اخيرا ، وقد جاد عليّ بربح مقداره نحو ٢٥ بالمئة ، الا اتخذنا السبيل الى دكان احدهم لوزن البضاعة على يد وزّان عام • وعندما وصلنا الدكان لم يكن هذا (المأمور) قد جاء بعد ، لذلك اتخذت مجلسي عاليا في دكان البقال ، فوق الزبيب واللوز والجوز والبهار ، وهو ما كان يبيعه ، واخذت ادخن ، وهو يستمع ويحاول التحدث معي باللغة الفارسية ، وما كان يعرف منها الا القليل • كان سرًا ، بالنسبة اليّ : كيف يستطيع بقال ان يكنز مالا !؟

---

(١) كان مركز سطوة الاسرة البابانية (قلعة جولان) ، ولا تزال اخربتها تشاهد اليوم ، على الضفة الشمالية من نهر يحمل الاسم نفسه ، واقع تحت قرية جوازته ، مركز قضاء شهربازار الحالي •

ونقل ابراهيم باشا (١٧٨٣) عاصمته الى مكان يبعد بنحو ١٢ ميلا الى الشمال ـ الغربي ، عبر سلسلة ازمر ، هو (قرية مالكندى) ، بنى مدينة جديدة ، حملت اسم (سليماني) على اسم (باشا بغداد) • وهناك تواتر كردي بلدي يذهب الى ان الموقع هو موقع (سليماني) القديمة التي بناها (بابا سليمان) • ويعيّن (ريچ Rich :) تاريخ بناء (سليماني) الثانية سنة (١١٩٩هـ ـ ١٧٨٥ للميلاد) •

راجع :

Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, pp. 53 - 54.

(المترجم)

ولما اصبحت ، الآن ، بالجملة تاجرا ، وفي بضاعة يبيعها بالمفرد ، فلقد تبينت الامر ، وقد كان في تيانه صريحا . وما كان ميزانه من اصح الانواع اولا ، وعندما يزن كان يترك في كفته الملعقة الخشب الثقيلة التي يلعق الدهن بها ، ان استطاع الى ذلك سبيلا . ولو طلبت كمية كبيرة فتكون المساومة على السعر ، ولعل المشتري يستطيع الشراء بوزن معقول ، لكن المشتري الصغير ، الذي يأتي الى ابتياع كميات صغيرة ، كان يُخدع دوما ، وذلك اما عن طريق احتساب السعر ، ولعله لن يستطيع هو احتسابه ، أو بالكمية الناقصة التي تُعطى له .

وعلى ذلك ، فبثلاث (شاهيات) ، أو بما يساوي قرانا يشتري لوزا ، وهو الذي يسلمه البقال الى المشتري بواسطة ملعقة طويلة ، يستطيع ان يصل بها الى ابعد الاحواض من دون ان يتطلب ذلك حركة منه . وليس من شيء في جميع دكاكين كردستان ما هو ملفوف ، فيما خلا ما يشاهد لدى باعة العقاقير والبهار ، وعلى ذلك تصبح الكفية ، بسبب من هذه العادة ، جزءا ضروريا من لباس الرجل . ولكي يستبيع المرء في السوق فانه يتخذ السبيل اليها ومعه ثلاث كفيات ، في الاقل ، ان اراد ان يتجنب اختلاط التمر باللحم والفاكهة .

وعثر (حمه) على وزان اخيرا . وقد مثل هذا ومعه (قبان) ضخم مستند الى عمود طويل . ولحمله استُدعي حمالان ، جعل كل واحد منهما احدى نهايتيه على كتفه . وكانت الاوزان تثبت في دفتر صغير ، وتوضع تحتها اسامي المشترين والبائعين والمواد . ثم اننا اعددنا الحساب ، وما ان دفعنا اجر الوزن ، مناصفة ، الا جلسنا نعد ١٢٠٠ من القرانات ، وكل قطعة تعد في هذا المبلغ ذات قرانين ، انها عملية استغرقت نصف ساعة ، وبضمنها فحص العملة الرديئة والمتهشمة . وما ان تم ذلك الا افترقنا وعلى كل منا مظاهر التقدير ، وقد صُر المال في الكفية التي هي

ضرورية دوما • واودعنا المبلغ لدى (متي) ، فادار عليه القفل في (قاصة) مع بقية نقودي ، ثم ارسلنا نطلب (كبابا)[٢] ـ وهو مزيج من اللحم المشوي على الفحم ـ وبه ، وبالخبز ، تناولنا ما يسمى بـ « غداء التاجر » • وامضيت العصر كله جالسا خارج (المكتب) اتعرّف ما حولي من التجار الاكراد •

وكان احدهم (حمه علي) يتكلم الفارسية جيدا جدا ، كما كان من ذهابه الى (كاشان) ، في فارس ، فخورا مزهوا • لقد حاول ان يتاجر فيها بازاء حلقة من التجار الفرس فلم يُصبْ في ذلك نجحا • وعلى حين كان ينهال على حذقهم التجاري لنا ، كان يكيل لاخلاقهم الفاضلة وقراهم السني المذهب حمدا ، ذلك ان سُنيّا يقيم بين ظهراني الشيعة الفرس لا ينال الا كرها (كذا : المترجم) •

وكان العشاء شيئا مقتصدا ، ذلك انه كان يتألف من التمن المغلي ، واللحم وخيارة أو خيارتين ، جاءت بهما من السوق (سيدة البيت العجوز) تسعى • وبعد ساعة من تناول الطعام ، اضطجعت على حجارة الباحة ، لانها كانت ابرد مكان ، كما ان الليالي كانت تخنق الانسان خنقا •

« مدير الناحية »

واتاني ، طلوع الشمس ، (مصطفى بك) الهرم أو : (مدير افندي) ، رفيقي في (الخان) لدى وصولي السليمانية ، أول مرة • لقد ابدى فرحا اصيلا برؤيتي مرة أخرى ، ولبث ساعة ، أو ساعتين ، يحتسي شاي التصبّح • كان يشكو ، على عادته ، من انعدام وظيفة له ، اذ لم يتسن له ان يشغلها ، ويلعن الحظ العاثر الذي جاء به من طرابلس ، في افريقية ، الى السليمانية • لم يتعلم الكردية ، ولم يعثر على أصدقاء

---

(٢) الـ (كباب) كلمة فارسية الاصل ويعني اللحم القديد المشوي ، والكباب في العربية : الطباهج • [المترجم]

جدد ، وامضي الوقت كله على غرار ما فعل آنفا ، يزور الرسميين الاتراك ، ويجلس في المقهى ، ويتناول طعامه في (بيت الشيوخ) دوما . وكانت اصابعه البيض ، وقد احسن الحفاظ عليها ، ترتعش كثيرا ، بحيث يتعذّر عليه ان يخيط في رداء زرا ؛ وانه كان يُمضي به دؤوبا .

كما ان زهوه ، الذي جعله محترما نظيفا ، كان يلزمه على الاستيقاظ ليلا وغسل ملابسه الخاصة في حوض (الخان) ، لئلا يراه أحد يقوم بمثل هذا ، كما لم يكن لديه بديل عن لباسه حقا .

كان ، الى حدّ ما ، بخيلا ، وهو ما اكتشفته شخصيا . ذلك انه كان يمتلك نقدا يستطيع ان يشتري به من الثياب ما هو اكثر . واخيرا حصلت على موافقته على شراء المادة اللازمة لقميص وسروال آخرين ، وعلى ذلك اتّخذنا الى السوق سبيلنا . لقد كانت (بدلتي) ، في هاتيك الايام ، سبباً فيما حصلت عليه من احترام الآخرين في (المدينة) ، ولعلّها كانت تقلّل من قيمتي في نفسي أيضاً .

كنت ارتدي (منامة : بجامة) قديمة تحت القباء الذي اتخذته في كركوك لباسا . وان عباءة جيدة ، كنت ارتديها فوق ذلك كله ، جادت عليّ بمظهر خاص ، ولعل هذا المظهر اعتدّه اهل السليمانية مظهرا رفيعا .

وصرفنا في السوق وقتا طويلا ، قبل ان يقرّر الرجل الهرم نوع القماش القطني الابيض الذي يروم شراءه ، وقد اثار ذلك بين ارباب الدكاكين استغرابا عظيما . ذلك انهم كانوا يريدون ان يعرفوا لمن سيكون الحظ في هذا ، كما انه جعل نفسه ملحوظا بزهوه ، وبصوته العالي ، ناطقا بعربية تختلف لهجتها عن اللهجة البغدادية ، وهي اللهجة العربية الوحيدة المعروفة في السليمانية . وعلى ذلك ، وبينا كان يقوم بالمساومة ، قبلت دعوة أحد أرباب الدكاكين الاكراد ، على الجانب المقابل من الزقاق ،

وشاركته في تدخين (سيكارة) وصرفت عنان القول الى الرد على اسئلته ، لـقراه ردا •

لقد انس الهرم الصخاب نوعماً ، شأنه كشأن الآخرين ، وان جهله للغتهم الكردية جعلهم يتواطأون على القيام بمساومة صعبة ، ذلك انه كان يحمل امارة الاتراك ، وعلى ذلك كان يتقزز منه •

وايا كان الأمر ، لقد اتمّ ما أراد ان يشتري أخيرا ، فعدنا الى البيت ورتّبنا مع خياطة وجدتها لنا (باجي ريحان) ، عجوز البيت • لقد رتبنا مع هذه البنت الغاوية ، وقد اقامت عمامتها الكبيرة على احدى عينيها ، خياطة القمصان بمبلغ تسعة « بيجوات » ، أو ما يعادل نحو تسعة بنسات • ولما كان الظهر قد حلّ الآن ، فلقد تغدّينا في الرواق الاعلى ، ثم غادر « الهرم » الى (الخان) • اما أنا فلقد أضطجعت ، على عادة البلاد ، لمدة ساعة أو ساعتين •

لقد كنت امضي الصباح والعصر في مكتب (متي) ، مثرثرا مع التجار العاطلين ، ذلك ان (الهماوند) كانوا قطعوا الطريق ، فتوقف العمل • كان (حبيب بدرية) يعتد اكثر تقدمية من بين أهل الموصل النصارى ، وكامارة على هذه الحقيقة ، نبذ العمامة النصرانية وارتدى الطربوش الـ (فيز) ، كما كان يكثر من التحدث عن اوربة ، ويطيل البحث في احتمال عيشه في باريس ، وهو هدف (رغباته) وغايتها • وبعد هنيهة اظهر اهتماما كبيراً بالشؤون البلدية ، واطال القول بشأن عربات التراب الآلية ، والمجاري التحتانية ، وما جرى مجرى ذلك مما لم يحلم به في السليمانية ابدا ، حتى سمع مني خبرها شخصيا • وكان من الصعب ان يقنع بان لندن أكبر من باريس ، كما كان يعتقد ان ليس من الكياسة في شيء ان يلمّح الى مثل هذا ، ومن الجلي انه عفا عني بصدد مبالغتي في شأن (امة) انا من رعاياها ، ذلك انني ، على الرغم من انني معروف

في فارس باسم (غلام حسين) ، عنيت باذاعة الحقيقة القائلة بأني من الرعايا البريطانيين ، وذلك بغية تجنّب الازعاج على يد الاتراك •

وكان (مصطفى بك) معتادا على تجنّب النصارى ، وان كان لهم وليا حميما ، ويرى ان الجلوس بينهم لا يليق بكرامته كليا • لقد تحاجج معي في هذا الموضوع ، لكنه كبح جماح نفسه لأنه لحظ ، وهو يتمسّح ، ولا اعتقد ذلك كان على سبيل الهرطقة : « حسنا ! حسنا ! انك تقيم صلاتك كمسلم صالح ، فلقد شهدتك تفعل مرات عديدة ، ما الضرر ، اذن ، ان اولم لك ، كافر ، وليمة !؟ » •

وكان « الهرم » يأتي كل صباح لتدخين السكائر واحتساء الشاي ، وخطر لي ، ذات مرة ، ان اسأله ان كان أحد معارفه الاتراك يرغب في شراء مسدس من طراز (موزر) كنت املكه • وفحص السلاح ، ولما خلبه مظهره النظيف وعد بان يبذل افضل ما يستطيع • وعاد فيما بعد الظهر ، وبعد الاعتذار عن القدوم في ساعة غير مناسبة ، قال : انه لم يستطع العثور على من يشتري مسدسي ، لكنه عثر على صديق جديد لي • ثم مضى يصف كيف وسّع من شأن مزاياي ومعرفتي الفارسية والفرنسية لدى (المدير) ، أو (مدير المدرسة العسكرية في السليمانية) ، وهي مدرسة كانت تديرها الحكومة ويختلف اليها ابناء الموظفين الاتراك في السليمانية ، وقليل من الاكراد المستخدمين في الحكومة المحلية • وكان مصطفى بك جدّ مشوق الى مقابلتي هذا الشخص ، والحّ عليّ بان اصحبه الى (المدرسة) حيث يعيش (المدير) طوال يومه ، وذلك على الرغم من ان الدروس انتهت عند الساعة الـ ١١ صباحا في مثل هذا الطقس الحار ، وانها بدأت عند الساعة السادسة صباحا •

وكانت المدرسة[٣] في مشارف المدينة يحيط بها سور عال • ونصفها بستان مونق ، وبقيتها ملعب ، وذلك على حين لا تعدو (البناية) صفا من الحجرات المهملة كائنة على طول جدار واحد • والمفروض ان الثقافة الاوربية ، واسلوب تربيتها هي التي يتلقاها الطلاب • والبيّنة عليها : حاجز سامق يدل على تمارين (جمناستيكية) لم يقم بها احد في يوم من الايام • وكانت على الابواب كلمات (الصف الاول) و (الصف الثاني) و (الصف الثالث) و (الصف الرابع) و (الصف الخامس) • وعند حافة أرض البستان خزان ماء صاف وسيع ، وفوقه ظلّة من الاغصان مكوّنة ما يسميه الاكراد بـ (جرداغ)[٤] • وعلى اريكة عالية كان (المدير افندي) جالساء انه رجل صغير الجرم وبدين ، تزدان بزّته بالنجوم اللازمة وبسراويل مخططة ، انه أحد أبناء مدينة سيواس المغمورين الذين لا يتكلّمون الا لغتهم الخاصة ، لو استثنيا قلة من الكلمات الفرنسية • وكان يجلس بقربه رجل أصغر منه سنا ، مقتعدا كرسيا ، لاعبا بسيفه ، وقد قدّم اليّ بوصفه (المعلم الثاني) ، أو (الآمر الثاني) في المدرسة • ان تحصيله اللغوي يضمّ معلومات قليلة من الفارسية والعربية ، ومعلومات طيبة عن الكردية ، ذلك انه من أهل منطقة كركوك نفسها • وتلقاني المدير لقاء اكبار حسنا ، ولم يتورّع ، على كل حال ، من العادة التركية في اظهار تساؤل تحر طاغ يتصل بجنسيتي ، وسبب قدومي الى السليمانية ، وما انا فيها فاعل ، وعن كل شيء آخر خطر له ان يجعل منه سؤالا يوجهه لي • ومهما يكن الامر ، جعل (مصطفى بك) تحرياته رأسمالا واهتبل منها فرصة

---

(٣) زيارة (المؤلف) ـ ومهمته في (الرحلة) غير خافية للمدرسة العسكرية واتصاله بضباطها تلقي ضوءاً على براعته في تحقيق تلكم المهمة • (المترجم)

(٤) فارسية النجار من (چار) اي اربعة و (داغ) اي عمود • (المترجم)

تاه خلالها بمنجزاتي مضيفا ، كدليل نهائي ، أني عشت سنوات عديدة في لندن ، واني شهدت (بومبي) ، و (اصطنبول) و (طهران) . ان هذه الصفات مكنتني من مقام مرموق توا ، وما ان اجبت عن اسئلة بعض معلمي المدرسة حالا ، وهي اسئلة تتعلق بعدة السكان في لندن وباريس وقوة الجيش البريطاني ، الا غدوت لهم وليا حميما عظيما . ولم يتقرب الرجل ذو الجرم الصغير من (اصطنبول) بأكثر من (ازمير) . وعلى غرار جميع الاتراك الذين يعانون من طقس كردستان ، وهو غير طبيعي بالنسبة اليهم ، كان يشكو من وجوده هنا . حسن منه ان يهنؤني على معرفتي الكردية ، وهو (لسان) صرح بانه غير قادر على ان يتعلمه أبداً ، ورجاني ان اعلمه الفارسية والفرنسية . وباعتداده عسكريا كان ينصرف بافكاره الى القضايا العسكرية ، وسرعان ما انصبت اسئلته ، ودارت حولها . لم يستطع ان يدرك كيف تتماسك دولة مثل انكلترة من غير (الخدمة العسكرية الالزامية) ، وابدى تعجبا شديدا كيف افلت انا منها . ومما حيره أكثر من أي شيء آخر ، ان أي رجل في تركية لا يستطيع ، من غير اكمال الخدمة العسكرية ، حمل « تذكرته » ، وهي وثيقة يجب على كل فرد استعمالها ، ومن غيرها يصبح المواطن مدار ريب وازعاج . لم يستطع ان يتبين كيف يستطيع أحد الرعايا البريطانيين الحصول عليها ، وهو غير خاضع لهذه (الخدمة) عينها . لقد كان يأسو من نظام يقضي بالا يمنح أحد الرعايا (جواز سفر) الا لدى سفره في بلاد أجنبية معينة ، ويعتد ان فقدان السيطرة على الفرد سبب حيوي من أسباب شيوع الحال الفوضى واندلاع الثورة . وبعد المشاركة في احتساء الشاي ، وتدخين بعض سكائر (الانحصار : الريجي Regie) ، وقد اخرجها اكراماً لي ، تقدمنا باعتذاراتنا ورجونا ان « نعذر » ، ويسمح لنا بالانصراف . وبينا انا بسبيل ذلك ، وردت مذكرة من (حمه) ، وكان

آنئذ في حلبجة ، دفعني محتواها على النزول للبحث عن (متي) ، وقد عثرت عليه في السوق •

معاملات تجارية

كان (حمه) قد سافر الى حلبجة بعُيد مجيىء الى السليمانية ، وذلك بغية تسلّم شحنة كبيرة من الدهْن الـ (رون) كنت تعاقدت على شرائها • ان المعاملة مما تتبع على وجه واف كاف في هذه الارجاء ، اذ بضمان من (منصور النصراني) كنت سلّفت المدعو (مخا) ، وهو يهودي ، (ذو اشرس رأس أحمر رأيته في حياتي) ، ليذهب الى الجادّات والازقة في كردستان ، ويشتري من الاكراد تدريجيا • انهم يخزنون الدهن النفيس ابان اعداده ، على ترقّب للشاري • لذا ، ما ان وصلت السليمانية الا وجب عليّ ان اعيد (حمه) ؛ ذلك ان الوقت كان يتقرّب من موعد عودة ذلكم (اليهودي) ، وعلى الرجل صاحبي ان يكون هناك لتسلّم البضاعة واعداد أمر النقل • ومهما يكن الامر ، لم يكن (حمه) يستسيغ فكرة الذهاب الى حلبجة ، صفر اليدين • وعلى غرار جميع الاكراد الذين اتصلوا بالتجارة كان حريصا على القيام بتجربة • وعلى ذلك ، واثر مشاورة مع (متي) و (حبيب بدرية) ـ والاول منهما لم يكن يحبّذ الفكرة ـ قُضي الامر على أساس أخذه حملا من الاحذية ، وأشياء اخر ، لتباع الى أصحاب الدكاكين في حلبجة • وعلى ذلك ، وقبل ان يرحل ، اتخذنا السبيل الى سوق صانعي الاحذية • انه لشارع طويل ذو سقائف عميقة وسيعة تقوم على جانبيه ، وهي مشغولة بصانعي الاحذية كليا • والاحذية هذه على ثلاثة طُرُز : حذاء من جلد أحمر معقوف من الناحية المدبّبة ، وحذاء أسود من النوع نفسه ، وحذاء نسائي ، هو في الحق نعل ليس فيه الا غطاء الاصابع زيّن بخرزات من فولاذ ، عالي الكعب ، ويضاف هذا بعد ان يتمّ شراؤه حقا • ان الذي يقوم بذلك هو رجل مهنته هذا الجانب من صنع الاحذية حصرا •

واتخذنا ها هنا ، في أحد الكاكين ، مقاعدنا ، وانتظرنا وصاحب الدكان يجمع من جيرانه ومما لديه كمية كافية من الاحذية . ولكي يقلل من النزاع الى حدّ ما ، استُدعي نصراني ، ولما كان هذا من غير ديننا ، لذا يصحّ الفرض انه كان في منجاة من التحيّز ، بالمحاباة أو المادلة ، بالنسبة الى أي واحد منا . ولما كان لزاما ان يساوم على كل زوج من الاحذية ، على حدة ، لذلك استغرقت العملية ، من الوقت مدّة . كما ان العادة تقضي بمراعاة بعض (الشكليات) المقررة . فالمالك يذكر ، أولا ، سعراً خياليا ، واقتصادا في الوقت كان المالكون الآخرون يرفعون عقيرتهم ، بدلا من الحجاج ، قائلين : (انزلوا !) ثم يكرّرون ذلك ، حتى يبلغ السعر الحقيقي تقريبا ، وعندها يتقدّم (المحكّم) ، وبعد نقاش صغير ، يحسم السعر على منتصف الطريق بين رقمي المشترين والبائعين تقريبا ، وعلى الطرفين قبول ذلك لزاما . وعن هذا السبيل ، وفي غضون خمس ساعات ، ابتعنا نحو ٥٠ زوجا من الاحذية ، وما ان دفعنا أثمانها ، الاّ حملها (حمه) في كيس جميعا . لقد كانت بضاعته تتألف منها ، ومن نماذج من ورق السكاير ، ونحو ١٢ سُبْحة ، ورحل في اليوم التالي والصبح يتنفس وتعالى سقسقة العصافير وصياح الديكة !

معارف كلدان

وتسلّمت ، الآن ، منه رسالة ، ومن (منصور) مثلها . يقول الاول منهما : انه اصاب في بيع الاحذية نجحا ، وهو على الرغم من انه لم يكن عظيما ، الاّ انه كان مرضيا ، ويسعى الكاتب الى تفسير السبب في عدم عودة اليهودي (مخا) مع الدهن من (جوانرو) . وكان (متي) يميل الى استنكار مجهوداتي ، ولعلّه كان يسعى الى تثبيط مسعاي ، لأنه يعلم اني لم أكن تاجرا خبيرا ولسان حاله : (فسل خبيراً به يُنبيك بالخبر !) . على حين كان (حبيب) حريصا جدّا على ان اقوم بفتح مكتب في (خانه) ، وكان

يؤيده في هذا المدعو (انطوان) ، وهو تاجر في السليمانية منذ عشرين سنة ، وقد سبق له ان افلس مرتين خلال هذه المدة وهذه سمة من سمات التجارة الشرقية التي قد تكون في الاحيان مسببة عن الحذق والحصافة ، لا عن العجز التجاري وعدم الكفاءة . وكان (انطوان) شاريا لبضاعة بعض تجار بغداد والموصل ، وعندما عرفته كان يبتاع (كثيرات الصمغ : tragacanth) . واليوم أنا راغب تماما في شراء الكثيرات لهذه أيضا ، لكنه روّع من ذلك ، واستطاع ان يكوّن حلْقة صغيرة لم تجد صعوبة كبيرة في الاطباق عليّ ، والحيلولة دون قيامي بذلك . وحاولت ان يقوم (انطوان) بالدلالة لي ، وفي حديث حضره (متي) شاهدا ، استحصلت منه على وعد بذلك ، لكنه نكث الوعد أخيرا (ومن هنا تؤخذ العبر ويغني عيان من خبر !) . لكنه على الرغم من ذلك ، كان يأتي دأباً حين اكون خارج دكان (متي) جالسا ، وبفارسيته كان يحملني على ان اشتري حنطة أو جلودا ويؤكد انه في صفقاتها جنى ربحا وفيرا . وكان يساعده أخ له أصغر سنا ، وهو صبي مخلص عظيم ، كان يشفق منه ومن أساليبه المخاتلة معاً . وكان على اتصال وثيق بالتجار المسلمين سنوات طوالا ، كما كان أبناء دينه يجتوونه كثيرا ، ومردّ ذلك الى انه يصرّف ، يوم الاحد ، أعمالا . و (يوم الاحد) يوم يلتزم بعطلته النصارى العرب والكلدان بصرامة ، ويقضونه بعطالة .

وكان يساعد (متي) أخ آخر له أصغر منه سنا ، أيضا ، لكنه كان انسانا ساذَجا نوعما . انه لطيب القلب ، واليه ينتهي طهو طعامهما على شرفة كائنة خارج (المكتب) . ذلك ان كلدان الموصل يعيشون في حجراتهم ليل نهـــار ، هي مكاتبهم وبيوتهم معـــا . وهكـذا عـاش رجـــلان مثل (متي) و (انطوان) فيما يصح ان نسميه بسرداب صغير مظلم مملوء بالبضاعة ، طَوال عقدين من السنين . وفي الأوقات الاعتيادية ، اعني عندما

تكون التجارة حسنة ، والخطو في الشوارع ، بعد العتمة ، غير ذي خطر ينقسم النصارى الى جماعات مؤلفة من خمسة أشخاص أو ستة ، تقوم كل جماعة منها بالطبخ دوريا . اما الآن ، وبالنظر الى انعدام الأمن العام ، وحيلولة ذلك دون الاتصال بين (خان متي) أي (خان العجم) و (الخان) الذي يعيش فيه النصارى الآخرون ، والهبوط المروّع في التجارة ، فلقد اضطروا الى الاختباء جميعا ، وذلك فيما خلا (متي) و (حبيب) ، وكل منهما يلتزم بعادته فيعمل لنفسه . وكان (حبيب) يشاهد ، بين يوم وآخر ، وهو يرقب قدرا تغلي مشوقا جالساً يبيع القطن ، أو يترك كدسا نصف معدّ من الخيار المحشو ليعنى به أحد المشترين الاكراد .

عادات الكلدان

وبما انهم استطاعوا ان يؤثّروا فيّ ، ويحملوني على البقاء غالبا ، فلقد كنت اتغدّى مع (متي) و (حبيب) ، لكنّ (متي) كان في أول الامر حيّيا ، وأراد ان يبعث الطمأنينة في نفسه ، بصدد امر ما ، لذا طلب غداءاً في يوم ما لا عندما كنت حاضرا ، ودعاني الى ان نتناوله معا . ورفضت ، لكنه مضى يلحف الحافا ، ودأبت على الاعتذار ، فتحسّر وقال ، وعليه امارات غضب قليل ، أخيراً :

« كنت احسب انك مسلم سمح العقل ، فلا تعتدّني غير نظيف ، ولكنني تيسّنت ، الآن ، ان الفرس أشدّ تزمتا من السُنّة ، فلا يتناولون مع نصراني طعاما .

وتراءى الرجل الطيب ، وقد مسّ شعوره وهو يفصح عن مكنون نفسه ، ولم يكن الا من سوء التربية ، بالنسبة اليّ ، ان ارفض واستهين بشخص قام لي بشيء كثير ، لذلك انكرت ، معجلا ، هنا التزمّت ، فضمست يدي في الصحن مشاركا اياه ، فاشاع ذلك ، في نفسه ، رضى عظيما ولسان حاله :

وان مُدّت الايدي الى الزاد لم اكـــن
باعجلهم اذْ اجشـع القـوم اعجـــلُ !

وبعد هذا ، جربت على ان آكل معه كل ليلة ، وكان عسيرا جدا علي ان ارفض ذلك ، الا انه لم يكن من الكياسة ، بالنسبة الى مسلم ، وان كان شيعيا ، وليس على مذهب السنة الاكراد ، ان يُعرف عنه بانه يواكل النصارى ، لهـذا حصرت ذلك في مرة واحـدة . وليس لدى الاكراد وساوس ، ذلك ان (الخانجي) المسمّى (حمه) ، وهـوْ من أهـالي (هورامان)[٥] ومخلوق شبيه بالبقـرة ـ كان يخدم النصارى بصـدق وخلوص نيّة ، واعتاد على ان يلتهم الكمية الكبيرة من فُضالتهم المتخلفة من طعامهم ، ذي الكميـة الوفيرة .

وعجبت ، أول الامر ، من الكميات الهائلة التي كانوا يتعشّـون بها . فعندما تفضي شمس الاصيل تبرها على حواشي الافق ، يغلق (الخان) وتصفّ الارائك حول رقعة حديقة زرعوها في (الفناء) . وعلى الارائك توضع النمارق والبسط ، وعليها يجلس (متي) و (انطوان) وحبيب ، الاقدمون ، نازعين عنهم عماماتهم الضخمة ، مرخين مشدّات خصورهم . وفي العادة ينضم اليهم يهودي بغدادي ، وهو رجل جميل الخلقة كبير الجرم ، يُسلّي كل فرد بنكاته . ثم ينطلق نداء : ((جيب اليالة)) ، فياتي كل من الاخوة الاصغر سنا بقنينة صغيرة ملفوفة بكفية ندية ليبقى محتواها باردا . وما ان يرخي الظلام سدوله ، الا يفرش الاخوة الصغار ، الذين يقومون بالخدمات المشابهة ، سجادة على ارضيـة الفناء ويضعون عليها قماشا ملوّنا . وما ان يظهر الطعام في مواعينه الا يترك الأخوة الكبار مقاعدهم على الارائك ، ويقتعدون الارض متحلّقين حولها ، ثم يتناولون الطعام ، على الطريقة الشرقية التي تجعلها منتظمة على المائدة جميعا . وهم لا يقولون شيئاً ابّان تناول الطعام الا على القلّة ، حتى يفرغوا منه بآخرة . ان كمية

---

(٥) نسترجع ان اسمها القديم (نارمان) . (المترجم)

اللحم التي يأكلها هؤلاء النصارى تثير في العجب ، وحملتني على ان ابدي لهم ملاحظة بشأنها • ان (حبيب) الذي يفصح دوما عن معرفة بالافكار والآراء الاوربية احتقرني الى حد ما ، ذلك انه اتهمني باني اخذت بخرافة اوربية محصلها ان الانسان ما لم يقم بتمرينات ، فعليه الا يأكل من اللحم كثيرا ، كما انه أشار الى خطل هذه (الحجة) باسترعاء الانتباه الى صحته وصحة (متي) الممتازة ، وحالهما الفائقة •

وانتهى تناول العشاء بعد نصف ساعة من المغرب ، وبعد فترة من تناقل الحديث اخلد أغلب الجمع الى النوم ، لكي يستيقظوا عند الشروق صباحا • ونمت لليلة أو لليلتين على احدى المصاطب في (الفناء) لكن الناموس كان كثيرا ، بحيث فضلت النوم على سطحي ، حيث تهب نسمة عليلة باردة •

زائر طلعة

وذا صباح ، وبينما كنت جالسا في غرفة صغيرة عالية ، وعلى طنفسة ، اذ بباب الفناء يفتح ، ويظهر (مصطفى بك) ومعه نحو ٦ من الاكراد ، وما ان دعوتهم الا أخذوا يرقبون ••• ويتجمهرون في الحجرة الصغيرة ، ثم دعا مصطفى بك شابا الى الجلوس في اسنى مكان • اما الباقون فاتخذوا مجالسهم اينما اتفق ، ووقف اثنان منهم عند وصيد الباب ، باعتدادهم من الاتباع • وقدّم (الهرم) الصبيّ بانه : السيد نوري بن السيد الشيخ أحمد ، أحد أبناء اسرة (الشيخ) المجتواة (كذا ! : المترجم) البارزين ، واليوم ، ان افلت رجل في السليمانية من اتباع هذه (الاسرة) فعليه ان يتوجه الى السماء حامدا الله داعيا ! وان يصلي في سبيل التحرر المستدام من تعرّفها • ومثل هذا أيضا بالنسبة لليوم الذي يعثر فيه أحد ابناء (الاسرة) على احد التاعسين ، اذ على مثله لعنة الله • لقد كانت (المحلة) تفخر بان لم تطأ قدما (شيخ) شوارعها ، حتى يوم الناس هـــذا •

ذلك انه موضع تجاري محترم محروس حراسة حسنة ، وعلى حـــال يقظى ، الى ابعد مدى ، بحيث لا يمكن ان يُداهم ليلا من قبل شقاة الشيوخ ولصوصهم أبدا • كنت اعلم جيدا ان قدوم (الشيخ نوري) الى هنـا سيعكّر صفو (المحلة) ويجعلني غير محبوب فيها ، اذ ان من يعاملهم (الشيوخ) الاولياء الاحباب ، يُمنون باشدّ ما يكون من عـدم الثقـة والارتياب •

لقد كان الشيخ نوري وضيعا (كذا : المترجم!) لكنه كان حاد المظهر، وهو مزاج التركمان والاكراد ، على ما هو حادث في السليمانية ، ذلك ان له منظر شقاة الاخيرين ، والشارب الخفيف والانف المتموّج ، وهو ما يتسم به جانب من الاولين • لقد كان للباسه الحرير هفهفة ، ويرتدي جوارب من قطن حسنة وكان في حزامه خنجر ضخم ، ويتدلى مسدس ، في عية ، من تحت سترته (الزوف) • وعلى الرغم من مظهره غير المحبّب ، وهو ما يُنظر من احد افراد (الاسرة) التي تزهو ويُترقب منها كل ما هو غير مرضي عنه ، فانه كان مؤدبا جدا •

وتراءى ان مصطفى بك يعتقد ان في الاتيان به الى هنا تأدية خدمـة عظمى لي • وجلس ، وهو الى كل منا ، يتطلع • كما كان يلقي السمع الى الاكراد حوله • وكان (الصبي) يتكلم التركية على وجه ممتاز ، ذلك ان (الاسرة) ، على ما اوضح ، لها معاملات مع الاتراك كثيرة • وما ان وجد ان مصطفى بك لم يكن مخطئاً في حسباني فارسيا ، الا تطلّق سرورا ، لأنه كان يروم الافصاح عن معلوماته في هذه اللغة ، وما كانت مفرطة •

ومنذ طالعة الامر ، على كل حال ، لم يستطع ان يسيطر على طبيعته التساؤلية ، وهي التي ساقته الى تناول كل شيء ، وتناول اشـدّ الامور وضوحا ، متسائلا عن فائدتها • لقد سمع من مصدر ما اني طبيب ، ومن نكد الحظ اني كنت قد رتبت في الحجرة ــ وكنت اتصور بشغف انهـا

خاصة ـ صفا من القناني الصغيرة التي تبلغ عدّتها تسعا او عشرا ، وتحتوي على ادوية قليلة كنت قد جمعتها عبر طريقي من القسطنطينية . لقد شهدها حالا ، فتقرّب منها وسحبها واحدة تلو اخرى . ثم عمد الى فحصها وهو يتبسّم منها ضاحكا ، وبالفحص هذا ازداد يقينا من ان انكاري لم يكن الاّ كذبا ، واني استطيع ان اطبّ واشفي كشأن اي طبيب آخر . ومهما يكن من امر ، لقد سمي (مصطفى بك) الى هنا منقذا ، اذ انه يعلم اني لست بطبيب ابدا ، وان كنت اعرف من الطب شيئاً . ولم يطمئن من ذلك السيد نوري ابدا ، لذلك اخذ حبّتي (مسهل) وحبّتي (كالومين) ، اضفتها انا ، وقال انه سيجربها ، وسيعلم بعد ذلك ان كنت طبيبا ، والى نوعية (المسهل) استنادا .

ثم انه عثر على احدى الاسفنجات المطاط الهندية الحمر ، وهذه اليوم شائعة ذائعة ، ولم تفقد ، لسبب ما ، خلال الرحلات التي رحلتها . لقد حيّرته هذه تماماً ، واستطاع ان يقدّر فائدتها حالا ، ذلك اني المعت الى انها تستعمل في الحمام في غسل الجلد ودلكه . لكنه شمّها صدفة ، فتقزز من رائحة الجلد كثيرا ، لذلك نبذها حالا . لكن الذي جاء من اجله يسعى هو رؤية المسدس من طراز (موزر) .

ولكي ابقيه ساكنا هادئا اخرجته له ، وذلك بعد ان كان يتقافز في الحجرة ويقلّب اوراقي وكتبي جميعا . وعلى كل حال لم يحظ السلاح هنا من لدنه بالقبول الذي كنت آمله ، اذ قال انه رأى مثله ، وامتلك واحدا من طرازه ، قبلا . لقد وجد في اطلاقات لاعبة اعطاه الباعة اياها تسلية لطيفة ، فاخذ يتدرّب بواسطتها مستعملا السلاح من غير ان يعرض احداً الى خطر ما . وكانت رفقته تجهل طبيعتها غير الضارّة ، وهي ترقب ، مشوقة ، مناوراته بها . وما ان كان يشحن السلاح الاّ يغطي الرجل الجالس بازائه ومن ثم يستأنس حين يجعله يتحرّك ، ذات اليمين وذات الشمال ، فلا يصبح هدفا .

وكان (مصطفى بك) يمتعض من هذه الحركات ، وجليّ انه كان يذهب الى ان السيد نوري ، وقد قنص عدوا ، في بيت رجل آخر ، سيعمد الى قتله ، وتركه فيه ، ويجعل موته جريرتي • ورجاه بلهجة الاسترحام ان يترك المسدس • ولما وجد رفقته انه لم يصغ الى ذلك، انضموا الى الاحتجاج، لذلك ترك المسدس ، (فكانت له تلك النصيحة كافية) واخذ يوضـــح ملتذا طبيعة ما كان يستعمل من الاطلاقات •

اما ان فرغ من نكاته ، الا كان يفتقد شيئاً آخر يقوم به ، واخذ يشرح حياته البائسة ، فيقول انه باعتداده ابن الشيخ احمد لديه من النقود ، اكثر مما يستطيع صـرفه ، وقد كان هـــذا القول حقا ، وانه مسمَّر في السليمانية ولا فكاك منها ابدا • على كركوك كان يذهب النفس حسرات ، لا سيما اسواقها الكبرى الناشطة ، وبقدر تعلّق الامر بقربها من بغـداد ، وبغداد غايته الاولى ، اذ كان ينظر اليها باعتدادها مدينة العالم الاولى • وكانت اسئلته ، بشأن اسطنبول ، قليلة ، تنبعث من حس اتمام تساؤلاته لا من الرغبة في اغناء معلوماته ، وكان يراها مكانا زريا ، ان قورنت بالموصل مثلا • واستغرق تبيان سبب وجودي في السليمانية ، وتطمينه بشأنه ، وقتا طويلا ، وشعرت بانه لا يصدّق اني سامكث فيها زمنا قصيرا ، ولا ان عملي هو التجارة ، وهو ما كنت فيه منهمكا ، ذلك ان التاجر ، في نظره ، لا يكون عن مكتبه منعزلا ، وان رجلا يتكلّم الاوربية ، ولديه ادوية موجود ها هنا لاسباب اخرى ، ولا لبس في ذلك ولا من غموض •

وسُرّى عني كثيراً حين تخلّصت منه اخيرا • وما كان مصطفى بك الهرم ليستبق الازعاج الذي ينجم من زيارته • ولقد شعرت انه ندم وتأسف، ذلك انه غدا ، بطريقته الخاصة ، حاسدا ولا يرغب ان يخلي الآخرون البيت في السليمانية ، وهذا امل خائب ابداً • ذلك ان الرجل غير المتزوج ، ان لم يسمح للناس بالولوج الى البيت بحرية، يتدمجنونه او يحسب انه شرير

مفرط في الشرور ، يخفي فعالا لا مندى عن ان تكون بشعة ، لانها ترتكب خفيـة .

شكاوى من الجيران

ولم يطل ورود احتجاجات الجيران بازاء الزيارات ، اذ تناهت سريعا ، لقد كانت ربة البيت العجوز في الخارج ، في احدى بيوتهم . وعادت تحمل شكاوى طويلة تقدّم بها بعضهم ، خلاصتها : ان كانت هذه هي (الرفقة) فالاحرى بي ان اذهب الى جهة اخرى لألتذّ فيها ، ان قدوم (شيخ) الى محلة ما هو طليعة الشر جميعا . ومهما يكن من امر ، كان يسـكن قبالة منزلنا تاجر ما ، وزوجه سليلة احدى اعتق الاسر ، اعني اسرة رؤسـاء الحكاري الديشيين ، والسـيدة تحمل لقب رجل ، اعني : (خان) دلالة على نسـبها . وعلى ذلك فهي متصلة بالشيوخ انفسهم ، ولقد صممت على مراجعتها لدى سنوح الفرصة . لذلك اخذت ارقب زوجها ، وعندما وصل ، دعوته لحظتها للدخول . انه لرجل انيس ودود يجله الناس في المحلة كثيرا ، ويلتزم بالعرف الكردي القائل حق للغريب ان يحمى . وشرحت لـه الظروف التي اكتنفت الزيارة ، فوعد بان يرسل زوجه الى بيت الشيخ ، ان جاء الصبي مرة ثانية لتقول لمن فيه ان وجوده غير مرغوب به في المحلة . ولم يدّخر وقتا في توضيح طبيعة لومي الذي اتصل بها ، واتخذ اشـد الوسائل نفاذا ، لذلك ، ما ان طفلت الشمس ، واخذت النسوة يفرشـن اقمشة السرر خلف الـ (جيخة) ، والستائر الحصير ، وفوق السقوف ، الا صعد واعلن بصوت جهوري ان (غلام حسين) كان اكثر منهن اسـفا على تلكم (الزيارة) ، وقد استدعاه ليشهد امتعاضه منها ، ويطلب مساعدته على منع اي ازعاج تمنى به المحلة . ان عباراته المؤكدة ، وتأكيده حقيقة نواياي الطيبة بعثت عبارات من الحمد والشكران على لسان الناس المتحلقين حوله ، وشهدت انني ، بفعلي هذا ، حصلت على اكبارهم حقا .

وكان في السوق والمقاهي موضوع واحد يدور الحديث حوله في هذه الايام • واعني : الهماوند[٦] • وتناهى الى مسامعنا انهم ينوون غزو السليمانية ، وفي الليل جاءت خيالتهم ، جهرة ، الى بيت (الشيوخ) لتلقّي اوامر اهله • وفي مرة أو مرتين نهبوا بيوتا قليلة كائنة على الجهة الغربية من (المدينة) • ولم يجسر احد على الخروج اليهم • واعتاد (متي) على ان يحدّثني حديث ايام الرخاء ، حين كان النصارى والاكراد يخرجون ويرقون تلالا واطئة ، ويمضون اياما يتنزهون خلالها ، في الهواء الطلق البارد على نغمات الموسيقى ، وبقدر تعلّق الامر بالنصارى باحتساء كثير من (العرق) • اما اليوم ، ان خاطر المرء بالخروج الى حافة البيوت ، فيما خلا الناحية الشمالية ـ الشرقية ، سرق ، ان لم يجهز عليه • ثم يأتي في اعقاب ذلك حديث (التعقيب) وهو من غير جدوى ، و (التعقيب) هذا يعني العقاب الذي ينزل بالقبيلة • وسمعنا انباء ـ تراءت انها حقيقية ـ مفادها : ان كتائب من الجند من الاناضول ، وبلاد ما بين النهرين ، تتجمّع عند (جمجمال) كما استطعنا ، من الرسائل الواردة من الموصل وبغداد ، ان نمحص الاشاعة ونتأكد وجود ٣٠٠٠ او ٤٠٠٠ عسكري ، من المشاة والبغالة حقا انهم يتجمعّون هناك للاجهاز على نحو ٢٠٠ من الخيالة البداة الجفاة • قد ابقت (سلطات الموصل)هؤلاء الجند عاطلين الى حين وصول (آمر) ، وما دامت اموال الشيوخ تدفق على جيب (والي الموصل) ، فانه يبقي (الآمر) في شغل شاغل في مكان آخر ، لذلك ضاعفت (الهماوند) من قحتها، وغزت لذلك جمجمال حقا ، وقتلت جنودا •

---

(٦) موطن القبيلة الاصلي في جمجمال وبازيان واعتدت ، على الرغم من عدتها القليلة حتى ١٩٢٥ اقوى قبيلة كردية محاربة في كردستان الجنوبية • ويزعم انها جاءت الى موطنها من الهضبة الفارسية في اوائل القرن الثامن عشر • ولا تزال تتكلم لهجة كردية قريبة من لهجة كرمنشاه •
[المترجم]

واصبحت حال الاقليم ، في الوقت نفسه ، اسوأ من ذي قبل ، فالمسافرون لم يكونوا مهددّين من قبل العصابات الجائلة ، من الجاف والهماوند ، حسب ، بل من قبل الجند البلديين أيضاً . ان المقدّم ال (بكباشي) قد استهلك جميع النقد الذي جمعه ، وهو قليل ، لدفع معاشاتهم ، كما ان المحاسب ال (محاسبه جي) اخذ يسمن ، ويسمن يوماً بعد يوم ، نتيجة الاموال التي يصادرها . واخذ الجنود يرحلون الى مواطنهم ، او يعبرون الحدود الى فارس - مستصحبين معهم بندقياتهم الجديدة من طراز (موزر) . وفي حلبجة كان ثمة (مقدم) يقود خمسة من المجنّدين الاكراد ، نصف المتطوّعين ، بدلاً من ٥٠ : العدد المعتاد ، بالنسبة اليه .

هجمة هماوندية

ثم حدثت حادثة جعلت الناس تسخر وتيأس ، على حد سواء ، من الاتراك الموجودين في المنطقة . أمر ربع فوج (طابور) ، او نحو ١٠٠ جندي ، بتعزيز حامية السليمانية ، وكانت عدتها قد هبطت من ال ٥٠٠ السوى الى ٣٤ فقط . وكان هؤلاء يحملون نحو ٧٠ بندقية ، وما يناسبها من العتاد ليتوزّعوا على مواقع الحدود . وانطلقوا من جمجمال يقودهم (مقدّم : بكباشي) و (نقيبان : « يوزباشيان ») ، ويصحبهم عدد من ال (عسكر كاتبي : المحاسبين) وموظفون حكوميون آخرون ومعهم زوجاتهم واسرهم . ولم يروا امارات عبر سهل جمجمال ، وذلك على الرغم من انهم بعثوا (بالكشّافة) ، ومن ارسل مقدّماً للاستطلاع عند فجوة بازيان[7] في التلال ، لم يرَ احداً . وعلى ذلك تقرّبوا من (الفرجة) حيث

(٧) ان دربند بازيان خانق في جبل يعلو ٣٠٠٠ من الاقدام وعنده وقف الشيخ محمود الزعيم الكردي - طيب الله ذكراه - بوجه الانكليز الذين كانوا يسعون الى احتلال السليمانية ، وعنده جرح في كاحله وسار على قدم واحدة الى قريته في داري كلي وهي احدى ١٢ قرية في منطقة بازيان .

[المترجم]

يكوّن مدخل التل ما يشبه حرف (V) منفتحا ، وذلك من دون ان يساورهم خوف او شك في سهل بازيان • ان المكان على حال الرؤية ، عن مسافة بعيدة من جهة جمجمال ، مستحيلة ، فالارض ترتفع ولا يزيد عرض الفرجة في الاسفل على ما يقارب العشر ياردات ، وهي تنحدر عاليا وخارجا الى اعالي التل •

وما ان مرّوا من النتوء الصخر الذي يشكّل الفرجة ، وولج آخر رجل بازيان ، الا دوّت التلال التي فوقهم بهيمات الهماوند ، [وحسبك مما لا ترى بسماع] وانطلقوا من كلا الجانبين فرطا ونزلا ، ومهورهم الجبلية تقفز على المنحدرات الصخر بمهارة ورشاقة • ومن مسافة ٥٠ ياردة فتحوا النار ، وكان اول من هوى صريعا (نقيبا : يوزباشيا) • وتجمّع الجند في حزمة وحاول غير المقاتله العودة من (الفرجة) ، فوجدوا انفسهم وجها لوجه مع ثلاثة من الخيالة أو أربعة ، وانقض هؤلاء عليهم وسلبوهم وقادوا حيواناتهم المحملة وذهبوا بها بعيدا • وكان الاتراك يردون على النار بنار ، ولما كانوا قد اخذوا على امرهم فلم تكن نارهم ذات اثر في الهماوند المتحركين سريعا ، دائرين حولهم دأبا • لكنهم ، على الرغم من ذلك ، ثبتوا من الزمن لأيا ، وحاولوا المضي قدما •

ومن ناحية العدد كان للاتراك الفَوَق ، وكانت بندقياتهم من طراز موزر ذي الاطلاقات العشر ، وهي بازاء بندقيات من طراز مارتيني ، لكن رميهم كان من النوع الارداً اذ انهم لم يوفقوا الى جرح اكثر من هماوندي واحد • وحاول عديد منهم الفرار وسرعان ما انطلقوا منصرفين • وفي غضون ربع ساعة هوى (المقدّم : بكباشي) ، بعد ان اصيب في صدره ، وكان ثمة عشرة من الجنود قتلى ، ونحو ٢٠ جرحى • ورفعت البقية الباقية ايديها ، لأنها وجدت المقاومة غير ذات جدوى ، فانقضّ الاكراد عليها وعاثوا في (القافلة) سلبا ونهبا ، وجردوها من جميع بندقيتها وعتادها ، كما

اخذوا بزات الجنود ، او قاموا بتمزيقها ، وسلبوا غير المقاتلين من المسافرين ايضا . ونجمت حال فوضى لا سبيل الى وصفها ، فالجنود غير المسلحين المشاة يحاولون الفرار من الجوانب كلها ، والفرسان تتعالى منهم صيحات تشبه صيحة الراعي بالقطيع ، وقد تحلقوا حولهم جميعا . وكانت ارهاط من الهماوند تسوق امامها البغال العائدة للجماعة المهزومة وتصرخ، وتشجع، اساراها وقد ملئت رعبا . وعلى ما هو معتاد في امثال هذه الحالات ، كان كل شيء ينجز باسرع وقت مستطاع ، ولما كان (الهماوند) قد استشيط غضبهم ، بسبب من المقاومة التي صادفوها ، لذلك تجردوا من كل رحمة ، وباكثر من المعتاد بالنسبة للناس الذين يقومون بسلبهم ونهبهم اعتياداً . لقد قاموا بتعرية الرجال حسب ، وارعبوا النسوة بامارات فظة غليظة ، واظهار السكاكين الطويلة ، وذلك لضمان تسليمهن اي شيء يخفينه .

وقالت لي امرأة سُرِقت ، ان (الهماوند) جاؤوا بنسائهم وجعلوهن خلف الصخور والقتال جار، ثم أنهم استدعوهن للخروج وتحري لباس الاسيرات الاناث على وجه ادقّ مما يستطيع رجل القيام به ، ذلك ان في مثل هذه الديار المسلمة ، وحتى بين اشدّ الاكراد تبدّياً ، لن يعمد رجل الى انتهاك حرمة امرأة مسلمة ، الا على الفلتة النادرة . ان الهماوند قبيلة تقية ، تعمد الى ايقاف افعال الغزو عندما يحين وقت الصلاة ، وتقيمها .

والرجال الذين تركوهم ، كان عليهم ما هو اقل من قميص – ثم كان ان انصرفوا اخيرا مستصحبين زوجة احد (التقيين) وابنته ، وقد اعادوهما بعد ان وضعتا في عناية نسوة « الزعيم » حينا من الوقت . ومضت البقية الباقية من القافلة مثنى وثلاثا ، من رجال نصف عراة ونسوة ينحن ، والجميع يسيرون على الاقدام حتى بلغوا السليمانية في اليوم التالي جياعا ، يجرون اذيال الخزي والعار ، جهراً .

وليس من غير الطبيعي ان تشين امثال هذه النكبات وحدوثها حقا ، الاسم التركي كثيرا ، ولقد كان روّاد المقاهي يفصحون عن آرائهم علنا . كانوا يسخرون من الترك ويستهزؤون بجنودهم . وكان الشيوخ قد غدوا امرا راعبا مرعبا سريعا . وما كانت ليلة لتمضي من غير ان تحدث قتول خلالهـا . وكان القتلة معروفين في كل حـالة ، ومن رجال الشيوخ حصرا . وذات ليلة جرت محاولة على (خان العجم) حيث كان يسكن (متي) وغيره من (النصارى) . وكان فريق منهم ينام فـوق السطح ، حين تناهت الى مسمعهم اصوات تخديش يجرى على السور الخارجي ، فاسترعى ذلك انتباههم . وانتظروا هنيهة ، ثم جاء (حبيب) ببندقيته من طراز (سنايدر) ، وهي قديمة . وبعد مضي وقت ما استطاع احد اللصوص ان يخرق البناء الثخين ، وعند لحظة معينة ، واثر اشارة ، صرخ سكان (الخان) ورموا اطلاقة في العتمة ، وعندها اطلق اللصوص سيقانهم للريح وولوا فرارا . ومهما يكن الامر ، لقد اشتبكوا بعدها مـع قافلة كانت قادمة الى السليمانية تواً ، فتعالت صيحة من بغالتها . واستيقظ الناس النائمون على السطوح على الجلبة ، وفي خضم الحال الفاجئة ، وهي حال فوضى ، تصوّروا ان الهماوند قامت بتنفيذ وعيدها نغزت السليمانية ، لذلك فتحوا على القافلة نارا ناشطة فقتلوا بعض بغالها وجرحوا اثنين ممن لم يستطيعوا ، في الوقت اللازم ، تطمين السكان بانهم ليسوا مبعث خطر . واهتبل اللصوص فرصة الهَرْج والمَرْج فانسلوا هاربين ، وما ان استطاعت القافلة ان تمضي في طريقها ، الا اخذ نصف الناس يقفون على النسب حقا .

كانت امثال هذه الحوادث تقع كل ليلة ، فيستفيد منها الشيوخ ليثأروا من اعدائهم ، ويرفعوا في الوقت نفسه اصوات التحدي بازاء الحكومـة الدستورية . وفي النادر القليل كنا قادرين على النوم بهدوء ، من الضيق

الى الفجر ، وذلك بسبب الاطلاقات التي تأزّ حولنا وفوق رؤوسنا ، فتجعلنا على حال يقظى .

وازعجتني الشرطة

كنت جالسا في فنائي ، بعد ايام قليلة من المحاولة التي جرت على (الخان) ، حين مثّل عند الباب مخلوق اكلته الشمس ، يرتدي نوعا من بزّة زرقاء ، وعلى كتفه اشرطة حمر . انه احد اربعة رجال « شرطة » الموقع ، وهي زيارة كنت ارقبها منذ زمن ، ذلك ان (القوميسير) البدين كان يزعج (حبيب) بشأن هويتي ، واسباب بقائي في السليمانية ، وقد خطر لي انه سيطلب (جوازي) في وقت ما . وسأل الشرطي ، الآن ، من اين اتيت ، ولِمَ الثواء في السليمانية ؟ وما ان ابتدت له اني من اصطنبول ، في سبيلي الى فارس ، واني احاول القيام بشغل في السليمانية الى ان تستقر حال البلاد قليلا ، الاّ عارضني ، جهرة ، وقال لي: انيمن فارس ، ومشتبه بي، وطلب مني (جوازي) ..ورفضت ذلك جملة وتفصيلا ، وعرضت عليه ان اقابل (المتصرف) معه ، متمسكا بالاعفاء من اي ازعاج ، باعتدادي من الرعايا البريطانيين ، مشيرا الى ان قد مضى عليّ في السليمانية ستة اسابيع لتبيّن نواياي القبيحة ، ان وجدت ، وان تطلب البيّنات على هويتي بأسرع من ذلك . وكيف كان الامر ، لم يطمئن الرجل الى ما ذكرت ، ودأب على طلب (الجواز) ، ودأبت على الرفض ، وكان رجال المحلة ونساؤها ، في الوقت ذاته، قد تجمعوا وتجمعن، وما ان كان احدهم،أو احداهن، يطلع على مايجرى او تطلع الا كان صوت الاحتجاج يرتفع منه او منها بشأن ما انا عليه من فضل، مع ابداء كل مايضمن اعتصامي بالامانة الصارمة . وبما ان (الشرطي) لم ينصرف، فان النسوة اخذن يفصحن بحرية عمّا يرينه في سلوكه ، ولما رأى ، أخيرا ، ان لافائدة من بقائه ترتجى - ان لم يكن الضر منه محتملا - لأن الناس كانوا جانحين الى اتخاذ موقف غير مستحب بازائه كليا ، الا اختتم طلباته وعاد

الى السوق القهقري . والحّ عليّ جيراني ، طيبو القلب ، بان اقدم الى (المتصرف) شكوى ، أو ، على كل حال ، حسم الامر بتخطّي الشرطة ، والا فهم يتنبأون بحدوث مشكلة عظمى ، بيني وبينهم ، وعن الازعاج الذي يرون ان من واجبهم تقديمه اليّ ، لا معدى !

لذلك عملت بنصيحتهم وذهبت اولا لمقابلة مصطفى بك استطلع رأيه . ووجدته في خليته يحتسي فنجانا من القهوة ، كان اعدها قبل قليل ، وما ان رآني الا تطلّق وحياني بتمام التحية الرنّانه ، جْريا على العادة : « سلام عليكم ورحمة الله وبركاته » . واصرّ عليّ ان احتسي القهوة ، وقد كانت عملية طويلة ، اذ كان عليه اعدادها فوق (منقلة) فحم صغيرة . وما ان اعدّها ، الا وجد فنجانا ثانيا ، ذلك انه لم يكن لديه الا فنجان[8] واحد للاستعمال ، كما لم يكن لديه الا صحن واحد . لقد عثر على الفنجان الثاني في عيبة مملوءة بأشياء شتى .

ثم اني ، بعد ذلك ، اخبرته بما جرى ، وفي اثناء سردي لخبري كان غضبه قد استثير واخذت كلمات (ادبسز : قليل الادب) و (كوبك اوغلو : ابن الكلب) (تربيه سز : عديم التربية) تنطلق من فمه ، واكّد انه سيقابل (قومسير الشرطة) ويطلب منه ان يقدم اعتذارا . ثم فكّر ثانية ، على كل حال ، ورأى ان من الاحجى ان يطلب من (مدير المدرسة[9] :

---

(٨) نسترجع ان فنجان تركية الفنجار . [المترجم]

(٩) وجود مدرسة عسكرية عثمانية في السليمانية اسفر عنه كثرة الضباط الاكراد السليمانيين في فرق الانبراطورية العثمانية . لقد تجلّت بسالتهم في القتال لان الكردي على ما يقول (بروفيسر مينورسكي) يرى في (الموت على الفراش عارا) .

ومن هذا (الفصل) وغيره يحسّ (القارىء الكريم) مدى مقت (المؤلف) للاتراك وموظفيهم على حين يتجلى حبه للاكراد والفرس ، والله تعالى (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) . [المترجم]

الافندي) عوناه وتحرك، هنا وهاهنا، وما ان بدل سراويله[1] وستره ـ ذلك انه كان يرمي افضل ملابسه جانبا عندما يكون في خلبته ، بغية الحفاظ عليها ـ وقفل الباب ، الا اتخذنا سبيلنا الى المدرسة حيث وجدنا مديرهـا جالسا على اريكته في الحديقة، وسرد له القصة بتركية طليقة ، و (الافندي) يهز رأسه ويداعب حبات سبحته ، وما ان فرغ منها الا ضرب الهرم ، الذي (ضحك المشيب برأسه فبكى) بعصاه الارض واخذ ينهال بالشتائم على الشرطة • ثم ان (المدير الافندي) سألني : لم جئت الى هنا حقا ؟ فقلت : حتى انني لو جئت (سائحا) فلا يمكن ان يرفع احد اعتراضا ما ان لم يثبت اني اورط نفسي في فعال غير مرغوب فيها • ينضاف الى ذلك ، اني شغلت بالتجارة ، بقدر ما سمحت به الظروف الراهنة ، لكن من العسير ، الى حد ما ، ان يتاجر المرء في مكان طرقه المؤدية الى المناطق المجاورة غير مفتوحة •

ووافقني على ذلك ، وما ان طلب مني ان ابين انني من رعايا بريطانية ، الا قال انه سيكلم الشرطة • قال : ان لهم الحق في ان يطلبوا (تذكرة العبور) وهو جواز السفر التركي ، ولكن لا حق لاحد ان ينزع اي جواز آخر ، كما انهم غير مخولين بازعاج حتى من يشتبه به في بيته •

ولما لم اكن لآمل منه اكثر من هذا ، لذا شكرته وانصرفت ، وكان ان اتخذ سبيله ، ومصطفى بك ، الى (السراي : دار الحكومة) لمقابلة (قومسير الشرطة) ففيه (مكتب) له •

---

(١٠) نسترجح انها من (شروال) الكردية •

(المترجم)

الفصل الثالث عشر

الحياة في السليمانية

(تتمــة)

وفي اثناء هذا الوقت ، عينه ، عاد (حمه) مرة ومعه عدد من اوساق البغال قوامها دهن من حلبجة ، وكانت لديه مشاريع عظمى تنصبّ عـلى الشخوص الى بغداد ليبتاع سكرا . وكان الطريق اليها لا يزال مغلقـا ، كما كان هو المنفذ الوحيد عبر خانقين وحلبجة جنوبا . وخانقين مدينة كبرى كائنة على الطريق المادّ بين كرمنشاه وبغداد . ان تجار المكان طرّا كانوا يصبون الى الخروج منه والشخوص الى بغداد ، ذلك ان (كلة) السكر التي كانت تكلّف ، في نيسان ، قرانين اثنين غدت تباع بخمســة قرانات اليوم . ومرت ايام على المقهى لا يستطيع ان يشرب المرء فيها شايا ، اذ قـد نَفِد السكر ، واضطرّ الناس ، جريا على العادة (والعادة محكمَة) ، الى الجلوس فيه ، من غير احتساء الشاي يدخنون ، ويبحثون في السياسة .

لقد نسي (حمه) في خضم خططه التجارية ، وهو من تتجلّى فيه خصائص الكردي في الدرجة الاولى ، ان عليه في حلبجة عددا من الديون القائمة يجب عليه استيفاؤها قبل ان يخاطر بمال اكثر فيها . لقد كان يرنو الى ربح مبروك من وراء مشاريع جديدة ، ولأيابه ، في الوقت نفسه ، بان يفقد ما هو قديم منه . لذا كان لزاما عليّ ان اعيده الى (هەڵەبجە : حلبجة) القهقرى ، ذلك انه صرّ ف الـ ٥٠ زوجا من الاحذية على اساس الدين غالبا ، وكانت فكرته بصدد الشارين مصمتة . وجلس عند حافة الخزّان يلهو باصابعه ويجهد فكره في تذكرّ مَنْ الذين اعطاهم الاحذية ، على حين كنت احاول اعداد قائمة باسمائهم ، وقد جاءت ، في الاخير ، وصفية في حالة عدم تذكّره الاسماء . لقد اخذ احدهم زوجا بسعر ١٢ قرانا وهو « الراكب

الثاني التابع لمجيد بك » ، من تلونجالان « ورجل كبير الجرم يجلس عند ركن دكان شاؤول اليهودى ، الكائن في السوق » وآخر : « رجل لقيته في المقهى كان يتحدث الى حمهرشا من ابا ابيل »[1] « وهلم جرا » وكانت (السيدة عادلة)[2] قد اخذت بعض الاحذية ، كما ان كثيرا من خدمها ، على ما يقول حمه ، مدينون على احذيتهم ، وهي الضامنة للدين ، وان لم توافق ، على ما هو ظاهر ، على دفع اثمانها • لذلك ارسلته الى حلبجة واستخدمت بدله ولدا صغيرا هو نجل (حمه) ، خانجي (خان متي) • شاطر[3] كردي هذا الولد يرضى بالعمل لقاء (بني) واحد في كل ثلاثة ايام مشفوعا بطعام •

انه طفل على حظ من الذكاء الخارق الحديد • لقد تعلم في الاسواق من الفارسية قليلا ، وكان يظهر مقدرة كبيرة في سبيل تعلمها وذلك عندما يتكلم بها احد الناس معه •

لكن ذكاءه الفذ كان يساعده على هذا ، كان يصيّره حملا ثقيلا على ابيه وعلى من في الخان من النصارى • كان زعيما لعدد من عصابات الاوباش الصغار التي كانت في عراك مستدام ، وما كان ليطيع والده الا قليلا • لقد كانت امه ، وهي نفس طيبة ، تأتي اليّ وتحتبز ، يائسة منه ، فلقد افلت

(١) قرية قريبة من حلبجة مصحّفة من اسم (ابي عبيدة الانصاري)، وله مزار قديم فيها ، وعثر فيه على حجر مدوّن عليه اسم بانيه وهو سليم باشا بابان نفسه (نحو ١١٦٠ هـ) ، وفيها جامع ينسب الى (سليم باشا بابان) وعلى غرار (الجامع) الموجود في خرمال • [المترجم]

(٢) قلنا : انها زوج عثمان باشا (زعيم الجاف) لدى زيارة (المؤلف) حلبجه (١٩٠٨-١٩٠٩م) واشغاله وظيفة كاتبها، طوال اشهر، واصل (عشيرة الجاف) من ايران ، وهي قبيلة رحالة ، ترحل في النهار وتنام في الليل ، في منازل معينة ، وتحط رحالها في اعالي الجبال . وخيامها الصيفية (هه وار) في المشاتي غالبا • [المترجم]

(٣) الشاطر هو الصبي الذي يعيي اهله والناس خبثاً •

من يديها ، وكان يفعل ما يحلو له معها وجعل نفسه مصدر ازعاج كبير للنصارى وفرض نوعا من الاتاوة له يستوفيها عند الطلب ، مقدارها قرش أو قرشان ، في كل مرة . فعلى سبيل المثال كان يأتي الى (حبيب) ويطلب اجره ، فان رفض الطلب على ما يحدث احيانا ، قفز على ظهر الرجل التاعس وكاد يخنقه اويأخذ بالدوران فيمكتبه يبعثر البضاعة ابان ذلك ويتلفها . فان طرد عاد مسلّحا بهياج اصيل ، وان افضل سبيل لمعالجة امره هو اعطاؤه بنسيه. وعندما جاءني كنت حصلت ، بطبيعة الحال ، على شكران جميع ضحاياه ، لكنه كان لا يزال مالكاً الوقت اللازم لان يركض الى (الخان) ويوقع اذية او اذيتين بشاغليه . انه طفل من قبيلة (او رامي) ، وهي قبيلة تقطن كردستان ولكنها ليست كردية ، وتدّعي بالانحدار من رستم نفسه ، وتجعل اصلها من (ديماوند) .

وما كان الجيران بمسرورين من قدومه ، خاصة ، ذلك انه نقل الاحتراب الى ديرتهم ، وجعل من السقوف ، ملعب الاطفال صيفا . كان يجتاح الباحات ، ويعلّم الهادئين منهم ، في المحلة ، الالعاب الوحشية التي كان يستهتر بها[٤] . وكانت النسوة يشفقن منه ، ذلك انه ، حين ارساله بمهمة استعارة قدر او مقلاة ، وهذه مهمة شائعة ذائعة في هذه الارجاء ، كان يتلبّث عندهن لمدة ساعة ويتحرش بهن .

وعلى غرار العرف الجاري في السليمانية لا يوجد احد في البيوت خلال النهار الا النساء ، وفي (محلتنا) ، حيث يعيش صغار التجار وارباب الدكاكين ، يكون الرجال خارجها من الصباح الباكر حتى المساء المتأخّر . ان مصالحي لم تلزمني على الخروج في بعض ايام الاسبوع الا قليلا ، وبما اني أصبحت معروفا ، كما ان وجود السيدة العجوز صيّر مثل هذا النهج

(٤) الاستهتار الولوع بالشيء والافراط فيه ، لكن الكلمة ، على ما تستعمل عادة ، اكتسبت معنى آخر . (المترجم)

غير مستهجن ، لذا اخذت نسوة الناس المجاورين بصرف شطر من وقتهن ، غير المملوء بالعمل ، بالثرثرة • انهن في الغالب مرحات ، وعلى غرار جميع الكرديات ، ومتحررات من كَلَف ، بقدر تعلّق الامر بالكلام أو السلوك • انهن يقلن ما يعنين من غير ان يجعلن زوايا الموضوع الخشنة لينّة ، ويفصحن عن ذلك ، وهن ينعمن النظر في نظر السامع ، ويضحكن من القلب من اللطائف والطرائف التي يحفل بها الحديث الكردي ، ومن غير اي امارة تدلّ على هذا الذي نطلق عليه اسم « المنازلات » او الحيل التي تنبعث من احساس ذاتي ، من اي نوع من الانواع •

الاختبـــاز

ان أيام الاختباز هي وقت امثل هذه الاجتماعات المنتظمة ، وعندها ، ان كنت في البيت ، آوي الى غرفتي • وتصل الخبّازة المحترفة (في غرّة الفجر والعصفور لم يطر) • انها تحمل عيبة مملوءة بالطحين ، فيرســـل (غفور) ، « طفل الغضب » ، لاستعارة قدر كبير من الصُفْر من احد الجيران ، وما ان يحصل عليه الا يبعث الاشارة المعتادة وهي ضربات موسيقية تتناهى الى جوانب الشارع الذي يتخذه لعودته سبيلا • وكانت الخبّازة ، في هذا الوقت ، تحتسي شايها مع « سيدة الدار » ، وتلقي السمع الى القصة التي تروى ، غالبا على تراخي السنين وتناول حديث وفاة ابنها على طريق بغداد ، وقد ترسل دمعة او دمعتين تعاطفا • وما ان يقدم (غفور) الا تترك الشاي ، اذ كانت ، وآمل انها ، لا تزال ، امرأة عاملة ، ثم تأخذ بخلط دقيقها • وهذه العملية كانت تجرى دوما تحت البقعة الصغيرة المسقفة الكائنة داخل باب الفناء المفتوح ، فان مرّ الجيران ، لشغل شاغل من هذه الاشغال العديدة التي يتنقلون لاجلها من بيت الى بيت ، فمن الطبيعي انهم يلجون منه ليقوموا بعون ما • فان لم يقمن بذلك ارسل غفور ليحفزّهن على ذلك ، وهي عملية كان يقدّرها تمام التقدير • ان اختبازا جيدا يتطلّب اثنين أو

ثلاثاء، ولما لم يكن لدينا تنور فلا معدى عن احماء آخر ، وبطبيعة الحال يعمد من ليس لديه الا الخبز القليل ، ويريد اختبازه ، الى رجاء القيام بذلك بعد ان نفرغ نحن منه ، في التنور الذي لا يزال حاميا . ذلك ان الاحماء يكلف مالاً ، وان فرصة الاختباز على نار اخرى لا تفوّتها ربة بيت كردية صالحة .

لذلك ، وكقاعدة مطرّدة ، كان لدينا مساعدون في عملية العجن والتكوير استعداداً لصنع الارغفة ، ومن هاته المساعدات زوج النجّار الساكن قبالة بيتنا ، وهي امرأة قوية مجهدة ، جادة في العمل . كان عندها خمسة اطفال حرصت على ان يكونوا نظيفين مرتبي اللبس دائما ، وكان اثنان منهم يصحبانها عادة . ان شعر الطفلين اصفر مجعّد ، وهما ذوا عينين زرقاوين باهتتين ، وخدودهما مورّدة ، على غرار ما يشاهد عند الاكراد والفرس ، من بين اقوام الشرق الادنى ، خصيصا . وكانت هناك اختان في البيت التالي لبيتنا ، وهما زوجتا اخوين يديران مقهى . انهما مخلوقتان على حظ من الكسل لا همّ لهما الا الجلوس والتدخين . وفي الاحيان تعمد (عادلة) زوج والد الاطفال الذي اقيم في بيته الى التشوّف ، لكنها مخلوقة متعالية تتزين بالمخمل الثخين (القديفة) و (الحلي الذهبية) و (الخواتم الماسية) . انها غانية (المحلّة) التي تعرف خطرها فيها وانها ، على التحقيق ، لجميلة جدا ــ ولها فوق اضافي تحوزه كثير من الكرديات على الشعوب المجاورة ــ واعني به : طول القامة ، وهو طول جميل معتدل كغصن البان ايضــا .

كلشــن

لكن افضل نسوة السليمانية الجميلات هاته ــ وهنّ محبّبات ــ كانت : كلشن، كلشن الطيبة القلب النزقة . انها فتاة طويلة القامة ، في نحو الـ (١٨) من العمر ، شاحبة قليلا ، لكنه شحوب جمال ، وهي ذات ملامح حسنة .

كانت الاشاعات في « المحلة » تناهضها لأنها كانت خفيفة الفؤاد وتطلق من بيت الى آخر على غرار انطلاق خادمي غفور ، وهو يتحرش ويمزح . ولها تأريخ محزن وجيز ايضا ، وتحت السلوك المرح يختفي حزن يتفجر ، في الاحيان ، دموعا ، وذلك حين تعمد النسوة الاخريات الى رد حديثها ، غير المضر المنصب على قطع الوقت والتسلية ، بالزجر ، وعند ذلك تهرب الى بيتها ، وتجلس في زاوية ، وهي تتنهد ، حتى تعود روحها الى طفوها الطبيعي ، ثم تقدم وقد ملكت زمام الحكمة قليلا ، وعلى استعداد لمقابلة الأخريات ايضا .

كانت زوجاً شابة لمن يدعى ب (توفيق) ، وكان شاباً جميلا يشغل منصبا حسنا في الحكومة البلدية ، ويملك بيتا وسيطا . وكانت معه سعيدة جدا ، وولدت منه طفلا . ومن نكد الطالع ان تكون هناك (ام الزوج) ، و (جدته) ، وكلتاهما كانتا تتقززان من (كلشن) ، فتآمرتا على التخلص منها . وكان ان عمدتا الى ترويج الاشاعات عنها ، وذلك ليثيرا ثائرة زوجها ، كما انهما ، بمساعدة احد الروحانيين ، اكتشفتا ، في الوقت نفسه ، بعض الهنات في عقد الرابطة الزوجية . وبالتسلح بهذا دأبتا على ترويج الفضيحة ، سمع الزوج بذلك من اناس محترمين ، فجاء الى زوجه (كلشن) يتميز غضبا . ولما كانت هذه فتاة ذات روح حية ، واكثر من ذلك ، بريئة ، فلقد ردت عليهم بطبيعة الحال ، بصورة مباشرة فنشأ من جراء ذلك خصام ادى الى ان يشعر كل من الزوجين بمرارة ، بازاء الآخر ، من الدهر حينا . وجاءت العجوزان تسعيان الى (توفيق وبيدهما الرابطة المطولة) ، واهتبلتا الفرصة السانحة ، فرصة غضبه واستكاره ، فحملتاه على ان يطلق زوجه .

وعلى ذلك جاءت (كلشن) ــ بعد ان سلب منها لباسها الفاخر ومخشلاتها وكان في مقدورها الاحتفاظ بها ، لكنها رفضت ذلك باباء ــ الى بيت عمتها (عاصمة خان) ، وهي جارتي المنحدرة من الاسر الروحانية

العتيقة في حكاري(٥) ، لذا تحمل اللقب (خان) الرجالي •

وهنا هوى شأن (كلشن) الى مستوى خادم اقدم ، وكان عليها ان تقوم بشؤون المنزل ، لكن عمها اعطاها ملابس واسبغ حمايته عليها ، انه عبدالله كان رجلا جادا ، كبير (المحلة) ، ومحترما •

ولو استمر نبذ (كلشن) لزوجها ، لكان ذلك خيراً لها • لكنها كانت، لسوء الحظ فتاة طيبة القلب للغاية ، فلا يمكن ان تجتوى احدا ، وتحب زوجها حبا جما ، لذلك كانت دموعها ، من الندم والذكرى ، تنهمر مدرارا • ومما كان اسوأ شأنا بالنسبة اليها انها اسرت بمشكلتها الى احدى النسوة الاخريات فأصبحت ضحكة(٦) ، وعلى التحقيق ان ذلك كان بحسن نية ، ولكنه مؤذ ايضا ، ولو لم تكن بطبعها ذات روح خفيفة ، لكانت حياتها تدعو الى الاسى كثيراً •

ان الذي افقدها احترام جاراتها هو انها كانت تعمد ، ايام القيظ ، الى الخروج من البيت حاسرة الرأس من غير عمامة ، فيما عدا (عرقجين) خفيف ، وبذلك لا يغطي شعرها الكثيف الطويل ، بـ (غدائره) التي تبلغ عدتها ١٠ أو ١٢ غديرة ، بالنقاب الذي يصحب العمامة • لكنها كانت عفيفة تماما ، فامرأة (لا اخلاقية) في السليمانية من الشواذ ، وكانت تسخر من من يضحي بالراحة لأجل التواضع الزائف • ونجح (غفور) في

---

(٥) يمتد « سنجق حكاري » في تركيه الى الحدود الفارسية ، ويسكنه الاكراد ، وبعض اليزيدية ، والى الجنوب منه ، في (جولاميرك) ، تسكن العشائر النسطورية في منطقة صغيرة • وقد عاش الاكراد معهم من غير ان تحدث مذابح بين الطرفين على غرار مذابح الارمن ، ومن الباحثين من يجعل (حكاري) لهجة كردية خاصة متمايزة تضم لهجات (بوتان وديار بكر والعمادية • وعشائر هركي) • [المترجم]

(٦) الضحكة : من يضحك الناس عليه ويقول هنري برغسون في كتابه (الضحك) انه [دواء الغرور] • (المترجم)

سعيه وراء ايجاد من يصلّح ملابسي ، فجعلها تقوم بذلك ، لذلك كانت تقضي بعض صباحات الايام مع العجوز ربّة البيت ، كما كانت تنبذ العمل غالبا لتلعب مع الطفل لعبة المرأة المسترجلة . لقد كانت طرائقها ، في الاحيان ، اصيلة ، اذ لم يكن لها من الصبر الا القليل . وذا صباح اندفعت الى الفناء ، وكنت ، لحظتها ، قد اكتشفت قطعة ممزّقة في ردان القميص وطلبت اليها اصلاحها . قالت ان ليس لديها (كتان) ، وليس لديها مال تبتاع به ذلك ، ولما لم يكن غفور موجودا ليحصل على شيء منه في السوق ، لذلك عَمَدت الى تمزيق قطعة من لباسها ، وما ان رأت مظهر الجلد الابيض ، وقد كشف عنه بذلك ، الا هربت على استحياء لتخيطه في احد الاركان .

طبيب دجـال

ولم يمض وقت طويل على زيارة الشرطة الاولى لي ، الا زارني السيد نوري كرّة اخرى . وجاء ، في هذه المرّة ، من دون علم مصطفى بك الهرم ، وكان يصحبه خادم مرافق خفي ، رجل عجوز مرعب ، اعتذر من زيارته ، وقال انّه يروم تقديمه اليّ لأنه كان طبيبا ، ولأن عندي من هذا العلم قدرا عظيما . انه لمخلوق طاعن في السن علاه الشيب (والشيب خطام المنية) ذو منظر مخيف وانف معقوف منقاري ، ولا يملك الا ٣ من الاسنان الصفر . ان في عينيه الصغيرتين امارات شرّ مستطير . وعلى غرار ابناء طبقته جميعا ، واهل السليمانية ، عموما ، اخذ بتوجيه عدد من الاسئلة المتعلّقة بي خصوصاً ، لكن روح الشك الاصيلة فيه لم تسمح له بأن يصدّق اغلب اجوبتي عنها ابداً . واخيرا سأل : ان كان عندي (جواز سفر) ؟ فاجبته بالايجاب . وقاطعه السيد نوري عند هذا واعترض على هذا التحرّي ، اذ على الرغم من انه لا يتورّع عن توجيه اسئلة ذات طبيعة شخصية واعتيادية ، لكنه كان يستهجن عندما يقوم غيره بمثل هذا . وانحنى الشيخ الهرم عليه ، وقال : « لو استطعنا ان نرى (جواز سفره) لعلمنا ، عند ذلك ،

من هو ؟ » وعندها قاطعته وقلت : لو كان لديّ اثنا عشر جوازا احتفظ بها في جيبي فلن اعمد الى عرضها عليه • كانت الحوظة أس لها السيد نوري وانزعج منها الشيخ الهرم • ثم انه تقدّم باقتراح قـال عنه : انه جاء من اجله • تراءى انه كان يملك كتابا عربيا يصنّف علم الطب على ما فهمه العرب : نظرية الحرارة والبرودة عند الاغريق القدامى ، المزاج الحار والبارد ، وامراض ذلك ، من كل الانواع ، مصنّفة تحت كل منهما ، والادوية التي يستطب بها وتاهض امثال هذه الحالات في الجسد • لقد اقترح ان يعرض هذا الكتاب عليّ ، وان يشاركني ، بحفنة من الاعشاب الطبية ، ابتاعها من اليهود • لقد اكّد ان مثل هذا العمل • سيملأ جيبنا مالا على الوجه الأسرع » ، ذلك ان جمع المهارة الاوربية الى المهارة الشرقية يغطّي جميع الادواء التي تشيع في الناس ، ويجود ببديل عن تلكم الحالات التي لا استطيع الآن تناولها ، أي : الجهات المحافظة من الناس ، التي تعارض « الطب الحديث » •

وكلما اعترضت على استحالة مثل هذا (الجمع) لأن الاجزاء التي تكونه تتعارض بشدّة بحيث لا يمكن النظر فيها معا ، كان يلح على وجهة نظره مؤكدا اني سخيف ان سمحت للحسد المهني ان يخرّب فرصتي السانحة • وعن هذا اجبت : اني حتى لست بطبيب ــ ولقد ضحك (الاثنان) من قولي هذا ساخرين واشارا الى القناني المرفوعة فوق رأسيهما باعتمادها دليلا ناقضا • واخفق الطبيب مطلقا في ادراك السبب في اني لا انضمّ اليه ، وبدت عليه امارات الغضب العظيم بسبب من رفضي الذي لا يريم ، وانكر جميع اعتذاراتي : اني لم امارس الطب حتى لو كنت اعرف اي شيء عنه ، وان لدي ذخيرة جدّ قليلة ، واني سارحل عن السليمانية وشيكا ، وهلمّ جرا •

قال : « لا توجد عقاقير ! عليك ان تشتري (املاح ابسوم) و (فيناستين)

فهي ذخيرة تجارية حسنة ، وهي على ما تروم وتهوى ، ولك اي شيء آخر ترغب فيه . لِمَ ؟ في مكنتنا ان نصنع نوعا من مستحضر . الاسماء وفيرة ، ولا يظهر احدها اسوأ من آخر ، على قنينة ، ان كانت من المادة نفسها » .

وكان المخلوق يلحّ بشدة ، بحيث لم اعد اعرف كيف اتخلصّ منه ، ثم ان السيد نوري ساق الحديث الى جهة أُخرى . كان يعجَب من الغرفة ، واكتشف فيها مربعا صغيرا من تراب اصفر يميل الى لون الرماد فسأل عن فائدته . لقد اوضحت له انه تربة من ارض المرقد المقدّس للامام علي ، وانها تصطنع في الصلاة وعلى اي مسلم شيعي صالح الاّ يتخلى عنها .

وصرخ : « ما هذا ؟ اعليّ ان اصلي لها ؟ » .

اجبت : « كلا ! لكننا نضعها على الارض امامنا . وعلى ما تعرف ، يقضي العرف بين السنة على وضع جباهتهم على الارض في الصلاة . انكم تسجدون على اي ارض ، أو على اي تراب تكونون عليه . اننا نقوم بمثل هذا ، لكننا لا نجد ضيرا في جعلنا قطعة مقدسة من التراب بين جباهنا وبين الارض ، وعندما نمسّ الارض ، عند السجود ، نضع الرأس على ما هو اكثر قدسية من اي بقعة نكون فيها ، ويكون امامنا ، في الوقت نفسه ، ما يذكرنا بذلك الرجل العظيم والامام الشهيد الذي تجلّه حتى السنّة . (كذا : المترجم)[٧] .

---

(٧) هو من يجلّه المسلمون ، على اختلاف مذاهبهم ، اجلالاً عظيماً وعلى حد سواء ، اذ هو ابن عمّ نبيهم (صلعم) وزوج بنته البتول (فاطمة الزهراء ـ رضـ) ، وبطل من الابطال الصناديد الذين عرفتهم الغزوات التي نشرت لواء الاسلام ، وهو الى ذلك كله ذو عقلية قضائية فذّة ، وفصاحة رائعة نادرة ، كما انه لم يسجد لصنم في الجاهلية (كرّم الله وجهه) .
ومن الدلائل على قوة ايمانه ان كان عليه ان يلحق بالرسول (صلعم)

وتأوّه وقال : « هذه هي الطريقة التي يقيم بها الشيعي صلاته • لِمَ ذلك ؟ اقول لك يا رجل ان هذه وثنية وكفر • ان صلاتكم لا تساوي شيئاً انْ اقيمت على مثل هـــنا وانكم لتقفون موقفا خطرا بازاء الجزاء الغليظ السرمدي ، ينزل بكم بسبب من هذه الخطايا » • (كذا : المترجم) •

وعاد الى الكلام بشيء من الحرارة ، وقال: أأنتم الشيعة، القوم الذين تسبون عثمان وعمر بن الخطاب وابا بكر ، وعندما تستيقظون ، عند الصباح ، تنثال من شفاهكم الشتائم ، ولا تنامون الا بعد ان تصبّوها علينا (كذا : المترجم)[8] •

وكان الولد يوشك ان يفقد زمام اعصابه ، واخذ يداعب خنجره ، لكن الطبيب بذلَ افضل ما في وسعه فاخرجه من الغرفة قائلا له : على الرغم من ان بعض الشيعة قد تفعل ما يقوله ، لكنني لست من النوع المغالي ، وعلى كل حال يجب الاّ اعتد مسؤولا عمّا يفعله الآخرون » •

وهنا انفجر قائلا : « اذن لِنبذ الشيعية ! » لكن الهرم كان عـــلى استعداد للجواب على ذلك :

« أليس عليه ان يتبّع ما كانَ عليه اباؤه الاولون ؟ وعندها ، اما ان تحلّ عليه اللعنة ، او يخلص نجيا ؟ الى اين يرحل الآن ، قد يقذف بمذهبه

وصاحبه ابي بكر (رضي الله عنه) بعد هجرتهما الى المدينة ولم تكن عنده راحله فاضطر الى قطع الصحراء المحرقة الممتدة بين مكة والمدينة فما وصل (قباء) ـ وهي عند مشارفها الجنوبية الا بعد ان تقرحت قدماه وارهقه طول السفر واصابه نصب شديد ، رضي الله عنه وارضاه •

(المترجم)

(٨) في هذه الاقوال شطط كثير ، وان صدرت مثلها حقا فمن سذّج بلهاء استحجرت عقولهم ولا يعتد بهـــم ابدا : فالمسلمون اخـــوان ، كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا ، عـــلى اختلاف مذاهبهم التي اراد (اصحابها) اصلاً اعمال الفكر في قضايا الدين وابداء الفكر فيما يستجدّ من اموره ، تفي وفق العصر ، وحاشا ان تكون لذلك سبيل التفرقة والتنابذ بين ابناء الدين الواحد • [المترجم]

الجديد توا بمجرد هذا الرحيل . اقول ، ليكن على ما هو عليه ، انه لم يحاول نشر عقيدته ، دعه يصلي على طريقته ، ان الخطيئة تقع عليه لاستمراره ، والفضل لك ، لأنك ابنتها له » .

عند هذا نهض وانصرف ، ولما لم يجد الولد بالبقاء شيئاً يؤنسه اكثر لذلك سار في اعقابه ، وودعني بجفاء وغلظة . كانت هذه آخر مرة دخل بيتي ، ذلك ان الشيخ احمد عيّن ، بعد يوم او يومين ، قائمقاما في جمجمال، فاصطحب ولده معه .

تحر من الشرطة

لكن لم يكتب لي سلام لمدة طويلة . اذ بعد صباحات قليلة ، مثُل شرطيان ، ومعهما رسالة من (قومسير البوليس) مفادها : انه راغب في ان يراني حالا . ولما كنت اتصور انه قد انقطع اهتمامه بامر (جوازي) لذلك سرت في اثرهما وانا اسائل النفس عمّا يريد . كان (القومسير) جالسا في دكان خياط كائن في السوق ، وهو رجل بدين ذو مظهر مخاتل يستشف من عينيه الزرقاوين الصغيرتين ، وفمه مختفي تحت شارب اصفر اللون كثيف .

وما كان ليتكلم غير التركية والعربية ، وما ان بلغته الا خاطبني بالاولى . وسأل : « الديك جواز سفر ؟ » ، « ان كان لديك ذلك فلم لم تقدمه اليّ ؟ » .

اجبت : « لانك حتى الآن لم تطلبه ، كما انك لم تفعل شيئاً فيما خلا التلميح الى الغايات اللا قانونية التي تنطوي عليها زيارتي لهذا المكان، لو سألت على الوجه السديد لأريتك الجواز ! » .

« حسنا ، اروم معرفة ما انت فاعل ها هنا - لِمَ جئت ، ولِمَ لا ترحل ، من اين اتيت ، وما اسمك » .

اجبت : « هذه امور معروفة عند كل شخص في السليمانية فيما عداك»

اتيت الى هنا للاتجار ، وقمت بشيء منه ، وكنت استطيع ان اعمل اكثر مما عملت لو كان المكان على حال سويّة هادئة • جئت من كركوك ، ولما كنت انت في القافلة نفسها ، لذا كان عليك ان تعرف هذا • ولما كان جوازي قد شوهد في كركوك وخشم ، لذلك فلن اتطوّع للادلاء بتفصيلات : من اين اتيت ، ان هذا الامر ليس من شأنك • وبصدد السبب في عدم رحيلي اقول اني آمل ان اتخذ السبيل الى بغداد قريبا جدا ـ اي بمجرد ان يستطيع جيشكم التركي الباسل حمل الهملوند على ترك طريق ما مفتوحا » •

وما كان يؤمل هذا النمط من المحادثة ، تجرى في سوق مفتوحة ، وبين جموع من الاكراد ، واقفة • لقد فهمنا نصفهم ، وتراءى انه ممتعض منها قليلا ، ومن لهجة يظهر انه لم يعتد عليها •

قال : « حسنا ، واياً كان الامر يجب ان ارى جوازك ، والافضل ان تذهب وتأتيني به » • وعلى ذلك عدت صحبة (الشرطي) الى البيت ، واتيت بجواز سفري الانكليزي ، وجواز السفر التركي ، الصادر الى جميع المسافرين في هذه البلاد • لقد اصابه تلف من جرّاء الاستعمال ، الآن ، لكن الاسم كان بيّنا يُقرأ ، شأنه كشأن التفصيلات المتعلّقة بالدين والمولد• وكان ان جئت بهما اليه ، ففحص جواز السفر ، وبعد همهمة وزمجرة ، قال :

« اجل ، هذا حسن جدا ، لكن المهم هو : جواز الهُوية ، اين هو ؟ » واريته جواز وزارة الخارجية ، وهو ما اثار اهتمام الاكراد المتحلّقين حوله• قال : « ان هذا ليس بجواز سفر ، انه « اذن » من حكومتك بالسفر ، حسب ! » •

قلت : « حسنا ، استطيع قراءته ؟ » ، وكانت ملاحظة بعثت قهقهات من السامعين •

اجاب : « كلا ، بطبيعة الحال لن استطيع الى ذلك سبيلا » •

قلتُ : « اذن ، اما ان تطمئن الى ما اقول ، او توقف التحري ، لن تستطيع لومي لانك تجهل الانكليزية . قلت اني من الرعايا البريطانيين ، وهذا جواز سفري البريطاني ، وعليه سمة القنصـــل التركي في لندن ، مؤشرة على ظهره ، وهناك اسمي : « غلام حسين » مدوّن عليه » . واشرت الى حيث كان اسمي بالانكليزية مكتوبا .

قال : « حسنا ، قد يكون ذلك ، لكنه ليس الجواز الشخصي الـذي نحمله جميعا ، وهو الضروري في تحقيق الهوية » .

قلت : « ان مستمسكا كهذا هو الآن امام ناظريك ! » .

قال : « كلا ! كلا ! كلا ! ليس هو الذي اقصد . ان هـذا جواز سفر . اين هو الجواز الذي اعطيته يوم اكملت زمن الخدمة اللازم في الجيش ؟ » .

قلت : « حسنا ! اني لا املكه » .
قال : « آه ! آه ! ولِمْ لا ؟ » .

« لسبب بسيط هو اننا لا نتشرّف بانْ نكون من الرعايا الاتراك ، وليس علينا ان نخدم في الجيش ما لم يطلب لنا ذلك ، ولا نجبر على حمل جوازات سفر تحقّق الهوية في كل مكان ، لاننا لا نخضع الى تحرٍ وازعاج ، وهما مما يُستمتع بهما تحت الحكم التركي ، ان عددنا لكبير ، وان ما لدينا من عمل لعظيم ، فلا نبدّد الوقت والمال ، ونتفق على « زينات » مثلك وعلى من يعمد الى احراجنا » .

لم يسبق ان أهين الـ (بوليس افندي) التاعس على مثل هذا الوجه من قبلُ ابدا ، لذلك استشاط غضبا . وكان الاكراد يستمتعون بالمشهد هذا ، ونصح احدهم ، او اثنان منهم ، بتركي وحيدا ، اذ تجلى انه لا يمكن ارعابي بدرجة كافية تحملني على ابتزاز رشوة مني قهراً . وكان جواز

سفري بيده ، ووقف مديدة لا يدري ما يفعل ، ولكي اختم الامر قلت : « ماذا تريد ؟ قل لي ، ومن المحتمل ان تنهي الامر » .

قال : « ماذا اريد ؟ اريد تطمين هذه الاهانات التي اوقعتها بي ، جواز سفرك ، وتحقيق كونك لست من المخرّبين . يجب ان اقوم بامتحان » .

قلت : « حسنا لنجرى الامتحان ، ولكن لن يكون ذلك قبل ان اقابل المتصرف . بوصفي اجنبيا اطلب حقي في مراجعته ، وعلى ما تعلم سيأتي قنصل بريطاني الى هنا بعد ايام قليلة (وتلك اشاعة كانت سارية في السوق) وسيسهل تقديم شكوى عليك ، وعلى اساليبك » .

قال : « حسنا جدا ! » ثم انه اهتز غضبا ، واتبع ذلك قائلا : « ان اردت ان تزيد من متاعبك ، فهيا » .

وعلى ذلك غادرنا الاسواق معا وجسنا خلال الشارع الطويل الناشط حتى بلغنا الحافة الخارجية للمدينة . وتبدّلت حاله فاصبح مواليا واخذ بيدي وسرنا ، ويد احدنا بيد الآخر ، واخذ يسألني كرّة اخرى ، ولكنها الآن اسئلة صديق : « لِمَ اردت المجيء الى هنا ؟ » .

اجبت : « ولِمَ ، عندما كان هنا ، في الايام الخوالي ، تجار من همدان لم تعمد الى سؤالهم وازعاجهم بمثل هذه التحرّيات والريب . كانوا باعة وشارين ، وانا كذلك ، لو كانت البلاد على حال اكثر سلامة وامنا » .

هذا ، وفي الوقت نفسه ، ما الذي اقدر على فعله غير الانتظار الى حين يستتب السلام ، ويسمح لي بالتثبت التجاري .

وسأل : « مع اي امكنة تروم الاتجار ؟ »

واجبت : « مع سافز ، وبانه[٩] ، وكوي[١٠] ، وكركوك[١١] ، وبنجوين ، وسنه[١٢] ، وعلى غرار ما يفعل الآخرون » •

وسأل : « وكيف تسنى لك معرفة هذه الامكنة جميعا ، ان كنت غريبا ، واين تعلمت الكردية يا ترى ؟ أخشى انك لا تقول الحقيقة عن ماضيك ، يا اخي ، اليس من الافضل ان تقول لي لِمَ اتيت هنا ، حالا • ان جوازاتك ناقصة ، وليس لديّ عداء شخصي معك واحب ان اراك غانما ، ولكن ثمة شكوك قوية ، فان لم نطمئن الى انك لست ضارا ، فمن الواجب نفيك الى الموصل فوراً » •

قلت : « حسنا ، لست مسحوراً بالسليمانية ، وان مثل هذا الاجراء يجعلني لك مديناً ، اذ ، بوصفي أجنبيا ، يجب عليك ان نعدّ الاحراس المسلّحين الذين سيصحبونني اليها ، وما ان اصل الا يجب على حكومتك ان تعوّضني عن خسارتي التجارية الناجمة عن تركي عملي هاهنا ،

---

(٩) « بانه » قضاء مستقل ذو ٨ نواح كائن في (منطقة صاوجبلاق) وتسكنه عشائر مكرى الكردية في كردستان الفارسية • [المترجم]

(١٠) كوي : يريد كويسنجق ، القضاء المعروف في محافظة اربيل ، وبجوارها قرية هي مسقط رأس الوطني (حاجي قادر بن ملا احمد زنكنه ١٢٣٣ ـ ١٣١٢) زعيم شعراء الاكراد ، غير مدافع وغير منازع وله (مجموعة اشعار) طبعت ببغداد سنة ١٩٢٠م •

(المترجم)

(١١) عثر على رقيمات عدتها ٥١ في تل من تلول كركوك و ٣١ رقما اخر في (يورغان تبه) من مجموعة المتحف البريطاني وتبين منها ان كركوك تقوم على موقع المدينة العتيقة المسماة (ارّفا) •

[المترجم]

(١٢) او (سننندج) مركز ولاية (اردلان ـ ارده لان) في ايران وجميع سكانها من الاكراد ، ويبلغ عدد سكانها على ما ورد في (دائرة المعارف الاسلامية ٤/٢٣١) نحو ربع مليون نسمة • [المترجم]

يضاف الى ذلك ، انني ، بمساعدة (القنصل) ، سأصبح قادرا على تقديم شكوى الى (الوالي) ، عنك وعن اساليبك تو"ا » .

وعند هذا بلغنا (السراي) ، أو « دار الحكومة » ، فقادني الى مكتب صغير كان فيه ثلاثة أو اربعة من الاتراك ، على أريكة يجلسون ، عاطلين لا يعملون . وحياني القوم وسألوني عن سبب زيارتي ، وما ان اعلمهم الشرطي الا" نظروا الي" نظرة ريبة ، وسألوا ان كنت لا املك جوازا . وكان ان اوضحت لهم اني املك جميع الجوازات الضرورية ، لكن جهل (شرطيهم) ، على ما يتراءى ، هو السبب في توريطهم في صعوبات . وهنا تراءت على وجوههم سيماء الجد ، وملمح من آهين ، فالتزموا جانب الهدوء السكينة .

وعاد (الافندي) بالعجل ، وقادني الى أسفل ، بسبيل معتم يفضي الى مكتب صغير آخر ، حيث كان ثمة تركي بدين يدعى بالـ (طابور اغاسي) ، ووقفت امامه كأني متهم يقف امام القاضي . وكان هناك كرديان ، أو ثلاثة اكراد ، ولما كنت اعرف احدهم فلقد اهتبل الفرصة ليسأل : ما هي المشكلة ، على حين كان الشرطي يوضحها الى الرجل البدين بالتركية . اني لزعيم باني افصحت عن تمززي ، بحرية ما بعدها من حرية ، ذلك ان الاكراد ضحكوا من ذلك ضحكة قلبية . وانثنى الشرطي الذي كان لا يفهم من الكردية كلمة ، وسأل عما كنت اقول بحدة . وكان الـ (طابور اغاسي) في الوقت نفسه يفحص جوازي الانكليزي ، وكان يحمله في اثناء ذلك مقلوبا ، رأساً على عقب ، وعليه سيماء الصرامة . وعني بالاختام والمصادقات المتعددة الموجودة على ظهره ، واولع بها كثيرا . وكان ان عثر ، اخيرا ، على (سمة) قد منحت قليلا ، صادرة عن القنصل التركي في كرمنشاه ، وكانت قد الحقت بالجواز قبل وقت من مغادرتي المكان واتخاذي الى بغداد سبيلا .

لقد طمأنه ، على ما تراءى ، منظر الختم التركي ، لذلك اشرت الى السمة الصادرة عن القنصل التركي في لندن ، فاخذ يفحصها مليا . وتراءى ان هذه تبدد شكوكه ، وبقرنها بجواز الرحيل التركي ، على ما ظهر ، اعادت اليه الهدوء والسكينة ، وهذا ما قاله للشرطي حقا . واعترى الشخص - الذي لم يكن قادرا على قراءة « التصديقات » المختلفة - شيء من الغضب ، فخطر له ان يثير مشكلة عن طريق سؤال مفاده : كيف استطعت ان امرّ بكركوك من دون « تفتيش بوليسي » وختم على جوازي . واخذت الجواز منه واريته ختم شرطة كركوك ، لكنه لم يستطع الى قراءته سبيلا ، وابان انه يعتقد انه كان مزيّفا ، لذلك ناولته الى احد الاكراد الذي بادر فقرأ ما عليه من كتابة متلذّذا ، مما جعل حتى الـ (طابور اغاسي) يتبسّم من ذلك ضاحكا ، كما ضحك الاكراد أيضا ، ذلك اني لم احجم عن تعبير علقت به على قابليات (قومیسیر الشرطة) الذي لم يتمكن من قراءة اختام زملائه ، فيعتمد على الاكراد ليقرأووها له ، بدلا عن ان يقرأها شخصيا . وعندها نفد صبره ، وافلت منه زمام اعصابه ، وانا على شاكلته ايضا ، ذلك انه شرع يبدي ملاحظات حمقاء فاخذت اكلّمه بلهجة لم يعتد على سماعها ولسان حالي : [لقد أسمعت فاستمع الجوابا !] ، امام الاكراد ، يقينا ، لذلك التقط الجواز وذهب . مفارقا . وكان الـ (طابور اغاسي) يتراءى غضبان أسفا ، فهو لا يقرّ امثال هذه (الاجراءات) طبعا ، لكنه ارسل ، وراء الشرطي ، رجلا يقول له : بان يختم (الجواز) ويسجّله ، ويأذن لي بان اتخذ السبيل منصرفا ، فلقد اوقعت ما هو كاف من الخبر حاليا .

الرواج ...

وفي غضون خمس دقائق عاد بالجواز وقد خُتم وصودق عليه ، وطلب نصف (مجيدي) باعتداده « المحاولة الاخيرة » . وكان ان اخذت

منه الورقة وودّعت الـ (طابور اغاسي) وقلت له بالكردية : اني سأدفع له المبلغ في الموصل ، عندما أُنفى اليها . وما ان تمّت ترجمة قولي له الاّ كنت قد فارقت (المكتب) ، وهو (كباسط كفيه الى الماء) ، منصرفا .

وسمع كلُّ من كان في (المكان) بالقضية ، ثم اني مررت منصرفي ، بصف من الاكراد العاطلين ، وهم يطلقون تعليقات مليمة شنيعة على الشرطة وموظفي الحكومة كافة ، فحييتهم تحية الصباح .

واتخذت سبيلي من هنا الى (الخان) ، فوجدت كلاً من (حبيب) و (متي) وقد دهمهما الخوف ، تراهما : (تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) ! اذ قد سمعوا باني القيتُ في غيابة السجن ، وفُرضت عليّ غرامة تقصم الظهر . لقد حيّاني الرجلان ، وانا الج المكان ، كما حيّاني التجار الاكراد ، بحرارة يتندّى لها القلب ، وتراءى لهم ، وكاني خلصت من بلية معيّنة نجيا ، بعد ان بتّ في براثن الاسد متشبا ، ولم أفلت من ذلك الاّ عن طريق الطالع الحسن ، وهو ما لا يحدث الا على الندرى .

وتضاعفت مخاوف (حبيب) ، اذ قبل أن يستدعيني الشرطي كان ذهب الى دكانه وأجرى معه تحقيقا ، اتضح له ان فعاله وصداقته معي ، باعتدادي مشتبها به ، تعرّضه الى السجن ، أو الغرامات ، أيضا . وعلى العموم كان (حبيب) ذا مزاج سيء ، فباعتداده تقدّميا ، يتكلم التركية ، اصبحت لـه بالموظفين الاتراك معرفة ، وبطبيعة الحال ، بدأ الشرطي يزعجه باسرع من ازعاجه (متي) ، وهو من لم يكن ليتكلم غير العربية والكردية ، لكن اعماله معي كانت اكثر من حبيب . ينضاف الى ذلك : ان الاكراد والنصارى وجدوها فرصة ذهبية لينحوا باللائمة على (حبيب) بصدد رغبته في ادراك الحظوة لدى الاتراك وتعرّف امورهم ، وهي التي قادته الى ما يقرب من حال خطر .

وعلى الرغم من النهاية المسرّة للقضية ، علمت انني ، على القطع ، عاديت الموظفين الموجودين في (الموقع) ، وانني لابد أن أُمنى بما يقلقني ، عندما يكون ذلك ممكنا . وما كانت السليمانية على حظ من السحر الخاص ، ولما كانت حال البلاد آخذة بالقلق والاضطراب ، اكثر فاكثر ، ويوما بعد يوم ، فالهماوند هم مبعث ذلك والامل في العمل خائب تماما ، لذلك اخذت افكر في الرحيل ان كان محتملا ولسان حالي يردد : « اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع » .

كان (متي) ، الذي كنتُ امرّه بجلّ متاعبي اطبق عليه الحزن ، ولم يكن ليتنبأ بالخير الى أي شخص آخر مقيم في السليمانية . ان لم يذهبوا الآن قسراً ، على ما كان يقول فانهم راحلون اخيرا . ذلك ان الاسعار ، بفضل (الشيوخ) والاتراك ، تذهب صُعُدا ، والضرائب ازديادا ، والسكينة مكتنفة بالريب دوما . انعدمت التجارة ، ولن تجد خبزا تبتاعه ابدا ، كما ستفتقد النقد الذي تشتري به هذا الخبز أيضا .

كان شعور الاسى يخامره ، آنذاك ، ذلك انه حاول ارسال بعض الطنافس الى الموصل عن طريق (كوي سنجق) ، حيث الطريق مفتوح ، لكنها نُهبت على الطريق . كان ينصحني ، بشدة ، بمغادرة السليمانية ان استطعت الى ذلك سبيلا ، لكنه ، كان ، في الوقت نفسه ، يلحظ تعذّر اتخاذ مثل هذه الخطوة ، لاسباب عدّة : اولها ان (حمه) لا يزال في حلبجة[13] ، فاليهودي لم يذهب للاتيان بالشحنة الثانية من (الدهن :

---

(١٣) لا تزال فيها آثار بنى شيدها عثمان باشا الجاف الذي ورد اسمه أكثر من مرة في هذا الكتاب وعينه العثمانيون قائمقاما عليها (١٨٨٩) كسبا لوده وود قبيلته الكبيرة الجاف ونكاية بالفرس . او آنئذ - انجب عثمان باشا بن محمد باشا الجاف الشاعر الكردي طاهر بك وهو من كان يقرض الشعر باللغتين الفارسية والكردية واحمد بك وكان على غرار اخيه ايضا . (المترجم)

ر'ن) ، وهو يتسكع في القرى ، وثانيا : لو تُركت الامور على مثل هذه الحال ، فان (متي) لن يكون مسؤولا عن استرجاع المال . أو على ما قال حقا : « ان المالك الغائب نعمة تنال على الدائن الخرب الذمة ، ومبعث يأس بالنسبة للوكيل » ، ومما هو اسوأ من ذلك ، ان السبيل الى أي مكان ، فيما خلا فارس معدوم ، وما كنت معنيا جدا ، في مثل هذا الوقت ، بان اتخذ السبيل اليها . ولو استطعت ان ابلغ كرمنشاه ، لفعلت ذلك ، لكن الطريق المادّ الى (جوانرو) كان متعذرا اجتيازه ، كما ان (ديار كالهر)[١٤] كانت رأسا على عقب ، لذلك كان السفر اليها غير ذي

ونزيد معلومات القارىء الكريم عن (السيدة عادلة) زوج عثمان باشا ، التي تردد اسمها في (الكتاب) كثيرا فنقول : انها ابنة عبدالقادر صاحبقران ، ولدت في (سنة) موطن قبيلتها اردلان ، وانها كانت تعمل على احلال روح الصفاء بين الاخوين رئيسي الجاف (محمود باشا) و (عثمان باشا) وانها كانت تمقت العثمانين وحكمهم ، وقد كانت الحاكمة في منطقتها فبنت سجنا لتاديب الخارجين عن القانون في ديرتها كما انشأت سوقا في قضاء حلبجة وثلاث دور واسعة لتطوير المدينة . وعند الاحتلال البريطاني تقرب منها رجاله فمنحت وساما ولقبا رفيعا من حكومة الهند هو (خان بهادور) وقلدها الوسام الجنرال فريزر من كبار القواد البريطانيين وقد حان حينها في عام ١٩٢٤ وهي تهدف الى الـ ٦٥ من العمر . وتضم رفاتها مقبرة قرية ابا ابيلي (ابي عبيدة) ، قرب حلبجة .

(المترجم)

(١٤) يقـــول (رولنصن) في كتابه الموسوم بـ (من زهاب الى خوزستان) ان بعض عشائر الكلهر هم من نحلة الـ (علي الهية) والتي فيها شيء من اليهودية . والكلهر يدعون انهم من سلالة (رهام) الذي ما هو الا (بخت نصر) فاتح يهودية . وفي الحق لو كان منفى اليهود هي ديار الكهريين الحالية هـــذه فلا يستبعد ذلك ، وهناك من يذهب الى ان (كلهور) تطلق على الاكراد غير الكرمانجيه وهي القسم الاعم من اللهجات الكردية ، والكلهور يسكنون ببلاد سنه وكرمانشاه ، وقصر شيرين ــ كرند وهم يعيشون صيفا في جبال لورستان الغربية وفي الشتاء يقيمون في منطقة زوهاب وقصر شيرين . (المترجم)

موضوع . وكان في مكنتي ان ابلغ الموصل ، لكن غايتي كانت بغداد ، والطريق اليها ، سواء اكان عبر (كوى) ، ام عبر (كركوك) ، مقطوع اطلاقا ، كما ان (الهماوند) شغلوا بالاً يمر منهما احد ابدا . وكانت البُرُد تذهب وتجيء على فترات ، في هذا الاوان ، وهي ترفض نقل ما هو اكبر من مكاتيب ، وهذه يمكن اخفاؤها تحت الملابس التي يرتديها الزرّاع ، نَقَلتُها ، وحتى على مثل هذه الحال كان الهماوند يعمدون الى امساكهم ، وضربهم ، وحرق الرسائل . لذلك كان كل ما استطعت القيام به هو القعود هادئا متربصا ، وذلك على غرار ما كان يفعل (مني) وسائر القوم جميعا .

شيخ الاسلام

وذا صباح ، مثل (حمه) كرة اخرى على غير ترقب ، ومعه اربعة اوساق من (الدهن : رون) ، ما كنت آمل ان يجيء بها ، وهي قسط من الكمية الاخيرة . كما انه ابرز (تومانات) جمعها على حساب الاحذية . لقد كانت له خبرات ممتعات مع (شيخ الاسلام) ايضا . انه ذلك الشخص المستهجن الذي اتخذت السبيل الى (بيارة)[١٥] كي اقابله خصيصا ، حين كنت في حلبجة ثاويا . ويتراءى انه ذا عصر زار حمه (ديوان) السيدة عادلة فوجد (شيخ الاسلام) فيه ومن غير ان يرد تحية (حمه) سأله : ماذا فعلت بسيدك النصراني ؟ لقد اثار السؤال الخواطر جدا ، ولم يستطع (حمه) ان يحري جوابا . وطلب كل من (السيدة عادلة) وعثمان باشا اللذين كانا حاضرين لذلك تفسيرا ، فهبّ (شيخ الاسلام) واقفا يعاتبني ويقول : انه لقيني في اصطنبول ،

---

(١٥) قرية جميلة خلابة بجمالها واقعة على الحدود العراقية ـ الايرانية وعلى بعد ١٨ كيلومترا من حلبجة وفي واد منبسط جميل يعرف باسمها .

(المترجم)

حين كنت ارتدي الملابس الاوربية ، وانني صرّحت ، هناك ، باني اوربي ، على حين ارتدي ، هنا ، ملابس المسلمين وادّعي اني فارسي . وقال انه كان في اسطنبول متأكدا من انني لست باوربي . لقد خاب في معرفة هويتي ، لكنه كان يذهب الى انني ، على الاحتمال ، لست بمسلم ، وان لا معدى عن ان تكون لديّ خطط شريرة حملتني على ان اتخذ السبيل ، على حال تنكّر ، الى قلب كردستان الجنوبية ، وانا على معرفة بجانبها الفارسي . ثم نهض ولسان حاله يقول :

من استنام الى الاشرار نام وفي قميصه منهم صلّ وثعبان !!

وشهّر بي باعتدادي جاسوسا : صانع الشر ومبعث خطر على البلاد ، ثم ختم ذلك كله بصب شتيمه على (حمه) لصلته بي . لكنه كان في ذلك متسرّعا جدا ، اذ سرعان ما لقي من (السيدة عادلة) على قوله ردا رافضا . ذلك انها ، على ما يظهر ، كانت شهدتني اقيم صلاتي الاسلامية مرات عديدة ، بالحمية التي كان يقيم بها (شيخ الاسلام) صلاته تماما . دافعت عني وقالت : ان من المعلوم تماما انني فارسي من شيراز ، وهي حقيقة تتجلى من طبيعة كلامي ، وفي هذا ايّدها (منصور) الذي انكر بقوة انني نصراني ، فهو قد شهد صلاتي وانا اقيمها في غرفته الشخصية ايضا . وشهد آخرون بصدد ايماني الصحيح ، فاخذ مركز (شيخ الاسلام) يتراءى متداعيا قلقا . وهنا عمد (حمه) الى التفوّه بعبارة خارقة اجهزت على مدعياته . لقد ذكّر الحاضرين بزيارتي (بيارة) ، وقال انه سيعمد الى تبيان السبب في عداوة (شيخ الاسلام) لي : قال اني كنت قد اقرضته في اسطنبول مالا ، يستعين به على القفول الى بلده راجعا ، وانه لم يدفع هذا المال أبدا ، لذلك جئت وأنا على طريقي الى فارس الى السليمانية قصدا ، او الى استيفاء ديني آملا ، وزرت (شيخ الاسلام) في

بارة لهذه الغاية حصرا . ولما كان (شيخ الاسلام) يروم ان يلط[16] حقي وينكر ديوني عليه لذلك اتّخذ موقف الشنآن كي يرعبني ، فاولي من هنا راحلا . ولما وجدني ، اليوم ، بجواره ، فانه ، من غير شك ، يروم ان ارحل عن هذه المنطقة عن سبيل اثارة الخواطر العدائية بازائي . وعند هذا انقلب (الوضع) ، وتكلّمت (السيدة عادلة) ، اصالة عن نفسها ونيابة عن (الباشا) ، بما ينمّ عن انكارها ، بعبارات قوية ، وقالت لشيخ الاسلام انه ما لم يعتذر لـ (حمه) فانهم سيطردونه . لا من بيتهم ، حسب ، بل من الديار كلها . وعلى ذلك قدّم الاعتذار ، وانفه راغم ، وهو خزيان ، جدا ، وجاء (حمه) يعلو رأسه اكليل النصر ، وهو الذي يزهو به من يثأر لنفسه ويظفر بغريمه .

انه ، الآن ، يحمل دعوات من كل من (عثمان باشا) و (السيدة عادلة) و (طاهر بك) للبقاء لديهم في (حلبجة) ، وعنده مشاريع تامة لتجارة موسّعة يسبغان عليها حمايتهما . كما كانت لديه اخبار سيئة ، ذلك انه كان يحرس عددا عديدا من اوساق (الدهن : رون) ، فقد احدُها وهو يساوي ، لديه ، المبلغ الكبير ، اعني ٤٠ تومانا ، او سبعة جنيهات . ان القافلة التي صحبها الى السليمانية وصلت مبكّرة جدا ، عند تبلّج الصبح ، وقد انصرفت عنايته الى بغل كان كبا وسقط ، كما انه سمع لاثقاله الاخرى بالمضي قُدُما ، خلل قرية تقع خارج البليدة .

سرقة حمل

وهنا احتبل احدهم مناسبة عدم وجود حارس فقاد ، بهدوء ، حمارا محمّلا الى الفناء . وكان ان مضت القافلة في طريقها ولم يلحظ من فيها

---

(١٦) الطّ حقه اي انكره مع علمه به وهي عندنا من العامية الفصحى .

(المترجم)

فقدان الحيوان حتى دخلت السليمانية • وامضى (حمه) ، صباح يوم ، يعدّ الشهود على السرقة ، وهو امر محتمل جدا ، وذلك على الرغم من ان احداً لم يشهدها ، وما ان تبّت الجرم على بعض القرويين ، وذلك بالائتمار مع بائع دهن غريم ، الا كان بسبيل الذهاب الى الشرطة للقيام بالتحقيق • ولم يظهر لي ان القيام بشيء ما ذو فائدة كبيرة (كنشر الميت واعادة الحياة اليه) ، ذلك اني كنت اعلم ان (القضية) ستذهب الى (قومسير الشرطة) ، واعلم ، ايضا ، انه سيتخذ خطوات تحقق هدفين : الاول منهما عدم حصولي على بضاعتي ، كرّة اخرى ، والثاني انه سيخرج منها ، بعد ان يحصل على النفع الذي أراد الحصول عليه بسبيل ما اتّخذه بصدد (جواز السفر) اياه • ومهما يكن من امر ، فان صاحب الحمار سيبذل افضل ما في وسعه لمساعدة (حمه) ، ان وجدت البضاعة ، وكنت على ريب من ذلك [وعند اليأس ينقطع الرجاء] ، اذ على الاغلب ان قد جرى التصرّف بها في مثل هذا الوقت ، فجعلت في جرار وآنية ، واتلفت الجلود • لذلك تركت الى (حمه) ان يفعل ما يستطيع ان يفعله • وكان انزعاج كل من (متي) و (حبيب) كبيرا ، وقد حلفا ان (القضية) كلها قد دُبّرت تدبيرا وانها تجمت عن ثأر (قومسير الشرطة) ، والحّا عليّ بعرض القضية على (المتسلّم)[١٦] ، وهو (مقدّم) كان يقوم مقام (رئيسه) وهو في جمجمال حيث يرقب النازلة على (الهماوند) ــ ان امكن الامساك بهم •

كما ان الهرم مصطفى بك الذي كان لا ينفك عن اداء زياراته ، والشمس شارقة ، جاء والحّ على السماح له بالذهاب ومقابلة (قومسير

(١٦) المتسلم اطلقها العثمانيون على من يقوم مقام رأس الوحدة الادارية : اللواء اعني المتصرف مؤقتا لحين تسلمه مهام منصبه •

(المترجم)

الشرطة) نفسه ، والاصرار عليه بتحريك (القضية) . ان الهرم ذو شعور دائب محصله انه على حظ من خطر ، ولا يستطيع الا يتبين غير ما هو جلي مثله ، اما انه قد « وضع على الرف » ورمي به الى هذا الركن القصي من الانبراطورية التركية ، فلكي يندثر كيانه ويتضاءل قدره تدريجيا . لقد تسلم منصبا جديدا في الايام القليلة المواضي ، وهو على غرار سابقه مشاهرة من غير عمل ، سواء بسواء ، ذلك انه لم يستطع الوصول الى مكانه ، ولو تسنى له ذلك لطرده الاكراد منه .

كان حريصا جدا على قبول دعوة (مدير المدرسة العسكرية) الى احتفال كبير تقيمه طائفة السكان الاتراك احتفالا بالذكرى السنوية لقيام (حكومة تركية الشعبية) ، وقد اطلعني على نسخ برقيات تسلمها الموظفون المختلفون . لقد صدرت الاوامر بان تطلق ما لا يقل عن ١٢٠ اطلاقة مدفع ، وان تصرف ٥٠٠ ليرة على الاحتفال ، من الواردات ، وعلى التزينات أيضا . وطلب الى جميع الرعايا المخلصين وضع فوانيس على سطوح بيوتهم ليلا ، ونشر اعلام على ابواب دورهم ، نهارا .

يجب غلق السوق ، وان يعزف جوق موسيقي ، من الصباح حتى الليل ، حين تطلق الالعاب النارية في الميدان الكبير المفتوح الكائن امام (السراي) . وعزف الجوق ، على ما اتذكر ، لكنه كان في عزفه مخلا ، ذلك ان رئيس الجوق ، وكانت مشاهرته نزرة ، تدفع على غير وجه منتظم ، قد رهن عددا من الآلات الموسيقية النحاس . واطلق نحو ٢٠ مدفعا اطلاقاته ، وان الـ (طابور اغاسي) الذي كان مسؤولا عن الامر مؤقتا ، كان اخذ كمية البارود على وجه التمام من (مذخر العتاد) وباعها الى صانعي الاسلحة في المدينة . لذلك كان الامر غير نقاذ قليلا ، سيما وان الاكراد رفضوا غلق السوق واقامة التزينات .

وايا كان الامر ، لم يتبأ مصطفى بك بمثل هذا ، وتصور انه

سيكون امرا حسنا جدا ، ثم اظهر تقززه ، بصراحة ، أخيرا ، شأنه كشأن ثاته ، اولا .

وبعد ليلة ، أو ليلتين ، من ذلك ، ايقظتنا ، على غرار ما كان يحدث لنا كل ليلة تقريبا ، اطلاقات ، لكنها كانت ، في هذه المرة ، قريبة تصحبها جلبة . وامكن تشخيص شخصين ، أو ثلاثة أشخاص معتمين ، كانوا يركضون على طول سقف السوق ، هاربين من وابل النار الذي كان يصبه عليهم السكان المجاورون الذين كانوا ينامون على السطوح ، ويجابهم بندقياتهم . وعلى كل حال ، وعلى غرار ماجريات هذه الامور ، تلاشى الحادث من غير ازعاج ، باعتداد ذلك هو الأحجى ، واخلدنا الى سنة من النوم ، كرة أخرى . وما ان تبسم الغلس ، عند الصباح المبكر من اليوم التالي ، الا سمعت صوتا يتناهى من الشارع ينادي : « اغا غلام حسين !! » ، وما ان تشوفت من حافة السطح الا شهدت (متي) ، وهو من جاء من (الخان) راكضا ، وكان لا يزال يرتب من امر مشد خصره .

موت مصطفى بك

قال : تعال على استعجال : « [اصم بك الناعي وان كان اسمعا !] . والتقطت عباءتي ونزلت الدرج ركضا ، والتحقت به في الشارع . كان مهتاجا جدا ، وجوابا عن اسئلتي لم يفه الا بكلمات ، خرجت مع تنهداته : « خاني غفور اغا » ـ اي خان غفور اغا ، وكنا نسير تلقاءه ركضا .

وكان يتجمع حول الباب حشد من الناس صغير ، وعند النهاية القصوى ، عند الغرفة التي اقمت فيها مرة ، بجوار مصطفى بك ، كانت ثمة زمرة واقفة تبينت من بينها طبيب البلدية و (الكتبة) ، وهو يوناني صغير الجرم . وما إن تقربت الا اوماءوا ، فركضت استطلع ما هذا الذي كانوا يحيطون به ؟

كان يضطجع حيث سقط : العجوز مصطفى بك . ان وجهه ، الآن ، غدا بلون مخيف يتراءى في الغسق ، وهذا الوجه أبيض دائما ، وهو يتناقض مع جسده الذي يظهر أحمر . لقد نفذت سكين الى معدته فشقتها بطول ٩ انجات ، وبذلك خرج ما فيها . كان يضطجع في بركة من الدماء ، يدوس عليها الواقفون ، وقد تشكل مستنقع صغير حوله . كان واعيا ، لكنه كان ضعيفا جدا ، لا يستطيع الا تحريك عينيه والهمس . كان سأل عني ، وها انا ذا قد جئت معجلا ، فانحنيت عليه ، جاعلا اذني على فمه ، وعندها همس يطلب ان افك حزامه .

وسألت (الطبيب الجراح) ان يقوم به ، ففعل ذلك بالطف ما يستطيع . وما كان ذلك كل شيء ، اذ كان لدى الرجل الهرم شيء قليل يريد قوله ، وما كان مستطيعا ذلك الا تدريجيا . والتقطت الكلمات ، وهي تجاهد خارجة من شفتيه : « ارسل كل ما هو موجود هناك الى طرابلس . يا بُنيَّ الصالح يا بُنيَّ الصالح كنتَ بشرا ... اما البقية فمتوحشون .. اوكل امري الى الله ... الله ... » .

وكان (مني) يقف على فوت قليل ينشج و (دمع العين ينحدر انسكابا) ، اذ كان ذا قلب رقيق مخلص ، وكان الاغريقي الصغير يتمخط ، وهو يعد الجثمان لنقله . وجلست على مسافة بعيدة واخذت انتحب ، والجزع كوى القلب مني ، ذلك اني احببت الرجل العجوز حباً جماً . وقف الاكراد ، وحدهم ، متحلقين من غير ما حراك ، ذلك انهم شهدوا ما هو اسوأ من هذا ، ولعلهم يقومون بمثله أو يُمنوا به في أي يوم من الايام المقبلات .

وكان الجراح ، وهو رجل كفء صغير الجرم ، قد امر باحضار تابوت ، وقد أُعدّ ذلك على عجل ، وجيء به ، الآن ، وغادرنا (الخان) الى حيث غسلة الموتى الذين حضروا حاليا ، ثم لنرجع عندما يتمّ

العمل • ولما لم يكن هناك من مكان تنتظر فيه ، لذا اتخذنا السبيل الى المقهاة[١٧] ، وسمعنا فيه كيف وقع الحادث تفصيلا •

كان غفور اغا ، صاحب الخان ، للبلدية رئيساً ، وذلك الى ما قبل مدة وجيزة ، وحين كان يشغل هذا (المنصب) نجم بينه وبين (الشيوخ) خلاف • لقد عزل ، الآن ، عن منصبه ولم تبدّ (اسرة الشيوخ) وقتا فاظهرت له العداء السافر واغارت على (خانه) • وكان فيه مكتب ، أو مكتبان من مكـــاتب العمل ، وكان من بينهما ، المحل التجاري العائد الى الحاج فتاح ، وكان « الشيوخ » يرون فيه فريسة قد تقع في ايديهم يوما ما • وكان اللصوص يعلمون أيضا ان احد التجار اليهود قد جاء الى مكتبه في اليوم السابق بـ (١٠٠٠ تومان) فضة ، وكانوا يأملون سلبها • وتراءى ان أي فرد كان يجهل كيف اتخذ اللصوص الى (الخان) سبيلهم ، اذ ما ان استيقظ (البواب) الا وجد الأبواب الضخمة مفتوحة على مصاريعها • لقد ايقظت اصوات انبعثت عن ولوجهم (مكتب الحاج فتاح) : مصطفى بك ، وكان ينام في (بلقون) قديم على الشرفة المقابلة ، ولما كان سريع التأثر لذا اخذ يصرخ عاليا مناديا (حسن) : البوّاب • وجاء اللصوص يستطلعون خبر المنادي ، فوجدوه جالسا هناك ، وحذّروه من احداث اي ضوضاء اخرى ، والا قتلوه • لذلك التزم جانب الصمت من الوقت حينا • لكنه خرج من (منظرته : بلقونه) ، والظاهر انه كان يريد غلق باب حجرته ، ولم يرحم نفسه اذ اعلم العالم الخارجي عمّا جرى • لذلك نادى على احراس الليل في الشارع بأعلى صوته ، وقبل ان

---

(١٧) استعمل بعض اسلافنا (بيت القهوة) ، ومقهاة استعملناها قياسا على (مفعلة) وقد قالت العرب (مأسدة) للمكان الذي تكثر فيه الاسود •

(المترجم)

تمضي مديدة عمد احد اللصوص التركمان الى الأمساك برقبته واغمد في جسمه خنجره الطويل وتركه حيث سقط صريعا •

لقد علمنا هنا من الناس الموجودين في المقهاة ، وقد اطُلِع عليه بسماع الافادة التي أدلى بها البوّاب الى الشرطة ، وقد علمنا ، بتمام الطمأنينة والرضى ، ان اللصوص لم يمضوا بشيء ذي قيمة ، فنقود اليهودي كانت في حرز حريز جدا ، كما ان نفائس (الحاج فتاح) كانت مودعة في صندوق كبير من حديد • ولما ظهر الأحراس الليليون ، اثر مقتل مصطفى بك ، وايقظوا (المدينــة) بسيل الاطلاقات النارية ، اضطُر اللصوص الى تسوّر الجدار الى السقف ، فالهروب • واستطاع البوّاب تشخيصهم وذكر اسمائهم الى الشرطة • ولازم هؤلاء السكينة ، لكــن الناس علموا انهم رجال (الشيوخ) ، لذلك ما ان جاء احدهم يعلمنا بان الـ (قومسير أفندي) كان يفحص السقوف للوقوف على طبعات الاقدام الا ّ شاعت على الوجود بسمة سخرية ، فالسطوح كانت صلدة صلبة ، كالحجارة او اشدّ قسوة ، ولن يترك عليها أثر قدم ، فان تُرك ، صدفة ، فانه يمحى بأقــدام المارة ، جيئــة وذهوبا ، على طريق الهرب ، اذ في السليمانية تتخذ النسوة السطوح جادة •

ولما لم يأتنا احد يخبرنا باعداد (الجثمان) ، لذلك اتخذنا السبيل الى مكتب متي للانتظار • وكان متي متأثرا بالحادث المحزن كثيرا ، وما كان يميل الى القيام بعمل ما في ذلك الصباح ، ولما كان الحديث يدور حتما على سبل مغادرة السليمانية وطرقها ، لذلك عدنا الى موضوع رحيلي كرّة اخرى ، وقرّ رأينا على ذلك بمجرد سنوح الفرصة له ، في (قافلة) تتخــذ السبيل الى (كوي) ، اذ منهــا استطيع ان امضي الى (الطون

كوبرى)[١٨] ، أو بسبيل احد مالكي الحمير من الـ (شوان) الذين ينطلقون من السليمانية للوصـول الى كركوك بعطفـة طويلة مارة من ديارهم جصرا .

وعلى هذا الوجه أُقرّت الامور ، وتبيّن ان (متي) بلغ مرحلة توجيه سؤال تراءى ، على ما يخيّل لي ، انه كان يريد توجيهه مرات .

قال : « والآن ، وبعد ان سترحل قريبا ، اريد ان اسألك سؤالا ، ان لم ترد الاجابة عليه ، آمل الا يكون بشعورك ماسّا ، ولك الا تحري عنه جوابا . لقد مضى حين من الوقت على مقدَمك الى هنا ، وقد اصبحنا نعرف بعضنا بعضا جيدا ، ولقد بذلت افضل ما استطيع في سـبيل ان اكون لك ظهيراً . لكنني لحظت شيئاً واحدا ، هو : انك لم تقم بتجـارة ما ، في كردستان قبلا ، وحتى لو كنت قد قمت بها حقا ، فانك لم تكن بها ، على وجه كاف معنيا ، وبالحصول على المال الذي يساعدك على ان تصيب نجحا . يتراءى انك لا تهتم ان كـانت مضارباتك تجود عليك بالربح اولا ، وان محادثاتك ليست ، على غرار محادثات التجار ، ذات صلة بالنقود ابدا ، وانها تتناول موضوعات يطرقها من لا حاجة لهم بدراسة التجارة بتاتا . يتراءى انك تُعنى كثيرا باغناء المعلومات المتصّلة بالكردية وكردستان ، وباكثر من العناية بالتجارة ، والاهتمام بشراء كتاب باكثر من ان تولي اي شـيء آخر اهتماما . لقد لحظ (حبيب) هذا ايضا ، وكان العجب يداخلنا غالبا نحاول ان نعلل بها وتتسابق الى ذهننا اسئلة شتى لِمَ قدم فارسي ، وفارسـي

---

(١٨) راكبة الضفة اليسرى من الزاب ، والقسم الاصلي منهـا يقوم على جزيرة في وسط النهر ، ووردت في تفسير اسـمها (الطون كوبرى) تعليلات شتى، منها جسر السيدة الطون، والعرب تطلق عليها اسم (القنطرة) والاكراد (بردە) . وقيل انها بنيت لتكون محطة لجيش السلطان العثماني مراد الرابع في اثناء حملته على العراق وكانت لزمان طويل مضى محطـة للاكلاك . [المترجم]

شيرازي ، إلى هنا اطلاقا • اذ على الرغم من وجود فرس ، في الأيام المواضي ، ها هنا ، الا انهم كانوا من (همدان) حصرا ، وان شيرازيا لم يُر قبلا •
وعلى الرغم من ذلك لم تتطوع فتدلي بخبر ما او تحري جوابا ، ولم اجسر على ان اسأل سؤالا ، لأني كنت اشفق من ان يكون في ذلك ، بشعورك ، ماسا • وعليّ ان اقول ، لزاما ، ان هذه الخصيصة عينها ، واعمالك التجارة ، وانت هنا لأجلها ظاهريا ، هي التي حملت الشرطة على مراقبتك شخصيا ، ولو لم تفلت من قبضتها ، لعانيت ، وعاني حبيب ، كثيرا ، ذلك ان الشرطة لا تعدم اي فرصة تسنح لها فتمتص الدم مصا ، ويحتمل اننا كنا نصبح في عداد المشبوهين ايضا ، فنهدد ونرعب على وجه لا رحمة فيه ابدا » •

افصاح عن هوية

قلت : « ان الجواب الوحيد على الصراحة هو : الصراحة نفسها ، وسأحدثك حديثا تسمع في اثنائه عجبا ، وآمل الا تعتدني امرءا مختالا • انك ، على غرار البقية ، قد خدعت فحسبتني على ما كنت قد مثلت نفسي اصلا ، واني لمطمئن الى شعور محصله : اني اذ اترك الآخرين تحت مثل هذا الوهم ، فاني لقادر على ان ارد لك بعض الدين الذي انا مدين به لك ، شكرانا ، فاخصك بالوقوف على الحقيقة ليتبدد الوهم (كاضغاث احلام يشتتها الفجر) شخصيا •

« وعلى ذلك لزاما عليّ ان اقول لك اني : لست فارسيا ولا تركيا ، ولا كرديا ولا كلدانيا •• اني انكليزي ، نسلني والدان انكليزيان في انكلترة ونشأت في هذه الارض انشاءاً • لعل هذه الحقيقة نفسها تفسّر لِمَ انا في هذه الديار شطرا ، اذ عليك ان تعرف ان (ابناء جلدتي) قد جُبلوا على الترحال في الدنيا كلها من غير سبب يحدوهم على ذلك غير مشاهدتها ، ورؤية من يعيش من الناس عليها • لقد امضيت تسع سنوات من حياتي في فارس ،

وتعلمت فيها لغتها ، وقفت على طرف من معلومات تتصل بعاداتها واعرافها . ولكي اكون على حظ من معرفة وثيقة باهلها ، اتخذت الاسـلام دينا ، ظاهرا ، واجتزت دراسات في الديانة طوالا . ووجدت نفسي قبل سنتين في كرمنشاه ، الكائنة في الجنوب الشرقي من كردستان . ولما وجدت في الناس واللغة دراسة ممتعة لذا صممت على متابعتها ، ما استطعت الى ذلك سبيلا . وعلى ذلك ، وبعد ان لبثت في انكلترة ، في السنة الماضية ، من الوقت حينا ، شعرت بان سحر كردستان وجبالها يطبق عليّ اطباقا ، وقررت ان ازورها كرة اخرى وامكث فيها من الزمان لأيا . لكن ذلك كان ، باعتدادي اوربيا ، امرأ غيرَ مرغوب فيه ، مستحيلا . فانت تعلم ان الاوربي اجنبي ، غريب من غير معارف ، يحل في مركز منعزل لذا يعتدّ خطرا . ان حركاته تعرقل وتعوّق ولا يسمح له بالذهاب من محل الى آخر غالبا . يضاف الى ذلك كله : اني لو رغبت في السفر ، على هذا الوجه ، لما استطعت اليه سبيلا ، اذ انا لا املك من المال الاّ قليلا . فانت ترى ان كل شيء دال على الحقيقة القائلة باني ان رمت مشاهدة كردستان ، كرة اخرى ، فما عليّ الاّ ان امضي اليها على حال متواضعة ، وباعتدادي واحدا من اهاليها . وعلى هـذا رحلت من اصطنبول ، متنكّرا ، وجئت الى ها هنا تدريجيا ، الى حيث كنت اصبو ان احلّ ثاويا ، كي اتعلمّ لغة السليمانية[19] ، وهي مجهولـة من الاوربيين حتى يوم الناس هذا . لقد ادركتُ مرادي ، واريد الآن ان اغادر كردستان ، لحين ، كرة اخرى . وان نسيتُ فلا انسى الشهور التي امضيتها هنا ، يا متي ! [وقد تذكر المخطوب وتنسى] انك لو لم تكن موجودا ، ومن غير عونك واخلاصك ونصيحتك وصداقتك الاخوية ـ التي اسـديتها الى رجل لا تعرف عنه شيئاً ـ لكانت حالي اسوأ حالا ، ولا كتنفني العسـر

---

(١٩) لهجة لغة السليمانية الكردية هي (الكرمانجية الجنوبيـة) وهي اللهجة التي نجمت منها لغة الادب والصحافة والمكاتبات الخاصـة والرسمية الكردية . [المترجم]

احتمالاً ، بدلاً من ان اعيش براحة ، مطمئناً الى ان الامور عندما تسوء هناك متي الذي يسعى اليه دوما . وعلى ذلك عرفت ، يا اخي ! ، من انا ، ولم أنا ها هنا ؟ ، وكل الذي يبقى ، بعد هذا ، هو ان ارجو منك عفو الصفح ، و ان اقول لك اني ، مثلك ، نصراني ، ولست مسلما .

وهنا هتف مني : (الله اكبر !) مصطنعا تعبيرا اسلاميا ، وقد امتلأ عجبا ، ثم اردف ذلك قائلا : (انظر ما يفعل الله هل ترى له تعليلا ؟!) . يا غلام حسين ، وما كنت بغلام حسين ، كل الذي قلته لي بانك انكليزي ، اعلم انه لحق ، فانا ارى الحقيقة ماثلة في عينيك ، ولكن ما الذي يهم إنْ كان الصديق انكليزيا أو روسيا أو تركيا او كرديا . ان ما يملأني سرورا وحبورا ، وبأكثر مما شعرت به قبلا ، ان اتصورَ هذا الذي وجدته مشبعاً بروح الصداقة واحدا منا ، اعني من (الملّة النصرانية) فردا .

. ومع ذلك لو عرفت هذا ، قبلا ، فما اعظم ما كنت اسديه لك من عون ، ذلك ان ما صنعته لم يكن الا لـ[illegible] نفرضه واجبات المجاملة حسب ، وان روح الضيافة بازاء الغريب ، مهما كان دينه او كان جنسه ، لكامنة فينا جميعا . والآن ، انْ كنت قد عقدت العزم على الرحيل فاني سأزودك بمكاتيب الى (الخوجه سليم) ، معتمدي في كركوك ، والى (مطلوب) ، في بغداد . لكنني احملّك واجبا لازبا ، قسماً بروحك : عليك الاّ تطرّح ، وانت في ملابسك الاوربية ، الافكار عن كردستان وذكرياتها ، والاّ تفلت اسماؤنا من خاطرك ابدا . اننا بُداة غلاظ ، وليست اساليبنا باساليبك ، وان كنت تعرفها وتلتزم بها هنا ، على ما نفعل جميعاً . ان ما نحسبه راحة وامنا ، تراه وحشية وغلظا ، وان الاوربيين (وذلك على ما خبرته في بيروت ، وحلب ، ومقابلتي لهم) يسخرون من الديار الشرقية دوما ، لكننا لا نزال رجالا ، فان مشت حيواتنا في ظلام اللامدنية ، فليس مردّ ذلك الى اننا نرفض الخروج منه ، لكن مردّه الى اننا لا نستطيع الى ذلك سبيلا ، ولعلنا نفقد

ما لدينا من نقاط حسنة ، وهي قلّ ، في ضوء « الغربيات » الساطع ، وانغمارا في بلهنيات حياتها نمتهن واجباتها ونغدو على حال من التفه ، وعلى غرار ما حدث لكثيرين شهدتهم شخصيا . لقد اتخذ مثل هؤلاء السبيل الى اوربة وقفلوا راجعين منها . اذن ، لقد فاجأتنا جميعا ، على غرار مفاجأة العدو لعدوه ، متكثّرا ونفذت من اسوار حصوننا ، ولن اقول لمن في السوق من هذا الذي كان بين ظهرانينا .

ثم مضى يسأل عن تفصيلات حياتي السابقة في فارس ، والطريقة التي حصلت بها على معلومات كافية عن الديار وحياتها ، فاستطعت بها ان امر خلال السوق والجامع على ما كنت فاعلا . .

دفن مصطفى بك

وفي اثناء هذا الحديث جاء احدهم يقول انهم بسبيل دفن جثمان مصطفى بك . وعلى ذلك سرنا على اعقابه فخرجنا الى المقبرة الكائنة على التل الجنوبي ، حيث تقوم ثلاث اشجار ، او اربع ، من شجرات التوت متعالية فوق منحدر من صخر اجرد ، وقد انحنت الشجرات بفعل ريح (رشابا) الضارية ، ووجدت موطأ بين الموتى من اهل السليمانية . هنا قابلنا حملة النعش الذين جاؤوا به ، ومن غير احتفال وضعوه في قبر غير ذي غور ، وواروه بالحجارة والتراب . وكان الحاضرون منا قلّة : معلم المدرسة العسكرية ، (متي) وانا ، بالاضافة الى الاشخاص الذين استؤجروا لدفنه . وما كان في مكنتنا ان نبقى ، ذلك ان (الهماوند) كانوا يجوبون حولنا ، وهم على صهوات افراسهم راكبون .

لقد دفع جراحي (جرّاح) نفقات تشييعه مما كان يملك ، وهو لا قيمة له تقريبا وذلك بالاضافة الى ملابسه ، لذلك لم يبق من مال الهرم مصطفى بك غير اربع ليرات كان عهد بحراستها اليّ . لقد قمت بالحفاظ عليها ، وسآخذها الى بغداد لكي ارسلها من هناك بالبريد محوّلة الى طرابلس سالمة وبذلك اكون على يقين معقول من وصولها الى غايتها

الصحيحة .

ان هذه القلة منا التي شهدت مواراة الجثمان التراب تأثرت كثيراً برحيل ذلك (الشيخ الهرم) عن هذه الدنيا :

تروّعنا الجنائز مقبلات   فنلهو حين تذهب مدبرات

على الرغم من انه لم يكن من جنسنا ولا من بلادنا . لقد كان غريبا ، ان موته المريع ، في مكان عاش فيه حياة تعسة ووحيدا ، اظهر حالا ، وجليا ، فقدان الامان فيه ، فتجلّى لكل من (متي) و (معلم المدرسة) الخطر الذي يكتنف حياتهما ، وجعلهما يقارنان ، مكرهين ، بين وضعيهما في المدينة وبين وضع ال (بك) مصطفى . ذلك انهما كان يفتقدان الاصدقاء كليا، ولا حماية لهما ابدا ، كما انهما غريبان في هذه الديار ايضا . ان عطف الكرد واهل فارس على الغريب لعطف نابض بالحياة عموما . لكن وجود المرء في مثل هذه الديار ، بعيداً عن وطنه ، يعني شيئاً اكثر من وجوده في ديار فيها المواصلات سريعة والتواصل بين النقاط القصية غالبة . ان (الوطن) لدى التركي والفارسي والكردي لعزيز جدا :

بلادي وان جارت عليّ عزيزة   واهلي وان ضنوا عليّ كرام !

انه لحماس بريء يسمّر الساكن في قرية موبؤة تجتاحها الحمى ، ومأؤها ملح اجاج ، فيعلي من شأنها اعلاء شأن (الجنة) الا قليلا ، ذلك ان مشقّات الحياة في بلد غريب ، بعيد عن موطن لغته او لهجته ، تجعل المستقرّ الذي غادره يتراءى اسمى شأنا ، كما ان البعد يضفي على نظرته سحرا ، يحدوه على وصف موطنه وصفا محبّبا ويجعله على اشدّ ما يكون اليه حنينا . ما اكثر ما كان يتحدّث مصطفى بك عن جمال (طرابلس) بلاده ، عن فاكهتها ، وعن ساحلها النشط العاجّ ، الضاج ، واقليمها ، وطبيعة السماحة التي يتّسم بها اهلها . وكم مرّة تنهّد ، وهو الى العودة اليها

مشوق جداً ، وعدّ الايام التي بمضيها كي يستطيع جمع مال يكفيه في الرجوع اليها . ان جميع تقريضاته انتهت الى امل بالعودة ، وكان يفصح عنه بحرارة ، ليموت بين اهله ، لكنا كنا ندفن جثمانه ، ها هنا ، في بلد كان يجتويه ، ويجتوي اهله ايضا ، وما كان يعرف من لغته كلمتين ابدا .

وما ان شهدنا آخر حفنات المجرف تهال على قبره الا ّ نادانا من كانوا فوق التل بان نمضي الى المدينة سريعا ، ذلك ان كوكبة صغيرة من الفرسان ، الهماوند ، كانت قد اندفعت ، وهي تطلق النار على الاهداف وتركض خَبَبا . وكان علينا ان نرجع على استعجال لئلا يلحق من بقي في الاحياء بمن دفن اخيرا .

ووجدت في البيت (حمه) يتراءى اسفا تاعسا : انه لم يصب في مسعاه ، نجحا اذ لم يعثر على (الدهن) المسروق ، ولقد استدعى الشرطة ، وهذه كانت على استعداد لأن تدبّر بازائه قضية ما ، لا ان تكون له عونا ، ذلك انها سمعت عنه ، ولمن كان يعمل تابعا ، وكانت تأمل ان تبتزّ من تجارته ما فشلت في ابتزازه من وراء قضية جواز السفر – اعني ، من المال ، شيئا . واني لأشفق من انني لم اهتم كثيرا ، ذلك اني كنت على الرحيل ناويا وقريبا جدا ، وكنت اعلم ان نوال الرضى كان امرا مستحيلا . ولما اصرّ ، اتخذت سبيلي الى (المتسلم : وكيل المتصرف) فوجدته في حديقة صغيرة يحيط به عدد من (المقدّمين) يحتسون القهوة جميعا . وكان عليّ ان اخوض متاعب تقديم نفسي كرّة اخرى ، وان اسمع التعليقات على فارس نفسها وان اجيب عن الاسئلة عنها ، وذلك بقدر تعلّق الامر بموطني وسفراتي وتجارتي واهدافي جميعا . وكان ثمة ثلاثة أو أربعة يتكلّمون الفارسية ، وكانوا مسرورين من سنوح الفرصة لعرض معلوماتهم الى من كان من زملائهم اكثر جهلا بها ، لذلك غدوت ، بقليل من المجاملة بشأن معلوماتهم ، صديقا . وفي ابّان ذلك جاء (قومسير الشرطة) يسعى ، وما

ان راني على يمين (وكيل المتصرف) جالسا الا" اصدر الاوامر بصوت ضار مفيدا بان الاموال المسروقة آتية حالا • لقد اكد" ال (قومسير) له ان هذه امنية رجاله الاربعة في الحياة حصرا ، وانهم عاملون في سبيلها جميعا ، واقسم على نفسه باكمال الاجراءات كلها • واوفد جندي الى مشهد الحركة في المدينة « للتأكد من اظهار البضاعة ، فاستأذنت ، وانا مطمئن تماما من ان شيئا ما لن يحدث ابدا ـ وهذا ما حدث ، على القطع ، حقا •

واخذت ، خلال اليومين او الثلاثة التالين ، افكر في سبيل الخروج ، وكان ان اتفقت مع كردي من ال (شوان) على ان ارحل على ظهر حمار يمر" خلل القرى ، وان اقوم بدورة تفضي الى الزاب لاصل كركوك من الشمال • لقد سارت (الهماوند) جنوبا ، عبر الطريق الماد" الى بغداد ، والاتراك الذين لم يجسروا على الخروج من جمجمال ، حين لم يغادر الهماوند بلادهم ، كانوا يجولون في بازيان وتلاله ، ولأول مرة ، منذ آذار المنصرم ، غدا الطريق صالحا للمرور • اننا الآن في نهاية شهر تموز •

وكان المقرر" ان ترجع القافلة في غضون يوم أو يومين لتجيء ببعض البضاعة الي تكد"ست خلال الاشهر الاربعة التي انعدم الامان خلالها • لذلك اسرعت لأمكن" نفسي من هذه الفرصة السانحة ، ورتبت امر تأجير بغل من (صالح) ، وهو تركماني من كركوك ، طويل الاطراف • ودفعت بدل ايجار بيتي الصغير وود"عت من صادقتهم من الناس ، وهم افانين شتى • وكان ان جاءت (عاصمة خان) ، وهي السيدة التي كانت سببا في تخليصي من المتاعب التي اثارها (السيد نوري) ، مع نسوة هن زوجات الجيران الآخرين ، فاهتبلن الفرصة لزيارة المرأة العجوز ، ربة البيت ، وودعنني وسلمن" علي : (سلام وداع لا سلام قدوم) !

وأسفت على فراق (كلشن)[٣٠] ، ذلك انها ، من بينهن كانت أشد الى الحرية ميلا ، وأكثرهن صراحة ، وهي ، الى ذلك ، ذات طبيعة متفتحة ، كما دلت أساليها على قلب رقيق واخلاص مطلق . كل هذه صيرت الحياة في السليمانية على حظ كبير من لطف وايناس . كانت تراهى ،اليوم، وهي في صحبة عمتها : عاصمة خان ، جادة جداً وتهوى هذا الذي يليق بفتاة مطلقة أعني : مظهر الخضوع والضعة ، في حضرة من هم أرفع مقاماً وأعلا سناً . وعلى ذلك ، ولما كان مما يجافي آداب اللياقة ، حتى في مثل كردستان ، مد بساط الحديث مع لمة محتشدة من النسوة ، لذلك رددت على مجاملاتهن الوداعية وعدت الى البيت الذي كنت فيه و (حمه) ثاويا ، و (حمه) من حاول ، بكل ما في وسعه ، أن يحملني على استصحابه . لكني ما كنت في مثل هذا راغباً ، ذلك انني كنت أروم ، بمجرد خروجي من السليمانية ، الاعلان عن نصرانيتي ، كي أقف على ما يحدث لانسان على هذا (الدين) بين ظهراني أهل هذه الارجاء . ان لصوق (حمه) بي يرد ، الى حد كبير ، الى تقواي باعتدادي مسلماً . ينضاف الى ذلك انه اقسم على سلامة عقيدتي في حضور (عثمان پاشا) والرفقة المحتشدة ، لذلك لم يعد في مكنتي مخادعته ، فضلا عن الحقيقة القائلة بأنني لو قدر لي أن أعود فانني آمل ان استقبل باعتدادي (ميرزا غلام حسين) كرة أخرى .

---

(٣٠) يلحظ في اسماء الرجال الاكراد انها تعبر ، في الاغلب الاعم ، عن (أيد الاسد) و(حب الحرية) و(الصرخة بوجه الظالم)، انها تفصح عن (المثل الأعلى) لدى الكردي الأصيل واعني به : « أن يكون رجلا رجله في الثرى وهامته في الثريا ، وأجود بالخير من الريح المرسلة » ومن هذا القبيل اسماء (شيرزاد) و (شيركو) و (نوزاد هاوار) و (فرست) . أما أسماء النساء فتعبر عن محاسن الطبيعة وأزاهيرها وارجها والنجوم اللامعة والحب وما الى ذلك ، ومنها (نسرين) و (بروين) و (روناك) و (كلاويش) و (كلشن) . [المترجم]

وعلى العادة الجارية في السليمانية ، كان علينا أن نرحل من بعد الظهر ، وذلك بخلاف العادة الفارسية التي تقضي بأن يكون ذلك ولما يطر الفجر ، والجو قرّ . وكان عليّ أن ابتاع شيئاً من قوت يكفي لمدة ثلاثة أيام ، في الاقل ، ذلك اننا كنا نتخذ السبيل الى جمجمال ، وبين (السليمانية) ، وبين أول موقف مأهول بالسكان ، ثلاثة أيام مدداً . وكانت (گلشن) قد اختبزت لي « خبز طريق » ، وهو من طبقات حجم الطبقة منه بحجم طبقة من الورق الاسمر ، واثخن من الخبز الابيض الهشّ قليلا . كان هذا ، وبعض «العرموط» ، هو كل ما أخذته معي ، وكل ما يُعتد ، بالنسبة لرجل سوي في هذه الارجاء ، ضروريا . هذا وان وعاء ماء شرب صغيرا أكمل العدّة اللازمة للطريق ، فيما خلا اللحاف القطن الذي يصطنع في الليل غطاءاً ، ولتسهيل الركوب على السرج الصلب أيضاً .

وأمضيتُ الصباح أودع الصدقان والخلطاء العديدين ، وهم من تعرّفتهم خلال ثوائي في السليمانية ، وعهدتُ ما لم يتم حسمه من شؤوني الى (متي) . ثم اننا تناولنا « غداء التجّار » المعتاد ، المؤلف من الـ (كباب) والخبز معا ، وخرجنا ، على الاقدام مشيا ، لنلحق بالقافلة خارجا . انها أول مرة ، طوال أشهر خلت ، يجسر فيها انسان على الخروج من (المدينة) ، على جانب جمجمال ، ذلك انه ، قبل أسبوع فقط ، كانت الـ (هماوند)[٢١] تطوّف في السهل حتى تصل أبوابها تماما .

---

(٢١) لم تستطع الحكومتان الفارسية ، فالقبيلة جاءت من البلاد الفارسية أصلا (في نحو سنة ١٧٠٠م) ولا العثمانية ، حتى على يد مثل الوالي المصلح مدحت باشا ، تطويقها لذلك دابت على اقلاق أمن المنطقة المحيطة بديارها (بازيان) والطريق الماد من كركوك الى أبواب السليمانية . [المترجم]

لم يخبر (متي) البقّال عن هُويتي ، من أنا وما ديني وما جنسيتي ؟ ولم أشر عليه بأن يفعل مثل هذا . ذلك انه لا معدل عن أن أُسأل عن ذلك قريباً ولي أن أجيب بما أميل الى أن أجيب عنه شخصياً . يُخيّل لي أن (حبياً) كانت لديه فكرة محصلها أني لست بالشخص الذي أتقمّص شخصيته ، ذلك انه يملك طيبة طُلعة ، واضح ان من العسير تصديق عدد من ادعاءاتي بازاء الكتب الانكليزية والفرنسية ، والخوارط[٢٢] التي شهدها في بيتي ، وهي التي أوحت له تكرات ومكايد ، ومردّ ذلك الى انه لم يفقه كنهها .

وبلغنا الحيوانات المنتظرة ـ وهي جماعة صغيرة مؤلفة من ثلاثة أو أربعة ، ذلك ان القافلة الرئيسة لما تصل بعدُ ـ وهنا تودعنا ، وما كان الوداع بحادث صغير بالنسبة اليّ ، ولا ، على ما آمل ، بالنسبة الى (متي) ، وقبل أن نغادر حاجب الرابية أرسلت نظرتي الاخيرة الى السليمانية فشهدت كدساً من سقوف مسطّحة في هبطة من الارض لا سبيل الى رؤيتها من مسافة ميل تقريبا . لقدّ اخفى البواشية الـ (باشوات) القدامى بليدتهم جيداً كيلا تقع عليها عيون الترك أو الكرد على حد سواء . ورمقت ، لمديدة أيضاً ، (أورمان : هموره‌مان) البعيد ، فاذا به جدار متجهّم ، يتراءى الآن أسود اللون ، فالثلج لا سبيل الى رؤيته من بعيد . انه حدّ فارس ، ومنه ارجع القهقرى ، كرة أخرى .

---

(٢٢) الظاهر ان الشخص الذي يذكره (المؤلف) جبا على عدته التي كان يصطنعها في التجسس واطلع عليها بغتة ، على حين التزم اخفاء حقيقة (مهمته) اربع سنوات وتزيد والتزم الحذر والحيطة وتمسك بالصمت ولسان حاله :

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام
انما العاقل من الجم فاه بلجام

لكن السر افتضح عندما عاد (المؤلف) ضابطا في (الحملة البريطانية على العراق) سنة ١٩١٤ ولخذ يتبوأ منصب الحاكم السياسي في كل من مندلي وخانقين والسليمانية . [المترجم]

الفصل الرابع عشر

تلقـاء كركوك[1]

كانت قافلتنا صغيرة ، وكان (البغّال) رجلا تركمانياً طويل الرجلين يدعى : (أحمد باش جاووش) ، يصحبه فتى ودرويش طويل الشعر ، كلاهما من أبناء بلدته . وكان الاخير رجلا هادئا بشوشا ، قصير القامة قوي البنية ، كشأن كثير من التركمان ، لكنه كان (ضحكة) كثير ممن كان يلقاهم . ذلك انه اصطنع لبس اللباد الفارسي ، وهي عادة تبعث سخرية الناس البلديين (المحليين) ، اذ كانوا يحسبونه ، لدى أول نظرة ، فارسيا .

---

(١) نعاود اغناء معلومات القارىء الكريم فنصرف القلم كرة أخرى الى كركوك وتاريخها فنقول : الراجح عندنا ، كيلا يكون رأينا كارسال الامور المسلمة التي لا يصح الجدال فيها وتؤخذ على القطع ، تعيين موقعها بموقع مدينة ورد اسمها في المصادر الآرامية بصيغة (كرخا بيت سلوخ) أي : (مدينة السلوقيين) وبصيغة (كرخ سلوخ) ، بالمعنى ذاته . لقد ازدهرت هذه المدينة في (العهد السلوقي في العراق : ٣١٢ – ١٣٥ ق.م) وعلت علوا كبيرا . ومن الآثاريين من يرى ان اسم (كركوك) ذو صلة بكلمة (كركر) – اسم بقعة النار اللاهبة الكائنة في ظاهرها .

ويذكر ياقوت في (معجمه) اسم (قلعة كرخيني) بين (داقوق) و (أربيل) ويصفها بانها تقوم على تل عال .

وتقوم (قلعة كركوك) على مستوطن اثري قديم ورد اسمه في الواح استخرجت منه ، يدعى(اربخا) ، وهو الذي حرف ، منذ الزمن الاقرب ، الى (عرافه – ارافا) . واقدم ذكر لاسم (اربخا) يرتقي الى عهد حمورابي . وذكرت في (المصادر الآشورية) باعتبارها مركز عبادة (الاله أدد) وورد اسمها في بعض المصادر الاغريقية بصيغة (ارابخيوس) وفي (جغرافية بطليموس) بصيغة (كرخورا) وهو يجعل المسيرة بينها وبين اربيل تقطع بيومين. ولقد مر بها الاسكندر اثر انتصاره في معركة كوكميلا ، في سهل أربيل . [المترجم]

وما مضينا ، ذلكم اليوم عينه ، بعيدا ، لكننا كنا نغذّ السير الى قرية (بابا مردا) ، وأهلها كانوا مخيّمين في بقعة الطف ، كائنة على مسافة أميال . ها هنا ، على أكمة ، رمينا أوساقنا ، وبينما كان (الفتى) يقود الحيوانات الى المُستقى ، ملأ (الدرويش) الجرار بماء الينبوع ، أما (أحمد) ، فباعتداده الرئيس الذي يحق له الاستجمام قبل كل أحد ـ وان كان قطع مسافة الـ ١٢ ميلا على الاقدام سيرا ـ فلقد جلس معي مُدخّنا .

كانت الهاجرة في مثل ظهيرة الصيف هذا ، في كردستان السفلى ـ شديدة ، وان جاوزت الحرارة زمان اشتدادها ، ولقد سُررنا من أن نحصل على ذلكم الجانب من الاوساق ، حيث كانت تهب نسمة خفيفة ، وان نرقب البغال تربط وتنظف ويعطى لها شعيرها أخيرا ، وذلك عندما ينتهي عمل (يومنا) هذا . ثم ان (الدرويش) و (الفتى) التحقا بنا ، وشاركانا أكل (العرموطات) التي جئت بها ، فكانت عشاءنا .

وسرعان ما يصبح المرء تَعِبا ، يُداعب النعاس أجفانه ، أثر اهتزاز البغل به ، وبفعل الحرارة والريح معاً ، وليس من المعتاد الجلوس ، بعد غروب الشمس ، طويلا . وما أن فرغنا من العشاء الا اضطجعنا حيث كنا ، على أرض صخر نوعما ، وأخذنا نرقب النوم الذي يجيء معجلا . لكن (الدرويش) اقتعد عقبيه وشرع يرتل بصوت هامس رتيب : (لا اله الا الله !) . وأخذ ايقاعه يتسامى ، بشهيق عميق وهرّ ، وصوته في هدأة الليل البهيم ، يجلجل . ثم أخذت انفاسه تقصر ، وغلب عليه النهك الغريب الذي يصحب أمثال هذه (التمارين) ، وبهرّة سقط على الارض لا حراك له . ثم انه ، غبّ دقائق معدودات ، عاود ترديد : (الله أكبر ! الله أكبر !) بقوة ، وعلى المقطع الاخير : (اكبر) ضاغطا ، فغدا جَرْسُه أشبه ما يكون بطرقة (مِطْرقة) واقعة على أذن سميعه . ودأب على هذا حتى عاود هتافه باسم (الله) . ثم انه ، بعد ذلك كله ، اضطجع على

الارض وغرق في لجّة من النوم ، ونمنا ، نحن ، أيضاً •

وعلى ما جرت عليه سفرة القوافل ، مضينا ، والظلام مخيّم على الدنيا ، صباحاً ، وأشرقت الشمس ونحن نصل قدم النشز والمضيق ، لنلج بازيان — وهي اليوم الديار التي جلا عنها الهماوند •

وجاهدنا في سيرنا ، وكان متمهّلا مؤذيا ، على المرتقى الصخر الطويل صُعُدا ، ومن القمة أرجعنا النظر الى السليمانية كرّة اخرى — وكان يلحظ موقعها في (سرجينا) بخيط أبيض ممتدّ على نشز السلسلة المقابلة — الطريق المادّ الى (بنجوين) وفارس •

بازيان[٢]

وبعطفة الى خلف صخرة ، تلاشى كل شيء عن أعيننا ، وتحت أقدامنا كان يقع وادي بازيان الضيّق ، يمتد يميناً وشمالاً • وكانت تحيط به ، من الجهة المقابلة ، سلسلة جبال بازيان ، وما كانت بعالية ، لكنها كانت تسامى على هيأة شاهق ينحدر ، سمكه اقدام عدة ، وهي تطبق على الارضين وتضفي عليها جوا من العزلة المسالمة ، عندما تساب أنوار الصباح المشمة ، ثم انها تحول الى ملمح حالك عندما تطفل الشمس الى مغربها وترمي ظل الشاهق عبر التل فيتراءى وجهه وكأنه جدار كالح يخيم

---

(٢) مضيق في سلسلة جبال قرهداغ ، وتشاهد في فتحته بقية جدار من حجر ينسب تشييده الى (عبدالرحمن پاشا بابان : ١٨٠٥م) ، حين حاول الاستقلال في هذه الأرجاء • وكانت عند مدخله (في عهد ريج : ١٨٢٠) بناية خان وآبار ماء ومستقر احراس لحمايته • ويرى بعضهم ان معنى اسمه بالكردية : (موطن الهزائم) ويرى آخرون ان معناه : (التلول العالية) • وعند المضيق جرت المعركة بين الانكليز والشيخ محمود الحفيد البرزنجي (المتوفى في عام ١٩٥٦) — ادخله الله في واسع رحمته ، وكان ذلك أيام الاحتلال البريطاني لعراقنا الحر الغالي •

[المترجم]

الهماوند في حماه . لقد كانوا يرقبون ، بعين الصقر ، من مخيمهم ، مرور القوافل ، ويترقبون الضحايا .

انه ، اليوم ، مهجور ليس فيه نسمة انسان ، ولا يتعالى منه دخان يختلط بعضه ببعض ، وهو هادىء ، وريح الصباح تهب ، ولا يسمع فيه صهيل لجواد ، ولم نسمع ، منذ انفجار اليوم ، أزيز اطلاقة بندقية واحدة . وعلى ذلك ، ولما كنا لا نخاف شيئاً ، لذا اتخذنا سبيلنا رخاءاً ، وعلى المنحدر نُزُلا . وعند قعره تيامنّا ، وسرنا محاذين الوادي ، سائرين متمهلين تلقاء الجانب الآخر ، وشطر مضيق دربند بازيان[3] . ومررنا ، ونحن نسير قُدُماً ، ببساتين صغيرة كثيرة ، تركتها الهماوند ، وبقطع صغيرة لطيفة مزروعة كائنة على سفوح التلال وفي بطن الوادي . انها ، الآن ، مثقلة بالثمار ، وكان المسافرون في قافلة صغيرة أخرى ، أدركناها ، ناشطين في قطف الثمر المتروك وحمله .

دربند بازيان

وفي نحو الساعة ١١ ، حين كنا على الطريق المفضي الى دربند بازيان تماما ، روّعنا قليلا من رؤية كوكبة من الفرسان كانت تجيء من خلفنا ، سائرة على طريقنا ، ومنهم من أخذ يعدّ سلاحه لأمر ما . لكن رأي المسافرين العام اتفق على ان لو كان الركبان القادمون من الجنود الاتراك

---

(٣) قدمنا لمة مقتضبة عنه ، ونعاود اغناء معلومات (القارىء الكريم) عنه ، فنقول : عبر هذا المضيق ، في الازمنة القديمة ، كثير من الفاتحين الاقدمين ، ومنهم الملك الآشوري : آشور ناصربال الثاني . ولعل اسمه القديم كان (بابيتا) على ما ورد في المدونات الآشورية . وعلى مسافة ٥ر٢كم منه ثمة تل يدعى (كرد كوبلا) ، والمظنون انه كان «موقع – ستره» لـ (دربند بازيان) في العهود الآشورية ، وقد ورد اسمه في حملة (آشور ناصربال الثاني) باسم (بيروتو) . وتسكن قبيلة الهماوند بين هذا (الدربند) وبين (نهر تينال) الذي يبعد عنه بمسافة ١٢كم .

[المترجم]

غير النظاميين فليس ثمة شيء يُخشى منه ، فان كانوا من (الهماوند) فلا طائل من وراء المقاومة ولا جدوى ، لذا لم تتبدّل سرعة سيرنا وسمرنا على طريق القوافل ، كرّاً وهزّاً ، غير آبهين لشيء ، ظاهراً . وأيا كان الأمر ، سرعان ما شاع الاطمئنان فينا حين وجدنا ان الركبان الذين شاهدناهم لا يعدون فريقاً من البغّالة الاتراك ، غير النظامية ، الى حفنة من رجال الشيوخ . وما أن أدرك هؤلاء القافلة الا أخذوا بفحص كل من فيها بأمعان ودقة ، وكأنهم يبحثون عن شخص ما . وأرعبني واحد منهم ، تبدو له امرة على الآخرين ، حين أمسك بزمام جوادي وأخذ ينادي (رفقته) بأعلى صوته :

ـ « أليس هذا هو ؟ يتراءى ان هذا الشخص ليس برجل صالح !» .

لكن بغّال قافلتي أكدّ بصوت عال ، وبقوة ، أني تاجر وأني صديق تجار الموصل ، وعندها تعالت ضحكة كانت على حساب الفارس . وعلى ذلك بدّل لهجته وطلب لفيفة[4] . وما أن حصل عليها الا سار ، مع الآخرين ، تلقاء جمجمال ، قدما . ان المسافة بين (بابا مردا) و (دربند بازيان) لطويلة ، أو لعلها تراءت على هذا الوجه ، لان الوقت كان ظهرا ، ذلك اننا فصلنا في الساعة الرابعة صباحاً . وعندما استدرنا الى الشمال ، حيث التلال قد انكمشت على شكل خليج ، قطعنا بقعة وسيعة مزروعة ، وعندها القينا أوساقنا لنمكّن الدواب من راحة .

---

(٤) أو (لفافة) على ما أقرها (المجمع العلمي العربي في دمشق) اسما لـ (سيكارة) . واستعمل الكرملي اللغوي (دخينة) اسما لها ولـ (سيكار) : دخنة . [المترجم]

من هنا مر (ريج : Rich)[٥] المقيم الموهوب لشركة الهند الشرقية East India Company في القسم المبكر من القرن التاسع عشر ، ولحظ ابّان مروره ، ان قد كانت هناك في سنة ١٨٠٨ قرية تركمانية تدعى (دركزين) قائمة ، وليس ، اليوم ، من شيء منها ، فيما خلا مزرعة صغيرة تعود الى (قرية بازيان) ، كما ليس هناك من أثر للاخربة التي يذكرها (ريج) وظنّ انها بقية من الأزمنة الساسانية (وما الظن الا مخطيء ومصيب) ، وبالنظر الى ان هذا الصقع كائن على حدود أقليم تمتع بحظ كبير من خطر ، أيام الساسانيين، (أعني:حلوان) ولاتزالفيهبقية باقية من الاحتلال الفارسي الذي جرى في ذلكم (العهد) لذا كان (ريج) على حق فيما ذهب اليه تماما .

ان الجدار القائم على جنب الوادي يتسع ، ها هنا ، الى حد كبير ، ويعمق ويتجه من الشرق الى الغرب وينقطع . ان هذا يمكّن من مسار يتجه غربا وبذلك يمكن الخروج من وادي بازيان ، وثمة واجهة تتعالى وتستطيل وتنتهي بالمرور من عنق ، لا يزيد عرضه على عشرين يباردة ، وعنده ينفذ المرء من بوابة تنتهي لدى النشز ، على حين غرة ، فيها العنق

(٥) لا معدى عن ان نذكر شيئا عن شان (المقيمين البريطانيين) في بغداد ، ونجتزي بايراد ذرو عنه : كان لـ (شركة الهند الشرقية) طليعة (الاستعباد البريطاني) لبلادنا (وكيل) في بغداد يأتيها من (بمبي) ، بين حين وحين ، لتصريف بضائع الشركة خصيصا . وتطور أمره ، ففي سنة ١٨١٢ احدثت (الشركة) المذكورة منصب (المقيمية : Residency في (تركية الآسيوية) ــ على ما كان العراق يسمى ، عهد ذاك ، في المحررات الرسمية . ولقد جرى ذلك بالاتفاق مع (حكومة الهند) فغدا (المقيم) حلقة الوصل في سلسلة من شبكات المواصلات البرية والنهرية والبحرية بين أوربة والهند ، عبر العراق . وكان (المقيم البريطاني) يرقب حركات الفرنسيين ومكايدهم ونواياهم الاستعبادية في عراق تلكم الايام . وفي مطلع القرن التاسع عشر والحق السلطان العثماني على ذلك وكان (كلوديوس ريج) ، الرحالة الشهير أول مقيم في بغداد . [المترجم]

الذي ألمعنا اليه آنفاً ، ولو سار المسافر مغرّبا لتركه جداراً قائماً •

ان منطقة الخطر كائنة بين (المكان) الذي آوينا اليه للاستجمام و (العنق) هذا ، وذلك في الايام الشداد ، ذلك ان (الهماوند) ضجاءة جعلت منه ، في ديارها المنعزلة ، الباب العظيم الذي لا ولوج منه ، والشرك للذين يلجون منه • على سفوح هاته (التلال) وخلف الصخور والصفاح، كانوا يرقبون فريستهم ، ويندفعون نُزُلا ، وخارجاً ، على التاعسين الذين دخلوا (العنق) من خارجه ، فوجدوا انفسهم في معزل عن التراجع، وعلى الذين خرجوا فوجدوا انفسهم مدفوعين الى العنق الضيّق من الممرّ ، وقد انقضّ عليهم من كل حدب وصوب • وحتى الآن ، وحين كنا نشاهد خيمة الـ (بكباشي : المقدم) من مسافة ، وهو من نصبها عند احدى الساقيات التي تروي مايزرع الهماوند ، لم نكن قادرين على ان نبتعد عن اوساقنا ، ذلك ان خلفها تقع طوايا التلال التي لم يجسر الاتراك على النفوذ اليها ، وقد يحل فيها الهماوند أيضاً • وكانت لـ (عبدالرحمن باشا)، أحد بواشية (باشوات) الـ (بابا) القدامى في السليمانية ، وقفة باسلة عند عنق (دربندى بازيان) ، سنة ١٨٠٥ ، في اثناء الحرب التي كان يأمل من ورائها جعل هذا القسم من (كردستان) مستقلا • وبنى جدارا ، عبر (العنق) ـ لا تزال اخربته ، اليوم ، ماثلة للعيان ـ وحارب ، هناك ، (كوجوك سليمان باشا)[6] البغدادي فاندحر على الوجه الذي يرويه (ريج : Rich) •

• أقام ، ها هنا ، جدارا وباباً عظيما وثلاث قطع مدفع أو أربعا ، غرس

---

(٦) سليمان باشا كوجوك ، اي الصغير ، والي بغداد العثماني (١٢٢٢هـ = ١٨٠٨م) وقد بسطنا سيرته في كتابنا المترجم (بالاشتراك مع المرحوم مصطفى جواد) ، الموسوم بـ :

[بغداد ••• مدينة السلام] ج٢ ص١١٩ وما بعدها •

[المترجم]

اثنان منهما على الراية كي يصلي بهما معسكر الاتراك الكائن الى الاسفل.
كان هجوم سليمان باشا على هذا (المضيق) غير ذي جدوى لو لم يقــد
زعيم كردي يدعى (محمد بك) ، وهو نجل (خالد باشا) الذي عقـــد
الخناصر مع الاتراك ، فرقة من الجند التركي والاكراد المساعدين ويمضي
بهم على الجبل صعداً متخذاً مساراً ، يعرفه بعض الاكراد حصرا ، وكــان
قد أهمل باعتداده غير ذي فائدة حقاً . ووجد عبدالرحمن باشا ان موقفـه
انقلب وان مدافعه المنصوبة على الراية أصبحت موجهة بازائه شـخصياً .
لذلك اضطر الى ان يخنس[٧] ، ثم مُحي الجدار من الوجود على يــد
(باشا بغداد) وهو من زحف على السليمانية بآخرة .[٨] .

كانت الوديقة في تلكم الظهيرة شديدة ، وتراءى ان من المتعـذر ،
باصطناع أي وسيلة نسطيعها ، ايجاد ظل نستفيىء به ، وذلك على الرغـم
من اننا جعلنا الاثقال كدساً متعالياً ونشرنا عباءة على عصوين ، وكـــان ان
اضطجعنا ، مكرهين ، على الحجارة ، وانعرق يتصبب منا . وشـــاركنا في
مسكة[٩] ـ من الرقي والخبز ـ وكان عثر على الاول في مزرعـــــة
هماوندية . ثم كان على (الدرويش) و (والفتى) ان يذهبا بعيدا ، حيث
تجري ساقية ، بغية العناية بحيواناتهما ، على حين خُلّفت أنا مع مقـــدم
القوم أحمد . لقد أحببته حبّا جما ، اذ كان رجلا هادئاً محترماً ، يعنى بما
هو من شـأنه حصراً ، وعلى حين لم يكن يظهـر أي تمايـز بينه وبـين
مسافريه ، لكنه كان يصطنع مظهر الجبّار ، وهي حال تسود (البغّـال)
والمسافرين من مواطنيه غالباً . وجلسنا ندخن دُخيناتنا الكرديـة سوية ،

(٧) خنس اي انقبض ورجع ، وهي عندنا من العامية الفصـــيحة
وكم في العامية من كلمات صحاح فصاح . [المترجم]

(٨) Rich, Travels in Kurdistan, Vol 1, p 58
[المؤلف]

(٩) ما يمسك به وما يتبلغ من طعام أو شراب .

وسألني ، أخيراً ، عن ديني اذ لحظ اني لا أقيم صلاتي ، وحسب أني ، لست مسلما •

ولحبي خلق (صاحبي) هذا ، عقدت العزم على محاولة الافصاح بالحقيقة له ، واقتباساً لكلمات من هو أعظم مني ، قلت :

« لقد طرق سمعك اني من فارس ، وانك تتكلم بلسان أهل هاتيك الديار ، على ما أعرفه عنك • ومع اني أنتسب الى فارس الى حدّ ما ، لكنني لست بفارسي حقاً • وعلى الرغم من اني لست بفارسيّ ، فأنا لست بكردي أو عربي أو تركي أيضاً •

قال : « اذن ، ماذا ؟ »

قلت : « ومع ذلك ، لست من ملّة النصارى ، اذ أنا من بلاد يسمونها : (انكلترة) ، وهي في بلاد الفرنجة (فرنكستان) •

قال : « أهي من اسطنبول ؟ اذن ، انت من الرعايا الأتراك » •

قلت : « ولا كذلك ، أنا من رعايا بلاد تبعد عن تركية كثيرا » •

قال : « وما هو الاله الذي يعبده أهلها ؟ »

قلت : « اله النصارى نفسه » •

قال : (وعليه مسحة شك) : « حسنا ، حسنا ، انهم القوم الذين أراهم في بغداد ، يرتدون ملابس تشبه ملابس التركي الاسطنبولي ، وقبعات شتّى ، لذلك لا يستطيع أحد أن يعرف عشيرتهم أو دينهم ، من لباس رأسهم[١٠] • اذن لِمَ لا تلبس لباس الرأس الخاص ببلادك ؟

---

(١٠) يعتز الكردي بقبيلته ، ويصطنع لباسها الخاص ، سواء أكان ذلك غطاء رأس أم البسة جسم • ذلك انه يجد في نطاقها حمايته والذود عن شرفه وماله ، منذ ان تكتحل عيناه بنور هذه الحياة حتى يكلأ عمره وينتهي ويوارى الثرى • هكذا تنشأ (الولاء المطلق) ، والتضامن ←

قلت : « لأن الذي يسرني هو لبس غطاء الرأس الذي يصطنعه الناس الذين أحل بين ظهرانيهم ، فالمثل الفارسي يقول ، وحق ما يقول : (ان من لا يعتريه الخجل بين الغرباء ، عليه ان يرتدي لباسهم ويصطنع لسانهم) ولن يلائمني ، ولا يوائم ظروفي ، أن أسافر محزما بهذا الذي يصطنعه الاوربي ، وهو سمج ، على حين استطيع أن أتفادى الازعاج لنفسي ، ولغيري ، باصطناع عادات السُذّج بين من هم سذج » .

قال : « حسنا ، لقد قدمت ، بعد ان قطعت رحلة طويلة ، لا شك في ذلك ولا ريب ، وانك لتذهب لنفسك ، على جبال بلادك ، حسرات . أفيها تلال عظام وصحارى ؟

أجبت : « كلا ! انها بلاد ذات تلال صغار ووديان صغار ، وليس فيها من عزلة أو سلام أو استجمام . فيها عجلة ، على النقيض مما جاء في القرآن (الكريم : المترجم) اذ قد جاء فيه (العجلة من الشيطان والصبر للرحمن)[11] ـ (كذا : المترجم) . اننا نحمل على ظهر

القبيلي والثأر لابناء دمه ، على غرار ما تجده في القبيلة العربية سواء بسواء . انه لذلك يعتز بنسبه حتى الاصل الواحد بالنسبة لها وان كثيرا من الاكراد يحفظون ، عن ظهر قلب ، اسماء ١٠ ـ ١٥ من آبائهم لذلك ، وقد شهدت احدهم يعدد هاته الاسماء ونفسه يتقطع ، في الاحيان ، من اعياء ، فيقف ليسترد اناة صدره ويتنفس الصعداء ثم يعاود ذلك جذلان فخورا .

[المترجم]

(١١) ليس في القرآن الكريم نص كهذا وانما ثمة قول سائر مفاده (العجلة من الشيطان) ، على ان القرآن الكريم يحث في آيات كثيرة على التذرع بالصبر وزم جماح النفس والتجمل بازاء النوائب ترويضا للنفس على خصيصة من ابرز خصائص الرجولة .

[المترجم]

عجلات ، منطلقة مسلسلة[١٢] ، تجري على عمد من حديد ، وتقطع مسافة يوم بساعة ! » •

أجاب : « العجلة من الشيطان ، يا من يقول الحق • يا أسفي على انك لست مسلما ، لكن لكل امرىء دينه • هنا وان النصارى لمن (أهل الكتاب) فلا تحل عليهم اللعنة • ولكن قل لي : أليس لديهم ، هناك ، بغّالة وقوافل ؟ »

قلت : « ان أردت الحق ، كلا • ان وجدت مثل تلكم العجلات فما هي الحاجة الى البغّالة ؟ »

قال : « ما هذه الديار التي ليس فيها قافلة تجوس خلالها ! اعندكم أكراد ؟ الا يعمدون الى سرقة هذه القطارات والعجلات ؟ »

قلت : « كلا ، ليس هناك أكراد ولا عرب ولا أتراك ، وليست ثمة ألسنة من هذا القبيل يفقهها أحد فيها » •

فهتف : « لا اله الا الله ، ما هذه الديار ! ان الله خلق الناس جميعا ، يا أخي ، كشأن البلاد طرا ، فكان فيها الخير والشر معا ، وأني لعلى ثقة من انك من الافضلين • لا ضير في أن يكون المرء نصرانيا أو مسلماً ؟ ألا يستطيع اتباع شريعة نبيه وأوامر الله ونواهيه ؟ ها أنت غريب بعيد عن أهلك ، فخليق بالتركمان والاكراد أن يعاملو مثلك كما يعامل الاخ نفسه » •

عند هذا مد نفسه تحت الظل الذي لم يزد على أربعة انجات أو خمسة ، وهو الذي كانت ترميه الصناديق ، الآن ، وأعد نفسه للنوم • وفعلت ما فعل ، فكان رأسي في الظل وجسمي يلتهب وينساب منه العرق تحت لفحة الشمس الضارية •

---

(١٢) ظاهر انه يريد السكة الحديد وما كان العراق أيام رحلة (المؤلف) قد شهدها بعد • [المترجم]

ولم يطل استجمامنا كثيراً . ذلك اننا نهضنا بعد نصف ساعة ، وحملنا البغال اثقالنا ، ثم رحلنا كرة أخرى . وما أن أخذت الصخور الكائنة على جانبي الطريق تتقارب الا غدت الوديقة على أشدّها، وما كانت ثمة ريح ، لذلك فككنا الكفافي التي كانت تلف رؤوسنا ، وحاولنا ان نجعل منها ظُللا ، لكن ذلك كان غير ذي أثر ، الا قليلا . واستغرق علونا المسار الصخر وبلوغ العنق ساعة من زمان ، ولا يزيد عرض مخرجه على ياردات قليلة . انه الفجوة الوحيدة في خط غير متقطع من تلال تظهر للعالم الخارج وجهاً شاقولياً تقريباً . انه آخر سد في كردستان تقريباً كائن غربا . ان الارض ، خارج الـ (دربند) تتهاوى ويقع (سهل جمجمال)[13] أمامنا ، وما كان هذا بالسهل حقاً . لنقل انه واد طويل عريض تكثر فيه التلال المتموجة ، متقاطعة مع أخاديد عميقة ، تكاد تكون شعافها[14] على علوّ واحد لذلك تتراءى الديرة هذه من بعيد وكأنها سهل منبسط .

---

(١٣) تطل بليدة جمجمال على سهل زراعي خصيب ، فيه ماء معين يثني عنانه اليه لينعم بالنبت العميم . وفي ظاهر البليدة تل أثري سامق يستشرف من فوقه على أفق مديد ، ويسترجح الآثاريون انه يكمن ما كان ، في العهود البابلية والاشورية ، مركزا اداريا . وقد عثر في (التل) المذكور على (رقيم) يحمل كتابة يرجع تاريخها الى الالف الثانية قبل الميلاد . وثمة باحثون يرون ان (التل) هذا يمثل موقع المدينة الاشورية (دورتا ليتي) الوارد ذكرها في حملة آشور ناصربال (القرن التاسع قبل الميلاد) على أقليم السليمانية الحالي الذي ورد اسمه بصيغة : (بلاد زاموا) . [المترجم]

(١٤) شعف الجبل ، أو التل ، رأسه أو قمته .

كان (احمد باشجاووش) قد عقد العــزم على مغــادرة جمچمال واتخاذ سبيل أشد عسراً يُفضي شمالا ، لكنه السبيل الاقرب بالنسبة للتلال ، والتوقف ، خلال الليل أو ما يتبقى منه ، عند قرية يعرفهـا . وغدت قافلتنا الآن كبيرة ، ذلك ان جماعتين صغيرتين ، كانتا قد التحقتا بنا . وهما تؤلفان خليطا من البغالة عجيبا . كان هناك ثلاثة من العرب ، رجال من الديرة الخفيضة الكائنة حول (كفري)[١٥] ، وبعض التركمان ، وكردي أو كرديان من الـ (شوان) وفارسي من (طهران) والاخير يتراءى غريبا ، بقبعته المكوّرة وقمصانه القصيرة ، بين هؤلاء النفـر[١٦] الذين يعتمون بالعمائم ويلبسون الاردية الطويلة .

برفقتهم سرنا والمطايا تهزنا هزّا ، واصبحت وجوهنا ، الآن ، مولية شطر الشمس الغاربة . وكانت (جمچمال) ، خلف العلو المكون من الروابي المتموجة وتلال السهل ، تتوارى . ومن جميع البقاع كانت أعمدة من دخان تتعالى ، ذلك ان العشب ، الذي يبس بفعل حر الصيف ، كان يشتعل مهتاجاً ، وله التماع في الليل ، كالتماع المنارات البحرية . وعلى أميال كنا نشهد (جمچمال) ـ والشمس تكاد توارى بالحجاب .

تقع (البليدة) في تجويف كبير ، وفوقها تعلو الرابية ، وهي نشز اصطناعي ، شبيه بالذي يشاهد في (اربيل) شكلا ، كشأن جميع الاماكن

---

(١٥) تقع كفري في لحف جبل معروف باسمها ، ويعرف باسم (بابا شرسوار) ، نسبة الى أحد الزعماء ، وهو مقبور فيها . وقرب كفرى ثمة منجم كان العثمانيون يستخرجون منه الفحم على وجه بدائي . واسم كفرى مشتق من (كفر) التي تعنى نمطا من القير ، أو من (كبرو) التي تعني (القار) في اللغة البابلية ـ الآشورية ، ولعل وجود عين قير ، بقربها ، هو السبب في اطلاق هذا الاسم عليها . وكانت (البليدة) تعرف في العهد العثماني في العراق باسم (الصلاحية) . [المترجم]

(١٦) النفر ما دون العشرة من الرجال .

الاخرى التي حل فيها الآشوريون . وكانت خيمات الاتراك منصوبة حول قدم الراية ، فتكون بقعة بيضاء ملتمعة في مشهد الغسق .

وفي الصحراء ... تهنا

ها هنا ، وعلى حين كانت چمچمال غير مميّزة ، نبذنا الطريق ومجموع القافلة ومضينا ، والظلام يطبق ، وثمة ألسنة لهب مدوية ، من مضيق منطلقة ، انطلاقة ما يقذف البركان ، تير سيلنا . ووراء چمچمال تقع آخر سلسلة من التلال على طريق كركوك غربيا ، وتبلغ الاخيرة بمنحدر تدريجي تكونه تلال صغيرة لا تحصى عددا مكورة وعليها المسار يتلوى وحولها . ان القرية التي نقصدها تقع على الوجه الشرقي لهذه السلسلة عاليا . هاقد بدأت صعوباتنا ، اذ الطريق غدا متشعبا ، يفضي الى قرى أكراد الـ (شوان)[17] المختلفة الكائنة في هذه الارجاء . وفي الساعة الثامنة افترقنا عن عدد كبير من رفاقنا ، والعتمة قد أطبقت علينا ، لكننا ارتكنّا الى معرفة محلية لدى أحد الاعراب ، وهو من قال انه يعرف الطريق جيدا ، لم نحاول السير في أعقابهم . لم نمر بماء منذ غادرنا (بازيان) ، فانتاب جميعنا العطش ، لكن (جمعة) الاعرابي وعد بأننا سنكون في القرية في غضون ساعة أو ساعتين . لقد ضل المسار الحق ، وكنا قد شرعنا بالطواف بين هذه التلال الخفيضة ، واستثيرت سحابة من النقع ، فأصبح عطشنا أواما . ومن الخندس الذي أمامنا انطلقت صرخة تفيد اننا قد بلغنا الماء ، لذلك أرسلنا (الشاب) على جناح السرعة كي يملأ جرارنا . واثر مديدة بلغناه فوجدنا ان البغال اندفعت الى الساقية الصغيرة لتكدره وتفسده قبل ان يستطيع أحد منا أن يشرب منه وشلا (الا ان هنا للقلب ممزق وللرجاء قاطع) . ها قد أدركنا اننا قد ضللنا طريقنا ، اذ

---

(١٧) قبيلة زراعية تنقسم الى شطرين هما : (شواني خاصه) و (شوالى بازياني). انها تحل بين عشيرتي : (شيخ بزيني) و (بيباني). ومعنى اسم (شوان) : الرعاة . [المترجم]

ليس هناك من منبع على الطريق الذي نأمل أن نقطعه ، ينضاف الى ذلك ان هذا المسار يفضي الى جهة خاطئة . ومهما يكن من أمر ، أصر (الاعرابي) على انه يعرف الطريق ، فاعقب ذلك نقاش نابض بالحياة دار حول ما ان كان لزاما علينا رمي الاثقال ها هنا ، حيث يوجد وشل من الماء ، في الاقل ، أو أن نمضي قُدُماً . وأطبق على جلّ من في (الرفقة) اشفاق من أن يدهمنا الاكراد ليلا ، وتجاوباً معهم عاودنا السير كرة أخرى ، تلقاء ما حسبناه اتجاهاً سليماً . كنا نرقى في سيرنا تدريجياً ، هذا وان التأثير الغريب للطقس الجاف وفقدان نسمة مصوران هنا تصويرا حسناً . كنا ننحدر الى هبطة من الارض فتجعل حرارتها العرق يتصبب منا ، وغب مديدة ، وعندما كنا نرقى كرة أخرى ، نغدو في برودة الليل فتعترينا قشعريرة .

على مثل هذه الحال مضينا لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات ، والاعياء لا يسمح لنا بكلام كثير ، وما كان يقطع رتابة الليلة المظلمة الا سقوط بغل او امتناع حمار على المضي حتى يأزّ أزيز اطلاقات نارية تتطاير على رؤوسنا ، ونُباح كلاب الحراسة يصحبها . ووقفنا وراء كدس حصين ونادينا رماتنا بالانصراف . وكي يطمئن هؤلاء انفسهم من اننا لا نريد بهم سوءا نزلوا من قريتهم ركضا ، وما أن وجدونا على ما أكدنا لهم باعتدادنا مسافرين لا ضرر منهم الا تركونا نمضي على سبيلنا . لا معدى عن اننا ضللنا طريق الظلام كرة أخرى ، ذلك اننا دأبنا على سيرنا ، ساعة أو ساعتين ، نرقى دواما ، وتدريجيا ، فلم نخرج من الروابي أو نعلوها . تراءى اننا ندور وندور حول هذه التلال الصخرية المتقطعة . ها قد بلغنا مرحلة يكون الجلوس ، عندها ، على ظهر البغل ، أمرا مهلكا تقريبا ـ اذ ينام المرء ، ومن ظهر الحيوان يهوى . وكان جلنا قد سار مسافة ما وفي الظلام كنا نتعثر اعياءاً وتقززا . كنا نلحظ انه لم تبق الا سويعات

فتشرق الشمس (ويصدح الصادح ويسكت النابح) ، ومع ذلك وبهذا الامل الذي يدفع المرء الى الخطل ، كنا نمضي قدما ، وأخيرا ، وعلى كل حال ، بلغنا نقطة ينعطف عندها الطريق ، على التحقيق ، جنوبا ـ وكنا نريد المضي شمالا ـ وعندها تهاوى الرجال وتهاوت الدواب سواء بسواء ، سقطت الدواب ، وامتنعت من المضي على العقبة(١٨) الصخر المتعالية الكائنة أمامنا ، ولما كنا متقززين من كل شيء لذا تركناها تضطجع ، وذلك بعد ان حللنا عنها اثقالها ورميناها جانباً ، حيث اضطجعت أو هوت ، وكان الاعياء قد بلغ من (الفتى) كثيرا ، اذ انتفخ لسانه ولم يعد ، على الكلام ، قادرا ، بل كان يزمزم حسب ، لقد قدر له ، على ما قدر لـ (أحمد باشجاووش) ، السير لمدة تقرب من أربع عشرة ساعة ، من غير راحة ، لم نتوقف لترتيب الاوساق ، أو جمع ما عندنا من المخالي(١٩) واللباس المبعثر ، هنا وها هنا ، بل سقطنا على صخرات الطريق ، ولم ينبس أحد منا ببنت شفة منذ ساعة وقوفنا ، وخلال عملية القاء الاحمال وربط الدواب بها ، وذلك على الرغم من انها ، في العادة ، تتطلب كلاما كثيرا .

واني لأزعم باننا نمنا ساعتين أو نحو ذلك ، حتى ايقظنا البرد ، كنت أرتجف ، والقرّ يسير في عروقي :

[فلما أضاء الصبح عن ليل سره وسلّ حساما للغياهب قاطع]

تعالت نسمته التي كانت تهب من التلال الكائنة فوقنا فتخفض الحرارة بدرجات كثيرة ، في غضون ثوان قليلة ، وكان « الفجر الكاذب » يوشك على الانفجار عند المشرق ، وبسذاجة هاته الديار ، غير المفكرة ، جلسنا

---

(١٨) العقبة : الطريق الصعبة في الجبل او الرابية .

(١٩) جمع مخلاة ، وهي (العليجة) بلغة عامة العراق ، التي تعلف بها الدواب . [المترجم]

ندخن الدُخينات ، آملين ان ننال دفئاً . وكنا قادرين على أن نرى من بعيد ، على الجانب الآخر من السهل تحت بازيان ، حرائق العشب العظيمة، وهي لا تزال توهج ، وما كانت حسرتنا ، توقاً الى دفء حرارتها ، بواهنة . وكان سكون الفجر لا يقطعه الا خفيف الريح في رفيف العشب اليابس واطلاقة بندقية تأزّ ، بين الفينة والفينة ، وتحدث خبر الأكراد الشجعان في قراهم .

وبلغنا ... قرية

وما أن انساب أول شعاع للشمس الشارقة الا شرعنا بتحميل اثقالنا على الدواب ، وحمل (الاعرابي) ، الذي كان مسؤولا عن جميع المتاعب ، على الذهاب الى قمة التل حيث كانت النسمة تهب على أشد ما يكون لطافة ، ويستطلع خبر القرية ، الكائنة على جانب السلسلة ، عالياً . لقد استطاع أن يتبينها من مسافة غير بعيدة . وعلى ذلك مضينا ، عبر اقدام التلال ، وغب ساعة بلغنا المكان ، فتراءى لطيفاً في الصباح البارد المشرق ، ذلك ان قد كانت فيه أجمة ضخمة من شجر التين ، الى مرج من شجر الصفصاف الكبير ، وسواقٍ عديدات ، وقطع سندس خضر معشبات كثيرات ، كل أولئك جعله رقعة يستحب الوقوف عندها . لقد وجدنا جل القافلة مخيما ها هنا ، وما كان هناك غير مجال ضيق يُفرد لنا ونحل فيه مستظلّين عند تعالي الشمس وتكبّدها السماء . وما ان تقربنا الا أخذ القرويون الذين كان بعضهم في بستان التين ناشطاء يرحبون بنا بالتحية الكردية الوجيزة : (ما نابي ! : عساكم غير تعبين !) وهرع واحد منهم ، أو اثنان، للاتيان بجود اللبن ، وبشيء من الشعير لبغالنا .

وألقينا أوساقنا تحت شجرة صفصاف ورتبناها على هيأة جدار ، وقاية من أشعة الشمس التي أخذ أوارها يزداد معجلا . وما ان عهدنا بها الى رعاية مسافر ، كان قريبا ، الا ساقوا البغال الى المستقى ، على حين اختلفنا ، أنا

و (أحمد باشجاووش) ، الى ينبوع صغير ، صافي الماء بارده ، وأخذنا نستحم فيه ، وكان استحماماً طيباً ، الاول منذ عهد السليمانية ، كما ملأنا الجرار بمائه أيضاً .

ومن البستان يتجلى منظر حسن لحدود كردستان ، ذلك اننا كنا على علو كاف لرؤية التلال الواقعة خلف (بازيان) وما وراءه من الرواسي العظام . وكان (بير ــ ي ــ مكوران)[20] ، أو (عمر گودرون) ، على ما يسميه (ريج : Rich) ، صخرة السليمانية العظيمة ، يتعالى ، وكأنه الديدبان في جيش الفرسان ، على مشارفها ، كما كان مخطط جبال (أورامان : هەورەمان) يكاد يرى على جهة ما و (قنديل داغ) فوق (رڤاندوز : رواندوز) و (كوى سنجق) على الجهة الاخرى . وكان (سهل چمچمال) يقع تحتنا رأساً ، وكأنه (بحر خضم به الامواج تلتطم !) ، ويمتد بعيدا الى (بازيان) ، و (الفرجة) في السلسلة ، وعند (دربند) ، تمكن هذه من ان نلمح التلال الكائنة على الجانب الآخر من (الوادي) ، ذي السمعة السيئة .

وفي الصباح جاء ابن عم لـ (زعيم الشوان) ، صاحب هذا (السهل) ، وهو شاب كردي متفخّل[21] ، لباسه من حرير مخطط ويحتذي أحذية وكوب قرمزية اللون ، وعلى منكبه بندقية حسنة ، وفي

---

(٢٠) يبلغ ارتفاع هذا الجبل ٩٧٠٠ من الاقدام عن سطح البحر وهو اعلى جبل في جوار السليمانية ، في معزل وكائن في الجهة الشمالية ــ الغربية من بليدة السليمانية . واسمه مشتق من (بيرى ماكودرن) أي : « رائدنا الروحي » وجاء ذكره في كتب الرحلات والخوارط القديمة باسم (بير عمر كدرون) أي : الجد عمر الولي . ومن البحاث من يذهب الى انه (جبل نصير) الذي استوت عليه سفينة (نوح البابلي : اوتونابشتم)، اذ ورد ذكره باسم (نصير جبل كوتى) ، وكوتى اسم القوم الذين سكنوا سهول السليمانية قديما . [المترجم]

(٢١) يتفخل أي : يلبس افخر الثياب وازهاها .

حزامه (فرد : Pistol) من طراز (موزر : Mauser) وما ان فاه بكلمة ، أو كلمتين ، مخاطباً الجميع ، سائلا عن غاية الرحلة الا انصرف، مرة أخرى ، وفي اعقابه ثلاثة رجال أو أربعة .

كنا قد اشترينا كفية كبيرة مملوءة بالتين الطري ، يشبه (العرموط) الصغير الاخضر في شكله ، بسعر (قران) واحد ، وما ان نقعنا قليلا من خبزنا ـ ذلك انه كان كصحن من حديد ، صلباً ـ الا جلسنا متحلقين فكان طعامنا عظيما ، ولما كانت متاعبنا وجهدنا قد ولت في هذا الوقت لذلك استلقينا للاستجمام حتى العصر ، حين تصبح معاودة اتخاذ السبيل حتماً علينا .

وعلى أكمة متعالية ، تحت ظلة من الورق ، جلس ثلاثة من الاكراد ، كانت عيونهم الحادة ترى كل من يتقرب ، وتنطلق ، بين الفينة والفينة ، صرخة خشنة منحدرة هي : (كزقاني ، اوه ، كرقاني !) ، وعندها يهرع أحد البغالة ليجمع بغاله ويأتي بها ، ذلك انها كانت على سفح التل ترعى .

وذات مرة صرخوا ينادون الجميع طالبين الاتيان بالبغال الى المخيم، جميه ، فاعقب ذلك اندفاع وتدافع ، وزحف البغال خبباً ، وهي تثير سحب اغبار عاليا . ولم تتبين السبب في ذلك الا بعد مديدة . ذلك ان حشداً كبيراً من الناس والدواب كان يمضي ، في اسفل السهل ـ وكأنه خيط النمل ـ انهم الاكراد يقوضون مخيمهم ـ وثمة كوكبة من ثلاثين فارساً أو أربعين كانت تمضي بجانب رجال البساتين الذين جاؤوا من فوق سهل (رانيه)[٢٢] و (بشدر)[٢٣] و (بلباس)[٢٤] يرتدون معاطف قصيرة،

---

(٢٢) (رانية) في الاصل اسم قبيلة ، ومن فروعها (بيران) ، ثم اطلق على اسم مركزها بليدة (رانية) ، وهي اليوم مركز قضاء . انها مبنية شطرا على تل اصطناعي وشطرا على سهل . وتكثر حولها المياه

من مخمل (قديفة) ويعتمون بعمامات غووية تختص باولئك النـــاس ، انهم جماعة هي أشدّ من يضبو امروه الى لقياهم ضراوة •

•••• على الطريق

وبُعيد الظهر ، كانت ثمة حركة للرحيل كرة أخـرى ، وعلى ماهي الحال غالبا ، ما أن يحمّل أحد الدواب الا يبدي كلشخص أقصى ماعنده من ميعة ، آملا أن يكون ، هو ، من يرحل أولا • وما أن استمدّ نصفُ القافلة وزيادة ، الا فصل واتخذ مساراً يحاذي سفح التل ويفضي به ، من فرجة في السلسلة ، أخيراً • وأيا كان الأمر ، لقد اتخذنا كما اتخـــذ آخرون ، وهم قَبلُ ، صراطاً مستقيماً ، تلقاء التلال ، وسرعان ما أصبحنا بينها ، أثر مرورنا بوديان لطيفة فيها كثير من السواقي ، والماء ينطلق فيها أيداً معجلا : [كالخيل خارجة من حبل مجريها !] • وفي احدى الوديان هذه كانت هناك قافلة جمال مخيمة ، ولقد شوهدت الجمّالة أولا ، حتى شوهدت الاقدام بارزة من بين أزواج الـ (بالات) ، وقد ضرب ، فوقها ، ما يشبه طاقاً من قماش ، فكان ملتحدا تخلد اليه الجمّـالـة نهــارا • ان هذه القوافل تمضي على مكث متمهّله وعلى مراحل قصيرة ، وتلبث في أي مكان يوجد فيه العلوف للجمال ، لكنها لا تمكث في قرية أبداً • وعلى ذلك فانك ملاقيها في الاماكن المهجورة دوما ، ولما كان العرب ليســـوا

وزراعة الرز في منطقتها مربحة • وتسكن قبيلة (آكو) شمالها ، كمـــا يسكنها قسم من الـ (خوشناو) • [المترجم]

(٢٣) هي من القبائل المكرية ــ الكردية العريقة تقطن (قضـــاء شهربازار) وتتعاطى الزراعة ، ومن فروعها (بابكر اغـا) و (عبـــاس محمود اغا) ، ويعرف زعماء القبيلة باسم (مير) أو (دالى) •

[المترجم]

(٢٤) قبيلة تسكن منطقة (أوشنو ــ رواندوز ــ رانية) وتنقسم الى ثلاثة اقسام كبيرة هي : (بيران ، منكور ، مامش) •

[المترجم]

بذوي حظوة عند الاكراد (كذا : المترجم) ، والعكس صحيح ، فقد يمضي أحد من الاولين ، من بغداد الى كركوك والسليمانية ، من غير ان يشهد ، من كثب كردياً ، أو يبادله كلمة ما •

ان السلسلة ، على ما تُرى من (بازيان) ، تكوّن مرمى أفق عالياً وتتراءى نشزاً من التلال منفرداً ، لكنها لم تغب عن أبصارنا الا بعد خمس ساعات مدداً • كان المسار يمضي مُصعّدا دواما ، والانسان يرقى عليه ، خلل الوديان ، وعلى النشوز ، حتى يبلغ القمة فيشاهد منها منظراً موثقا • واذا ما أرجع البصر لشاهد كردستان وجبالها شاخصة تعالى ، وقدامه سهل دجلة الوسيع يمتد ، غير متقطع ، بعيداً فيما خلا السلاسل الخفيضة الممتدة تلقاء (التون كوبري) ، والجبل المنفرد الشاخص غربي كركوك ، وكنا نستطيع رؤيته من بعيد أصفر اللون بفعل شمس الأصيل ، وقد نفضت [على الافق الغربي ورساً مزعزعا] •

وكانت تلال السلسلة المحيطة بنا ، وهي تصطبغ بالاحمر والاصفر، رائعة ، قوامها التراب والحجارة ، تكوّن اشكالا غريبة ، وتمتدّ على الجانبين بعيداً ونُزُلا • وبعد ان سرنا لمدة نصف ساعة على قنّة جبل منبسطة شرعنا بالانحدار • وأطبق الظلام ، اذ اسودّ جنح الليل ، ونحن لا نزال فوق الجبل ، ولما لم يكن ثمة قمر بازغ لنا تعرقل المسرى ، ذلك ان ظلال التلال صيرت العتمة أشد مما كانت قبلا •

وغدت قافلتنا ، الآن ، صغيرة جداً ، ذلك ان كثيراً من آحادها اتخذوا مسارات أخرى ، وانطلقنا قُدُما للوصول الى كركوك قبل أن ينتصف الليل ، حين يغلق الباب الكبير بوجه المسافرين ، وعندها يتحتم القيام بعطفة طويلة لولوج (المدينة) من مدخل آخر • كنا ننحدر، ونحن على الطريق ، عبر السهل[٢٥] ، دوما ، وذلك عن سبيل درجات

---

(٢٥) سهل جمجمال على ما يصفه (المؤلف) ، لا تدل مظهرياته البرانيات على مخبرياته الجوانيات ، ذلك ان ثراه يكتن بقايا حضارات

فيه مكوّنة من نتوءات صخر يشق السير عليها من قبل البغال ، وما ان تقرّبنا من المدينة الا أخذت الحرارة تزداد وتزداد •

وفي نحو منتصف الليل ، وبعد أن أمضينا عشر ساعات سائرين ، جاوزنا الباب الكبير وانتهينا الى شارع كركوك الطويل ، وهو بطول ميل تام من النهاية الى النهاية • وكان لديّ مكتوب الى من يدعى بـ (سليم) ، وهو نصراني موصلي ، والى (خان) عمله مضينا • وقادنا طريقنا خلال أسواق مطوّقة صامتة ، وعن سبيل ضوء شمعة واحدة تبيّن طريقنا تحت طوق السوق المعتمة حتى بلغنا باب (السراي) ، وكانت لطرقاتنا على بابه أصداء دوّت في أرجائه كلها •

وفتح الباب حارس ، يغلبه النعاس ، وما أن أفصح (أحمد باشجاووس) عن هويتنا ، الا سمح لنا بالدخول • وفي الظلام ما كنت قادراً على أن أتبين نوع ذلكم المكان ، فيما خلا انه (خان) عمل معتاد ، لكنه كان خلي من اية (طرمات) ، على طول في الطابق الارضي متحلقة ، وبدلا عن ذلك ، كان هناك طابق أعلى ، فيه الغرف تنسحب عن مستوى الجدار ، وثمة مُستشرف كان على طول (الخان) متحلقا •

لاحقت بعضها بعضا ولم تغادر بعضها بعضا • انه ، اليوم ، اما بلاقع او قطع مزروعة حسب ، ولو تيسرت استحالة (تنقيب) شاملة فيه لما بقي ، على ما نقول ، مزيد لمستزيد ، واليك موجزا عما فيه من مواقع أثرية :

١ ـ أقدمها المسمى اليوم (بردة بلكسه) وهو موقع أثري يعود تاريخه الى العصر الحجري القديم والاوسط ومن بقايا (الحضارة الاشولية)، وموقعه على فوت ثلاثة كيلومترات شمالي ـ شرقي جمجمال • وعثر فيه على فؤوس وأدوات من حجر الصوان ورمم حيوانات عاشت في عهد الجليد الاخير ، منها فرس الماء والفيل الهندي •

٢ ـ وفي منطقة (بلكوارا) الكائنة على بعد عشرين ميلا ، شمال ـ شرقي جمجمال أيضا عثر على بقايا آلات حجر وصوان ترجع بتاريخها الى العصر الحجري الاخير •

٣ ـ وفي منطقة (كريم شهر) الواقعة على بعد نحو عشرة كيلو مترات ، الى الشمال الشرقي من جمجمال عثر على آثار العصر الحجري الوسيط أيضا • [المترجم]

ونزل رجل ، صغير الجرم ، في أردية الليل المتراخية ، وتعلو رأسه كفيّة . وقدّم نفسه باسم (خاجه سليم) ، وما أن سمع أن قد أوصي بي الا أراني مصطبة كائنة في الطابق الاعلى ، لي أن أنام عليها . ومن غير كلام أزيد ، سرعان ما اضطجعت على الخشبات الصلبات ولفني النوم العميق بشملته .

نصارى كركوك

وفي الصباح جيء بمتاعي وأودع في غرفة خالية ، واتخذت سبيلي الى (بيت القهوة) لاحتساء فنجان شاي . هنا لقيت (سليما) وشربنا فنجان حليب ساخن محلّى ، وقد جرت العادة على احتسائه ، في هذه الارجاء ، صباحاً . وعُدت معه الى مكتبه ، وهو حجرة صغيرة ، يجلس فيها على كرسي خلف منضدة ، باعتداده أكثر ممن هم على دينه في السليمانية تقدما . وما ابهت لملامح الرجل أبداً : انه رجل قميء ، أميل الى البدانة ، شاحب اللون ، ذو نظرة حادّة متقلة . ومهما تكن الحال ، كان الرجل على حظ من أدب النفس الكافي اذ رحب بي الى كركوك قادماً ، وسأل عن جنسيتي أيضاً . قلت : اني انكليزي فلم يفصح عن ملاحظة ما ، فيما خلا سؤاله : ان كنت قد قابلت جيرانه في (الخان) ؟ ولما لم اكُ قد قمت بمثل هذا ، لذلك أخذ بيدي وطفنا على نحو ست حجرات ، شبيهة بحجرته ، كان يحل في كل منها اثنان من تجارالموصل. وبخلاف مصلاويّ السليمانية ، وهم جماعة محبيّة على وجه فذّ ، كانت نظرات هؤلاء القوم لا تبعث على الطمأنينة ، وما افضت خبرتي اللاحقة الى تكوين فكرة أفضل من هذه . كان أحدهم ، بخاصة ، شاباً يرتدي الملابس الاوربية ، بالبنيقة والاكمام كملا ، مستكرها في مظهره على وجه فذّ . كانت عيناه عيني من أدمن على المسكر ، كما كان فمه الرّخو ، ووجهه الدهين ، يبعثان على غثيان النفس تماما . انه نجل أحد تجار الموصل الاغنياء جداً .

ان انعدام حب الاستطلاع لدى (سليم) لم يكن من اتهاج هؤلاء القوم في شيء . لقد اجتاحوني بالاسئلة واستكرهوا الايقان بأني انكليزي ، وحسبوني فارسيا ، اذ كان عليّ أن أتكلم مع (سليم) بالكردية (وكنت في هذا الاوان أرتدي معطفاً صغيراً ، وسراويل[٢٦] انكليزية ، وطربوشاً) ، لذلك لا معدى عن أن أكون فارسياً . وأياً كان الامر ، ما أن قيل لهم أن لهم حسبان أي شيء يسرهم ، الا سألوني سؤالا ، أو سؤالين ، من (العهد الجديد : الانجيل) وما أن حصلوا على أجوبة مطمئنة ، الا ايقنوا اني نصراني ، على أية حال ، وأطلقوا عليّ اسم : (سون أفندي) وألحوا عليّ بالبقاء ، وقال لي (سليم) انه لن يسمح لي باعداد العدة للعشاء ما دمت ها هنا ، اذ عليّ أن أشارك سائر القوم فيه ، وان أعين نفسي خلال النهار . هذا ، وفي الوقت نفسه ، وعد بأن يحاول ايجاد البغال لي ، في (قافلة بغداد) ، وهي موشكة على الرحيل في غضون أيام قليلة من يومنا هذا .

وعلى هذا ، ولما لم يكن هناك ما أقوم به ، خطر ببالي ملجأ المتسكعين ، واعني به (السوق) ، فمشيت اليه ، وان أجدد خواطري عن هذا (المكان) وقد لبثت فيه ستة عشر يوماً ، قبل أربعة أشهر .

ان الوديقة ، ها هنا ، على أشدها . ولعل نهاية آب في كركوك ، بقدر تعلق الامر بالحرارة ، لا تختلف عن أية مدينة أخرى في (بلاد ما بين النهرين) ولما كنت قد قدمت من تلال كردستان لتوي ، لذلك

---

(٢٦) يلحظ ان (شروال) الشائعة في الكردية يقابلها (شلوار) في الفارسية ، وان (سراويل) العربية مفردة معربة فارسية النجار .
ولعل العربية عمدت الى الابدال فقيل (سرابيل) أيضا ابعادا للكلمة عن أصلها الفارسي ، (وما التعريب الا ان تتفوه العرب بالاسم الاعجمي الاصلي على منهاجها) . وقد وردت المفردة هذه في قوله تعالى :
(وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) الآية : النحل/٨١
[المترجم]

غالبني نعاس شديد ، وما أن عدت الى غرفتي الا اضطجعت ونمت حتى المغرب ، حين ايقظني (سليم) وقد حسبني مريضاً ، فجاء يروم الاحاطة بالامر خُبْرا .

وذهبنا وجلسنا في (الطارمة) خارجا ، حيث كان شقيق (سليم) يطبخ طعاماً . وما أن تخلّى سليم ، نفسه ، عن ملابس الشغل ــ القميص الطويل المخطط ، وحزام حلب ذي الخيوط الذهب ، والطربوش (فيس)ــ الا ارتدى ملابس متحلّلة ــ ولف رأسه بكفيّة .

وأخذ يتفحص غرفته لحين من زمان ، ثم جاء أخيراً بكأسين صغيرين من زجاج وقنينة لُفت بخرق مبتلة ــ كي يبقى محتواها بارداً . كان الشراب (عرقا) ، وهو كحول عنيف طيِّب بالـ (أنسون) والعلك ذي النكهة ، وأصر عليّ أن أشاركه في احتساء ثلاثة أو أربعة اقداح منه [فلذيذ العيش أن تشتركا !][27] ، لتعقب ذلك لقيمات من الرقيّ ، وهذه تتاول لاذهاب الطعم المستكره ، الذي يجيء في أعقاب شربه ، من الفم ، ويطفىء الظمأ الذي يولده .

وصعدنا الى السطح ، والليل يمد رواقه ، حيث كانت هناك ارائك قد صفّت عليه . كانت الشمس قد نزلت الى خدرها ، ومنه يستطيع المرء أن يتملى كركوك ، بسطوحها المتبسطة ، والصحراء الوسيعة الممتدة غربا ، وحيث شكل الجبل العظيم يترامى بقمة على ذهب الأصيل . والجبل هذا يقف منفردا ، لا تدعمه أقدام التلال أو المرقى الصاعد ، غربا .

---

(٢٧) هذه (الاضافة) من (اضافاتنا) التي توائم السياق ، وتزيد المعنى ، في (الاصل) اشراقا ، وعلى ما بينا ذلك في (المقدمة) ، سواء في (الجزء الاول) أم (الجزء الثاني) من (الكتاب) ، وفي الحواشي فيه . [المترجم]

ما أقلّ هذا الذي يعرفه حَفَدَةُ الآشوريين عن المجتلى الذي يتشوّفون اليه ، وعن المدينة التي يعيشون فيها ، باعتداد ان أسلافهم هم الذين أسسوا ذلك ، وان الرابية التي يقوم (الخان) الى الاسفل منها تدعى (قلا ـ دبيت ـ سلوك) : « حصن السلوقيين »[٢٨] .

وكان الوقت الذي يُستطاع فيه الاستمتاع بالمجتلى نزراً ، ولما كانت الشمس قد غابت ، وجاء في اعقابها الظلام رأسا ، وثرثرة النصارى ودعوتهم الى احتساء الخمرة ، كلها حالت دون أية محاولة تنصب على السير في ذلكم النسيم العليل البليل . كان كل منهم مجهزا بقنينة (عرق) ، كما كانت ، عند اريكة كل منهم ، جرّة ماء كانوا يجعلون فيها قنانيهم لتبقى باردة .

أخشى اني خلقت طابعاً مستكرهاً حين رفضت الشرب معهم ، ولما وجدت ان ليس في حوارهم الا القليل من الامتاع لذلك لازمت الصمت ، وما كان عجبهم من ذلك قليلا ، ذلك انهم غدوا ، بفعل تحريك الكحول، كثيري الكلام، وأخفقوا في ادراك لِمَ لا أشاركهم في مرحهم هذا ؟ ودعاني (سليم) الى مشاركتهم ، اذ قال : « ان مما يخلق انطباعاً سيئاً في مضيفك هو رفضك أن تشرب ، ذلك اننا للشراب نحيا ونجد اللذة القذة في حياة تاعسة بائسة . والى ذلك ، ما نمط هذا الانكليزي الذي لا يشرب ولا يكون شربه على مستوى البقية ؟ » .

أجبت : لم يعد سلوكاً مهذبا ولا دلالة على طيب المنشأ أن يشرب المرء ، وان الرأي العام ليذم هذه العادة ، لذا لست بقادر على مشاركتهم ، كما أن معدتي ، ولم تعتد على الكحول أمداً طويلا ، ليست قادرة على

---

(٢٨) وردت في المصادر الآرامية بصورة (كرخا ـ د ـ بيث سلوخ) وبصورة (كرخ سلوخ) ، على ماذكرنا قبلا . [المترجم]

تحمله . وعلى الرغم من ذلك لم يكف ، وأخيراً ، وبتكب خطر الاساءة اليه ، قلت له : ان كان وجود غريب وضيف لا يشرب أمراً تتقزز نفسه منه ، كشأن رفقته ، فاني لن أفرض وجودي عليهم . عندها غدا معتذراً جداً ، وتركني على حال راحة . وكان العشاء قد جاء لتوه ـ وقوامه صحون عديدة من الـ (بلاو) : الرز ، واللحمان المطبوخة ، لذلك ختمت صفحة المناقشة ، وتحلقنا حول مائدة أعدوها وأخذنا نغمس أصابعنا في صحون ، فيها ما هو لذيذ المذاق بخاصة .

هنا كرّة أخرى ، لم أكُ حنفيا ، ذلك اني وقد اعتدت ، خلال زمان مديد ، على ألا آكل ما لا يزيد على الخبز الجاف والفاكهة ، الا قليلا ، اذ وجدت ذلك ، من جميع الوجوه ، قوتا كافياً ، لذا لم استطع أكل الكثير مما في تلكم الصحون ، واقتصر طعامي على الخبز الذي كان يصحبها . لقد برم من ذلك الذين كانوا يستضيفونني ، وهم من كانوا ، على غرار هؤلاء النصارى المستقرين ، يرمون مقادير عظيمة . ومهما تكن الحال ، ليس بُغرم أن يغدو المرء غير حفي ، بين أمثال هؤلاء القوم ، ذلك انه مكنني من أن أقول لهم اني تعب ، وان انسحب الى أريكتي ، حيث استلقيت وأخذت أدخن وأرسل البصر الى النجوم مفكراً ، وأنا ألقي السمع في الوقت نفسه ، الى أصوت النصارى المتعالية ، وضوضاؤهم تزداد بدبيب الشراب فيهم ، وأقارن بينهم وبين المسلمين ، وبالاحرى ان رغبة كانت تراودني على البقاء مسلماً وأنا من كوّنت منهم اصدقاء صدوقين ، وعشت على احسن وجه مستطاع بين أناس يعدوّن الحفاظ على احترام النفس ، في الاقل ، عاملا من عوامل خلقهم .

وما أن أخذ الليل يظلنا الا أصبح القوم سكارى ، وأخذوا يرفعون أصواتهم ، بالحان حزينة وبالترانيم ، بعربية رتية ، كما كانت تتعالى

ضحكاتهم الصارخة وفُواقهم[٢٩] • انهم جمع من السكارى الخاوين ، عديمي الجدوى • [وهم من السكر أموات لا يعقلون] • وغدا الليل • بثرثرتهم ، مرعبا ، ولما لم ينم أحد منهم الا بعد أن طرحه المسكر على الارض أو على الاريكة ، لذا لم استطع النوم الا في وقت متأخر ، وآخر ما سمعته صوت تقيؤ حاد انطلق من فوق حافة السطح الى الفناء •

واعتراني في الرأس برد ، وكان من نوع سيء جداً ، وفي الصباح استيقظت على حمى شديدة وزحفت الى غرفتي بعيدا عن شعاع الشمس ثم اضطجعت على فراشي وهو قطعة من سجاد رقيق ، موضوعة على الآجر • ها هنا بقيت مضطجعا ، طوال اليوم ، تحرقني حرارة الحمى والطقس معا • ان كركوك مكان تزيد فيه درجة الحرارة ، في هذا الوقت من السنة ، على ١١٠ درجات ، في الظل ، وان تلكم الغرفة ، ولا منفذ للهواء اليها الا الباب ، كانت تختزن الحرارة المنعكسة من جدران (الخان) ، ولا تحس النسمة التي تبردها أبداً •

و (الشمس في الغرب عليها غلالة صفراء) او تكد ، غادرتني الحمى ، ومثل (سليم) يسأل لِمَ لَمْ أخرج ، خلال اليوم ؟ لقد رفض كليا أن يصدق ان شيأ ما قد ألمّ بي وحسب ان تصرّفي هذا لا يعدو تصرّفي ، في الامسية الماضيه ، استمرارا • لكنني حملته على أن يتركني ، في الأخير ، وحيدا ، فانصرف الى (عرقه) غضبان أسفا ، واغفيت أنا كرّة أخرى •

وعلى ذلك لازمت الغرفة ثلاثة أيام ، وكنت أحمل النفس واتخذ السبيل الى السوق مرة في اليوم كي ابتاع قطعة من الخبز وشيئا من الرقي[٣٠]

---

(٢٩) تصاعد الريح من الصدر •

(٣٠) وهو الحبحب (حجازية) ، والبطيخ الاحمر ، عموما ونسترجع ان النسبة في (رقي) الى الرقة وهي اليوم من اعمال سورية •

[المترجم]

وايقن النصارى اني مخلوق غير اجتماعي ، فأعرضوا عني ، وهو أمر أحرى به أن يبعث شكراني ، لا العكس ، وخصّصوا وقتهم فيما بعد الغروب الى ذلك النمط من التسلية الذي ، على ما تراءى ، هو « موردهم » حصرا .

حادث في مقهى

وفي اليوم الرابع كانت حالة (البرد) ، كشأن حالة (الحمـــى) ، أفضل كثيرا وخطر ببالي (المقهى) والحليب الساخن يباع فيها ، وولجت (المكان) وطلبت شرابي هذا . وما ان شربته ، ودفعت ثمنه ، الا جـــاء أحدهم يقدم قهوة ، وكاد يصبّ لي من هاته المادة شيئا وعندما رفضت ذلك تراءى مستغربا وانسحب الى حيث كان (ربّ المحل) ، يعدّ المنعش المعاف ، وجرى بينهما حوار ، عن سبيل اللمحات التي كانا يرسلانها الى ناحيتي ، صح الحكم بأني كنت موضوعه حضرا .

وجاء الان ، (رب المحل) نفسه ، ومعه القهوة ، وصبّ لي منهـــا شيئا فرفضتها كرّة أخرى ، وعندها استشاط غضبا . ثم قال متعجبا : « من انت ؟ أنت الذي ترد المقهى وترفض ما تقدمه الى زبائنها ، يا ترى ؟ اما ان تشرب القهوة أو تولي منصرفا ؟ » .

أجبت : « ولم ذلك ؟ شربت حليبك ، ودفعت ثمنه ، أعلي أن أشرب القهوة أيضا ؟ بأي حق ، أو بأي عرف ، تفرض قهوتك لتنحدر الى حنجرات زبائنك ؟

« بحق صاحب المقهى ، لا علاقة لبائع الحليب بها ، وليس لزبائنه الحق في الجلوس في المقهى . أما وقد فعلتها ، فما عليك الا أن تشرب القهـــوة وتدفع ثمنها . »

« كلا ، وأبدا ! » أجبت بوهن وان تملكني غضب ما بعده من غضب

« صب قهوتك في المثعب Gutter [٣١] ، حيث تُرمى المستقذرات .
انك لتصطاد الغرباء في دكانك ، لانك تسمح بأن يجذبهم ذو حرفة أخرى ،
ثم تلزمهم بكلمات خشنة ، وبسلوك الاتراك ، الفظ الغليظ ، على شــراء
بضاعتك » .

كان بائع القهوة قد صب منها في الفنجان شيئا ، كان ولا يزال يمسك
به شطري . وبزمجرة تقزّز من عنادي دفع به نحوي ، وبازعاج تلكم
اللحظة أخذته منه وقذفت بمحتواه في وجهه وخرجت من الدكان ، وثمة
عديد من الضباط الاتراك كانوا قريبين يلقون السمع الى مايدور ، فمثلوا
من الامر عجبا . وسار أحدهم ، وهو رجل مسن يلبس بزّة (يوزباشي -
نقيب) ، على أثري ، وأمسك بذراعي وقال :

« أخي ، يا أخي ، لم هذا الغضب غير اللائق ، ولم يهـان الاتراك ؟
حقا انك لغريب ، وعلى ما يظهر ، مريض ، وذلك يستشف مما يبدو عليك ،
لكن هذه البداية هي التي ينطلق منها التأثر وتفجّر الثورات . اني لعاطف
عليك واستكر تسرعك ، لكن : عليك أن تأتي الى بيتـي لترتاح مديدة ،
فأنت واهن القوى .» حقا اني لكذلك ، اذ كنت أسقط لدى كل خطـوة
وتعتريني نوبات من دوار فتوقفني ، أو تدحرجني بازاء الجدران والزوايـا
فأرتكن اليها حتى يصفو رأسي .

كان الرجل الشيخ يعيش في بيت صغير ، قرب جامع كركوك ، وهو
بنية حقيرة من طين وحجارة ، وقامت زوجه بمدّ بساط على الجانب المظلّل

---

(٣١) وهو مجرى الماء المستقذر وشاعت في أيامنا كلمة (المجاري) ،
وهو خطأ باعتداد الاصطلاح ويجانب الدقة اللغوية . ذلك ان العرب الاقدمين
كانوا يطلقون (المجرى) على كل ماء يسيل . ولعل لسان حال (المؤلف) -
او انئذ كان يردد (من فعل ما شاء لقي ما ساء !)

[المترجم]

من الفناء . هاهنا جلسنا فأمر بأن يؤتى بالشاي ، وشرع يسألني ما أعتدت على سماعها من أسئلة مدلة .

كنت أتبين أنه ما كان يعتقد بأني انكليزي ، وفسر عبارتي بأنها تعني اني أحد امرعايا البريطانيين . وما ان سمع اني ذات الى بغداد الا قال لي : ليس هناك من قوافل تمضي اليها قبل مرور طويل زمان ، فعلي أن أمكث في كركوك أياما كثيرة، ان أردت السفر في قافلة. وأيا كان الامر،ماكنت أرغب في أن أفعل ذلك، وقلت لهذلك، وعندها اقترح خطة،واقعية، محصلها : ان أسافر الى (التون كوبري) ومنها ، بالكلك ، أو الطوف ، الى بغداد وتراءى ذلك شيئا ممتازا ، أو انه ، في الاقل يمكن من فرصة الخروج من كركوك ، وطقسها مستكره ..

ومهما تكن الحال ، أصر على أن أبقى ، عنده ، لايام قليلة حتى أغدو أقوى ، لكن فكرة التخلص من هواء كركوك ، غير الصحي ، كانت حسنة الى حد لا يصح نبذها ، حتى لاكثر من يوم أو يومين عما كان ضروريا .

وعلى ذلك استأذنته بالانصراف واتخذت سبيلي الى (الخان) ، الكائن قرب الباب الغربي وعقيقة النهر ، حيث مثابة[٣٢] بغالة (التون كوبري) و (كوى سنجق) . هاهنا عثرت على من يدعى بـ (عمر) ومن يرغب في ايصالي الى (التون كوبري) لقاء مجيدين اثنين ــ انه سعر باهظ لكنه أمر لست مستعدا لاغالط فيه ، اذ انني كنت في الرحيل راغبا . وما ان قدّمت له مجيديا ، سلفا ، الا عدت الى حجرتي ، شاعرا بارتياح الى الحياة ، بأكثر مما شعرت به خلال أيام عديدة في الطبلة .

وأحطت (سليما) برحيلي المرتقب علما ، فرجاني أن أتعشى معه تلكم الامسية عينها ، واستدعى جيرانه ليكونوا له في ذلك عونا . وقبلت الدعوة ،

(٣٢) المثابة مجتمع الناس .

اذ قد تكون هاتان الامسيتان آخر أمسياتي في كركوك ، لكنني شـرطت واشترطت بالا يفرض علي أن أشرب فوافقوا على هذا أخيرا ، وافترقنا على وفاق أكثر مما سادنا منه ، منذ قدومي هاهنا .

مغـادرة كركوك

وعند الصبح من اليوم التالي ، وبينما كنت خارجا من (الخان) أتخذ السبيل الى السوق ، سمعت من ينادي (غلام حسين) فعجبت من ذلـك وامتعضت . كان الصوت يتناهى من قبالة باب (الخان) تماما ، ومـا ان انثنيت الا وجدت (السيد نوري) يجلس في دكان سراج . انه الشـاب ، نجل الشيخ احمد ، الذي أزعجني في السليمانية كثيرا .

واعترتني رعدة لئلا يراني احد من النصارى معه ، أو يسمعنـي احادثه ، ذلك انه كان يتكلم بصوت خفيض ويدعوني باسمي، عند كل كلمة جملة تالية .

كان اسلوب حواره ، على ماهو عليه دوما ، سمطا من السـؤالات ، وكان أولها عن السبب في تغير نمط لباسي . كنت الان ، على ماذكر سالفا ، ارتدي بدلة أوربية وطربوشا (فيز : فيس)[33] لاتزينه أية كفية.ومن نافلة القول أن يذكر ان لباسي لم يكن حاويا على بنيقة أو اكمام [34] ، وانـي لازلت البس الحذاء المصنوع بلديا ، واحمل عباءة من وبر . وأوضحـت للسيد نوري اني قاصد (بغداد) ، وكانت أجوبتي على أخصر وجه مستطاع

(٣٣) هي ال (فينه) بلغة عامـة العراق ولعل هـذا الاسم من (فيينا) عاصمة النمسة اذ قيل انها كانت مصدرها .
[المترجم]

(٣٤) والقميص بغير اكمام هو الاتب ، ولفائدة القارىء المستفيد والناشىء المستزيد نقول : كانت العرب قديما تحفظ ذهبها وفضتها النقديتين في اكمامها وتشدها او تعقدها اذ ما كانت تعرف هذا الذى يطلق عليه (الجيب) في يومنا هذا ، ونسترجح ان الغربيين هم مبتدعوه وان العرب اقتبسته منهم [المترجم]

كي أنصرف بأسرع ما يكون . سألني أين أقيم ؟ فأجبته : « في خان قريب » اذ لم أشأ ان أذكر اني أحل في المكان الذي رآني أخرج من بابه ، لئلا يأتي اليه وعندها يسأل عن (غلام حسين) فيلعنني صدقاني النصارى باعتدادي خائنا وعدوا يحل بينهم ، كما أفقد منزلتي لدى المسلمين ، بسبب مزاملتي مثل هؤلاء الناس .

ومن حسن الحظ لم يخرج أحد من (الخان) ، ونحن جالسان في دكان السراج ، واستطعت التخلص فاتخذت سبيلي الى (السوق) حيث كنت قاصدا . ما كنت آمل أن أرى (السيد نوري) هاهنا ، اذ كنت أحسبه في (جمجمال) ، مع أبيه ، ثاويا . والظاهر انه ما كان مرتاحا ، وكركوك قريبة، الا أن يكون فيها . كان يشد الرحال ، في أيام قليلة ، اليها فيصيب من جراء سفره بين المكانين نصبا ، كل ذلك للتلذذ بالتراخي في سوقها .

ولقيته كرة أخرى ، لكنني أسرعت الخطى ، من غير أن انبس ببنت شفة . فتركته من اسراعي مستغربا ، وبشيء من احراج ، أو مهانه، شاعرا. وأمضيت سائر ذلكم اليوم مع الـ (يوزباشي : النقيب) التركي الهرم الذي تودد الي في اليوم المنصرم . وتعشيت مع النصارى ، على وفق وعدي ، وعاينت من منظر تحولهم من تجار رصينين الى مجاذيب عاجين ضاجين ، عبر مراحل تبدأ من : سيول اللعاب حتى اضطجاع الجميع هادئين بلا حراك .

وفي صباح اليوم التالي شغلت بضم ما لدي من أشياء، بعضها الى بعض، وابتعت شيئا من الخبز للطريق . وما كانت الرحلة طويلة ، لكن المرحلة التي قطعت بها ، كانت شاقة مجهدة ، وميقاتها المعتاد عشر ساعات الى اثنتي عشرة ساعة ، ان لم يقف الراحل خلالها أو يترجل .

مغادرة كركوك

وجاء (البغال) ، بعدي ، عند الظهر ، وودعت النصارى الذين التأم عقدهم في (مكتب سليم) وودعوني وداعا قلبيا حارا طافحا . وكانت نقطة

انطلاقنا على فوت كبير من (الخان) ، وكان لزاما علينا استجار حمالين لنقل متاعنا الى مكان وسيع خرب كائن عند حافة (المدينة) الغربية القصوى ، حيث كانت عير [٣٥] كبيرة تحمل الى (التون كوبري) .

وعلى العادة كان ثمة مسافرون غير مستعدين للرحيل ، وعليه جلست في الطريق المعقود الكائن في رواق (الخان) وأخذت أحادث كرديا (مكريا) طويلا ، يشبه صاحبي (حمه) ، الذي خلفته ظهريا ، شبها كبيرا . كان يعالج شد رأسه بقطعة من الـ (دوبارة) . وما ان سئل عن السبب في هذا القلق العظيم الذي يعتريه الا أجاب بأنه ضل الطريق ، لما عاد من (كوى سنجق) الى كركوك قبل يومين ، وما ان أصبح بين التلال ، الا دهمته الهماوند ورمت حماره الى واد سحيق ، وضربته على رأسه . انه ، الان ، يشد هذا الرأس ليضم قطع الجمجمة ، بعضها الى بعض ، لتصبح متراصة ، فتلتصق كرة أخرى . لكنه يشعر بألم في أجزاء رأسه كلها،وانه ينشد النصح الذي يمحض له في كيفية جعل قطعة واحدة من الـ (دوبارة) تشد البقع المتألمة جميعا . وفي خضم جلبة التحميل ، اندفع جنديان تركيان، من ركبة البغال[٣٦]،الى المكان فازعجا الحمر وفجرا الاحمال،والحقا الضرر وصيرا الوضع على حال فوضى، عموما، ثم انهما وجدا نحو خمسة من البغال في الاسطبل ، في مكان ما ، واخذا بسوقها الى خارج (الخان) غير آبهين بالحمير ، وهي ترفس ، وبالاوساق وبالرجال ، وقد صيروها على حال هيجان جميعا . وجاءت البغال راكضة ، تحدوها على ذلك رؤوس سيوفهم العريضة .

---

(٣٥) العير قافلة الحمير ، او القافلة مطلقا وهي من المفردات القرآنية الكريمة . [المترجم].

(٣٦) كان من صنوف القوات المسلحة في الانبراطورية العثمانية ما يسمى بـ (استر ساوار) وهم (البغالة) الذين يستفاد منهم في الحركات في المناطق الجبلية اذ ان (الخيالة) قليلة الجدوى في مثل هاته الارجاء .
[المترجم].

القصيرة [٣٧] واختلطت بذلك ، الهرج والمرج ، وعندها نجم عراك بين (قافلتنا) وبين (الجنديين) اللذين الحفا في شق طريقهما عنوة • وتراءى الناس المتحلقون مشاركين في العراك جميعا ، ولم ينقذ الوضع الا بجفول الحمير واندفاعها الى الطريق ، وتركها ممرا حرا للبغل والجنديين اللذين استطاعا الافلات ، على أسوأ حال بالنسبة للناس ، لبلاقيا (يوزباشيا : نقيبا) في الخارج ، أخذ ينهال باللعن ، ويقسم ، لانهما تأخرا •

ومضت ساعة أخرى قبل أن يتم تحميل أوساقنا وما ان شرعنا بالرحيل الا تذكرت انني تركت عند (سليم) شيئا ، لذلك رجعت راكضا ، على الطريق المفضي الى السوق كله ، للاتيان به ، وقد قال (البغال) انه سيحفظ لي بغلي•استغرقت عودتي ، كما أحسب ، عشرين دقيقة وزيادة،وكنتأسير معجلا • لا ممدى عن انهم مضوا ، اثر مغادرتي ، رأسا ، ذلك انى سرت مخترقا مشارف كركوك ، نافذا من (قورية) ، وهي قرية ضاحية ، فعثرت عليهم بعد أن قطعت في السهل مسافة ميلين [٣٨]•وكانت احمل رقية كبيرة، اشتريتها ، واسير بأسرع ما في مكنتي ، في اوار شمس (آب) ، لذلك لم آسف على الترجل من دابتي ونشر ملابسي كي يجف العرق قليلا • ان درجة حرارة الشمس ، في هذه الارجاء وفي هذا الوقت عينه ، هي ١٤٠ درجة •

---

(٣٧) في الاصل Hangers ولعلها ما تسمى بلغة عامة العراق (قامة) • [المترجم]

(٣٨) لانه في غور من الارض فهو شديد الحرارة • ويلحظ ان كركوك ، حتى مطلع القرن الثامن عشر للميلاد كانت تعلو قلعتها ، حسب ، ثم اخذ الناس يبنون الدور في السهل خارج بدن القلعة • ومن المعالم الاثرية في (القلعة) جامع اثري صغير ينسب الى النبي دانيال ، احد انبياء بني اسرائيل ، ومن السبي اليهودي البابلي الذي جرى في عهد نبوخذ نصر، وفي الجامع ثلاثة قبور تنسب الى ثلاثة من الربانيين اليهود هم (حنانيا) و (عزرا) و (ميشائيل) ، كما يوجد في الجامع قبر ينسب الى النبي دانيال ، وثمة قبر في الاهواز ينسب الى هذا النبي ايضا • [المترجم]

كان هناك حشد يرج من المسافرين ، على العادة جريا • وكان أول من خاطبته منهم ، تقريبا ، رجلا من (سنه) ، في كردستان الفارسية ، متخذا الى بغداد سبيلا • انه ، باعتداده كرديا ، طوّف واجرى جوبا وسيحا ، ومارس ست حرف او سبعا ، في اي مكـــان كائن بين (تهران : طهران) و (بوشهر) على (الخليج الفارسي)[39]• وعرض عليّ مصاحبتي ، باعتداده معينا[40] ، (خادما) ورفيقا ، الى بغداد ، على وفق شروط معتادة في امثـال هذه الالتزامات ، أعني أجر رحيله وطعامه • ووافقت على ذلك ، لكن الذي حدث هو اني غادرت (التون كوبرى) قبل أن يكون مستّعداً لذلك كـان ، بالنسبة اليّ ، مضاعا •

وكان ثمة ارمني من (حلب) ايضا ، يقفل الى وطنه راجعا • انه رجل على حظ من ذكاء ، ويلغو كثيرا • لقد شرع يقرّظ ، باسهاب ، الانكليز واتهاجهم خلال المذابح الارمنية[41] • كان مخلوقا لا يستساغ ، وان كان

---

(٣٩) بالاحرى (الخليج العربي) لانـــه عربي اسـما ، وبشريا ، وجغرافيا • راجع بحثنا المرسوم بـ (الخليج العربي) المنشور في المجلد ٢٢ (١٩٦٦) من مجلة (سومر) • [المترجم]

(٤٠) ارادة فائدة القارىء المستزيد والناشىء المستفيد نقول : اشتهر الخصيان الذين يكونون في دور الملوك وعلى ابوابهم ويختصون بتعليم الوالدان باسم : الخدم ، ثم تطورت المفردة الى معناها ومعنيها الحاليين واني لاوثر عليها لفظة (معين) • [المترجم]

(٤١) لا نريد ترك امرها ، من التعليق ، عريانا ، فنقول : لقـــد شهدت الانبراطورية العثمانية في اواخر ايامها فعالا بربريـة واضطهادات قاسية بازاء العناصر المختلفة فيها ومنهم الارمن ولقد بدأت هـذه بالنسبة اليهم من سنة ١٨٩٤ حتى بلغت القمـــة واوفت على الذروة بحملات ابادة على السكان الارمن في الانبراطورية خلال الحرب العالمية الاولى ، كانت لها اصداء مؤلمة مرددة فيها كلام طويل ، لكنني اكتفي بهذا القدر القليل• ولقد وعد الحلفاء بتأسيس دولة ارمنية مستقلة لكن ذلك لم يتحقق •• ، ذلك ان الرئيس وودرو ويلسن اختط لها حدودها في تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ وجعل لها على البحر الاسود منفذا (ميناء طربزون) كان اجتاحه الثوار

←——

في ذلك على غرار جل ابناء ارمنه (كذا : المترجم) ، لذلك اخذت احاور (سليما) باللغة الكردية ـ التي يجهلها ذلك الارمني ـ لاتخلص منه .

غلطاء جدد

وسرنا ثقالا ساعات ، في الطيلة ، وساعات ، تتخلل التلال الواطئة ، عبرها ، حتى السهل الكائن على الجهة الثانية . وما كان هناك من قمر منير، وصحب تعب العينين مغالبتها النعاس ، والحالة شبه اللاشعورية التي تطبق على من يسري على مراحل ليليه طويلة . وذات مرة حملنا على التوقف جميعا ، ومرد ذلك الى صلينا من قرية ، وكانت الاطلاقات تتاثر حولنـــا وفوقنا ، وقتلت حماراً . وعندها نقل (صاحبه) ، وهو كردي من ال (شوان) حمله الى حمار آخر ، بهدوء ، ومضى من غير ان ينبس ببنت شفة ، ذلك اننا عقدنا العزم على أن نمضي خلل الرمي ونتخلص منه ، وهو ما أدركناه بعد قليل، على جنبي كانت الاطلاقات تطاير على اتســاع في الظلام ، فلا تصيب شيئا أو أحدا وفي خلال الرحلة كانت لــي معرفــة ، هينة الشـــان ، بشخصـــين كان أمرهما عجبا . كان أحدهما يافعا يظهر عليه السخف ، على وجه فذ . كان ثوبــه سليمانيا او كركوليا ، وحســـبته ، بادىء الرأى ، من اهـــل السليمانية ، ولم اكتشف غلطي الا حين خاطبته بالكردية فأجاب بالتركية : وكان رفيقه والده ، وهو رجل بلغ من الكبر عتيا ، متين البنية ، ذو سلوك رصين ، يركب حمار صغيراً يسير به خلف ابنه رأسا ، وهو يحث الاثنين على المضي قدما . وان القى امرؤ السمع الى حوارهما لحسب ان الفتـــى اليافـــع ضحية أب غظ غليظ ، لا ينفك عن تأنيب ابنه عــلى كــل ما يفعل

الاتراك في تشرين الاول ، قبلا . كما ان الاتراك اقتطعوا اقليمي (قارس) و (اردهـــان) من ارمينية الروســـية . لقد تكونت من بقيـــة ارمينيـــة (جمهورية ارمينية الســوفيتية) يوم ال ٢٠ من كانون الاول ١٩٢٠ واعلن ان حمايتها لروسية السوفيتية . [المترجم]

ويقول • لكن اجراء محادثة معه ، تستطيل لحظات قليلة ، تقيم البينة المقنعة على خباله وعدالة تأنيب والده •

ان الذي استرعى انتباهي اليهما ، اولا ، فرقعة (قلة) سمع الصبي بسقوطها • ذلك انه أراد الشرب من فمها الوسيع ، على حين كان يركب في حشد القافلة ووقع الذي لا معدى عنه ولا محيص منه ـ ذلك ان بغلا رفسه فاخرج يده المشغولة كي ينقذ نفسه ، وبذلك سقطت (القُلّه) • ولم تمض عشر دقائق الا طلب مني شربة من (قلتي) ، وبينا انا انتزعها من الاكاف[42] ، العائد الي ، تدخّل والده في الامر ، قائلا :

• لا ، يا اخي ، لا تقدّم لهـذا الاخرق ، ذلك أن من يدأب على العطش منذ تكسّر (قلته) لا يستحق أن يمكن من تحطيم قلة غيره ، •

كما انه لم يسمح بذلك ابداً ، وانما انثنى الى ابنه واخذ يؤنّبه على خطله واخلاقه السيئة في مخاطبة غريب ، وسؤاله وشيلا من ماء يملكه غيره •

وما كان الشيخ الهمّ ذا طبع حواري ، وكان يلتزم الصمت امتلق وهو يسير راكبا • لا يقطعه الا مكرها بفعل خبال ولده ، لذلك لم ارد ، قبل بلوغنا (التون كوبري)[43] ، الا قليلا ، ووردناها قبل ساعة من انفجار الصبح •

كان عليّ ان اعتمد على البغال العائد اليّ ، عمر ، بقدر تعلق الامر بايجاد مكان انام فيه • قال انه يعرف مكانا ما ، وسيأخذ بيدي اليه •

---

(٤٢) الاكاف البرذعة ، فان كان صغيرا فهو القتب وهو على قدر سنام البعير • [المترجم]

(٤٣) ارادة فائدة (القارىء الكريم) المستزيد والناشىء المستفيد نقول : انها مستوطن شاه السلطان العثماني : مراد الرابع وأراد أن يكون نقطة من نقاط خط دفاعي بازاء الفرس ، وكان الصراع بين العثمانيين والفرس ، اوانئذ على أشده ، وقد امتد الخط المذكور من(تلعفر)حتى خانقين، واسكن عليه ناقلات (جاليات) تركمانية • والسلطان مراد الرابع هو ثاني اثنين من سلاطين بني عثمان قدر لهما فتح بغداد • [المترجم]

وتلاشت القافلـــة بمجرد عبورنا (القنطرة) العاليـــة ، واتخذنا ، صحبـة كركوكيين كانا لديهما حمل من الدهن ، سبيلنا على الزقاق الرئيس المفضي الى (الخان) . وطرقنا بابه ، بعض زمان ، لكن ذلك كان بلا جدوى ، ثم قيل لنا أخيرا ان أربعة من الجنود البغّالة (ستر ساوار) قد احتلوا المكان، وانهم لايسمحون لاحد ، كائنا من كان ، بأن يدخله . ومهما تكن الحال ، استطعنا أن نحملهـــم على ذلـــك ، وأخـــذنا نتعثر في ظـــلام الفناء الصغير . هاهنا التقى (البغّال) اوساقنا ، وساق دوابه قبل ان اعـلم انه لا يريد أن يبقيها في (الخان) أو ان ليس فيـــــه من (ديدبان) أو (خانجي) ، رجال يعنون بأمر المسافرين و (الخان) ، ينضاف الى ذلك ان المكان كان خربا . وكان ثمة مرقى ذو درجات من طين ، اكل الدهر عليه وشرب، بحيث لايعدو أن يكون دعامة ملساء ـ مستوية لجداره ، يفضي الى سطح الاصطبل ، كما كانت هناك ثلاث حجرات أو اربعا لم أقف على شأنها، كان الجنود على السطح نائمين ، وبذلك زيدت الحال السيئة سوءا . وحملت ما لديّ على منكبي وصعدت الدرج الى سطح الاسطبل . ورميت عبة عليه واضطجعت ، قرب الجنود ، ونمت لمدة ساعتين .

الفصل الخامس عشر

والى بغداد ...

رحلنـــا

وعند الفجر استيقظت [وفي الافق ما يشبه حريق النار في أجم الحصيد] [1]، وذهبت، من فوري، لالقي نظرة على الحجرات،وكنت أروم وضع متاعي في احداها . وكانت حجرتان منها مطوقتين ، على حين سقط سقف كل من الثالثة والرابعة على الأرضيّة . ووجدت خامسة الحجرات قابلة ، بقليل من الاصلاح ، على الانغلاق ، وهذا ما فعلته بسبيل مسمار حدوة حصان ، كان في الفناء ، وبقطعة من خشب تكسرت من باب آخر . وسحبت ما لديّ الى داخلها ، متفاديا الثقوب الموجودة في الرَوْشن Verandah المطلّ على الاسطبل السفلي ، وغلّقت الباب .

وما كانت السوق ، حتى هذا الاوان ، قد فتحت ، وما ان خرجت من باب (الخان) الا كان الجنود بسبيل الاستيقاظ ، وقد صرخوا طائبين

---

(۱) هذه العبارة ، ونظائرها التي ترد في ترجمتنا (الكتاب) موضوعة بين عضادتين من لدنا ، يقتضيها السياق ولا تخرج على (الاصل) وانما تضفي عليه اشراقا . [المترجم]

(۲) في (التون كوبرى) قنطرتان على ذراعي الزاب ، والبليدة بمثابة جزيرة بينهما ويعني اسمها بالتركية (قنطرة الذهب) ونسترجح ، ولا نقطع ، ان اصل اسم البليدة (قنطرة الزاب) فسماها الاتراك قنطرة الذهب لتشابه لفظتي : ذهب وزاب . سلك السلطان مراد الطريق المار من موضع التون كوبرى عند قدومه لفتح بغداد (١٦٣٨م) وقيل انه امر بتشييد قنطرة في الموقع . ويسترجح الاثاريون انها تقع فوق الموقع الاشورى القديم (شمورو) . كما يرى آخرون ، ومنهم هرزفيلد ، انها موقع (شهر قرد) المدينة التي ازدهرت قبل الميلاد . ومن المؤرخين ـ البلدانيين العرب الذين ذكروها (ياقوت) وذلك باسم (القنطرة) على غرار كثير من المراجع العربية [المترجم]

سدّه ، في أثر مغادرتي ، كرّة أخرى . وتيامنت في سيري على الطريق نزلا ودأبت على ذلك تلقاء الوجهة التي اتخذتها ، خلال رحلتي في الليلة الماضية ، حتى بلغت شاطىء الفرع الشمالي العريض لمنفذ الزاب الصغير الذي يصيّر (التون كوبري)[٢] جزيرة . هاهنا استحممت استحماما طيبا ، وشربت من ماء بارد عذب سائغ شرابه ، واكلت كسرة من خبز وجدتها في جيبي . كنت جائعا نوعما ، ذلك اني لم أصب من طعام سوى القليل من خبز ونصف رقّة ، وذلك منذ الصباح الفائت في كركوك .

الى كركوك

وعدت ادراجي فدخلت (البليدة) كرّة اخرى ونشدت (مقهاة : مقهى) استنشف فيها معلومات تتصل بكيفية العثور على (كلك) ينحدر الى بغداد ، وان كان ذلك موجوداً ، فمتى ؟ .

هناك اربع من المقاهي في شارع (التون كوبري) الرئيس ، اكبرها واشهرها تقدّم (القهوة) حصرا . لذا تركت هذه على يميني ، اذ كنت انشد الشاي شرابا ، ومكثت في أخرى . وقال لي (النادل) انى ان اردت الحصول على كلك ، أوطوف ، فما عليّ الاّ التوجّه الى ناس أجدهم وراء سوق الحبوب ، كما علمني كيف اتخذ الى هناك سبيلي . وافاد ان اصحاب الاكلاك يشاهدون في (مقهى) كائنة من السيف بمقربة ، وحيث الاكلاك مشحونة .

وما ان دفعت حسابي الاّ مضيت ، كرة أخرى ، على الشارع الرئيس الصغير الى الشاطىء الذي استحممت عنده فيما مضى ، لكنني انحدرت متياسرا ، من (البليدة) خارجا ، ودأبت على السير في مشارفها حتى بلغت (سوق الحبوب) ، وهو ساحة كانت في شغل شاغل وقد كدّست فيها اكداس من الحنطة الفاخرة على الارض وقد وسمت بجلاء بعلامة (مجرفة) أو الة خاصة ، للحيلولة دون السرقة . وما ان تبينت طريقي خلل هذه الاّ بلغت مقهيين كبيرتين قائمتين على شاطىء فرع (النهر) الجنوبي . هاهنا

وتحت ظله ، لطيفة من ورق أخضر ، كائنة خارج (المقهى) جلست واحتسيت الشاي ، واجلت النظر فيما حولي . هنا هنا كثير من الاعراب ، اصحاب الاكلاك ، لكن صاحب المقهى ، وكان يتكلم الفارسية ، أعلمني ان ثمة واحدا منها سيرحل عند الصبح غدا . وبينما أنا احاور دخل اللذان عرفتهما في اليوم المنصرم ، اعني : الاب الجادّ والابن الاخرق ، وما ان سمعا حديثنا الا ّ قال انهما على المهمة نفسها ، وخليق بنا ان نبحث فيها معا . كان هذا مدعاة شكراني الذي ما بعده من شكران ذلك ان الغريب في بلد غريب يرحب ، وهو طافح بالسرور ، بتأمل الحصول على رفيق سفر : [وكل غريب للغريب نسيب !] .

وبتوصية جاد بها (صاحب المقهى) ، بحثنا عمّن يدعى (الحاج عثمان) ، وهو اعرابي فظّ غليظ ، فوجدناه ، يجاهد في شحن كلك من عريش أماليد كائن على الشاطيء . وما ان سئل ان كان لديه كلك يرحل ذلكم الصبح عنه الا ّ اجاب بالايجاب واشار الى واحد قدامه تململا . ثم انه ادار ظهره لنا ، واخذ يحاور اعرابيا قذراً بشأن أمر هيّن الشأن تافهه . ورفض ، بعض الوقت ، الاعتداد بوجودنا حتى أستدرنا نروم الانصراف تقززا ، حين بادرنا قائلا : انه سيحملنا ؟ ان اردنا ؟ على ظهر كلكه الذي سيتخذ الى بغداد سبيلا . كان الاجر الذي طلبه اربعة مجيديات عن كل شخص ، وعندما ابدينا على مثل هذا المبلغ الضخم احتجاجا ، تجاهلنا كرّة اخرى ، واشغل نفسه بأمور أخرى : [ولسان حاله : لا الهينك اني عنك مشغول !] واستدرنا كرّة أخرى ، عندها أجرى في (الأجر) خفضا ، اذ غدا ثلاثة مجيديات عدّا . لكن ، تطلّب ايصاله الى (الاجر الحقّ) ثلاثة « تمرينات » أخر من (الفصل) نفسه ، انه : مجيديان اثنان . وحتى عند بلوغ هذا لم تكن موافقته عليه الا مصحوبة بأشدّ مظاهر سوء الخلق المحتملة ، اذ قال ان من الحتم علينا أن ننام فوق متاعنا والا ّ ننشره على الطوف ، فوق البضاعة .

وطلب من كل منا مجيديا آخر ، فدفعناه حقا • ثم انه قال لنا : ان نذهب ، باسرع ما في مكنتنا ، ونشتري لنا طعاما ، ذلك ان الكلك قد يبدأ بالرحيل في غضون دقائق معدودات ، وانـــه لن ينتظر احدا • واطلقنا لسيقاننا الريح على هذا الوجه الفجائي فافترقنا وكل منا ينشد طعاما ومتاعا • وعلى الطريق المفضي الى (الخان) استأجرت رجلا شيخا كبيرا وحمارا ومضينا الى (الحجرة) جميعا ، وحملت ما لدي على ظهر الحيوان،وعهدت الى الرجل بنقل المتاع والحفاظ عليه • ثم اني تركته واتخذت السبيل الى السوق حيث لقيت (بقال) الأمس : عمر •

لقد الححت عليه بأن يكون لي عونا ، وما ان ســـمع اني راحل من فوري الا ادكر الضرورة القصوى ، اعني : الخبز ، وعندها نادي صبيا (اذ تراءى انه يعرف من في هذا الموقع جميعا) وقال له بأن ينطلق الى أمه ركضا ويقول لها بأن تخبز من (العيش) قدرا كبيرا ، على أن تعد ، إبان ذلك عيبة لتضعه فيها • ثم اننا صرفنا عنايتنا الى شراء أي شيء آخر يجهزه السوق لرحيلنا ، فوجدنا أن الفاكهة الوحيدة الباقية لا تعدو (عرموطا) صغيرا • وأثر مساومة جمة ، قر رأينا على بضاعة رجل ما ، وطلبنا منه حقة منه ، ولما كنا من المشترين بمقياس كبـــير لذا سمح لنا بأن نفحص كل (عرموطة) قبل قبولها • لذا شاركنا في ذلك جميعا واخذنا نقضم واحـدة منه هنا ، واخرى ، هاهنا ، ونتحسس كل واحدة ونفحصها لئلا تكون فيها رضات أو تكون فاسدة،وبعد مضي ما خيل انه ساعة من زمان صرفت في التوثق من المعيار الذي نصطنعه ومعيار البائع نفســه ، جعلنا ما اشتريناه في كفيه وسرنا ننشد جبنا • لقد رأينا وذقنا منه انواع شتى ، انها قطع غير سائغـة الطعم مما تراءى بالحجر الاغبر شبيها • ثم اخترنا هذا الذى اقســـم البائع ان « عمره » سنه في الاقل ، وعلى ذلـــك فلن يتعرض الى التردي ان احتفظ به • لكي يؤكل شيء منه يجب ان يـــكون بالماء منقوعا مدة نصف

ساعة ، وليصبح هشا وليطرد بعض الملح الذى كان به مشبعا • وزمينـــا الجبن مع الكمثرى (العرموط) فيغدو زاد سفرى ،عندما احصل على خبزى، كاملا • وكان علي ان اخصص ، وبضمن ذلك اجر السفر ، نحو اربعة مجيديات (او ٣٠ شلنا) لرحلة الى بغداد تستغرق احد عشر يوما •

ولما كانت كل الاشياء اصبحت ، الآن ، معدّة ، فيما خلا الخبــز ، لذلك رجعنا الى (المقهى) ، ولنقل انها نهاية خط الاكلاك كلها وطلبــا شايا • وبينا نحن نبحث في هذا سمعت نداء (غلام حسين) وسرعان مــا انضم الينا اعرابي طويل القامة ، كان قد صحبني في رحلة الربيــع الى السليمانية• كان عليّ ، في هذا الاوان ،ان اعرف انكان عمر قد عرف من اكون ، وسّرني ان الرجل العجوز وولده ما كانا حاضرين ، ذلك انهمــا كانا يعلمان انى نصراني ، فان ظهر تعلى حال مزيفة بازاء كل منهمــا او بازاء الاعرابى ، فان ذلك امر غير مرغوب فيه ، وعلى الخصـــوص ان الاحمر انسان متعصب للغاية، وقد كان لي معه جدال دينى انصب علــى حق الشيعة والسنة •

وانطلق نحوي راكضا واحتضنني وحياني بتحية الاسلام ، وطبــع قبلة على كل من خديّ ثم اخذ يتكلم بصوت عال ، باللغة التركية، وابتدأ يسألني اين كنت وماذا كنت افعل • وكنت طوال الوقت ارقب الرجـــل العجوز وولده ، واحاول التخلص ، لكن الاعرابي لم يدعني أن انصرف ، وقال انها لفرصة جاد بها الله علينا، وعلينا الا نضيع الوقت بل نمضيه فـى حديث أخوى • وعلى ذلك حملني على ان اتكلم عن (شيراز) و (فارس) وهي موضوعات استرعت انتباه العاطلين في ذلكم الجوار ، وصيرتنا مركز جمع منصت • وفي خضم ذلك جاء احد الكلاكين يسعى وقال انهم عــلى وشك الرحيل ، فعن لي ، في اللحظة نفسها ، أني لم احصل ، بعد ، على الخبز ، لذلك رجوته أن يتريث لدقائق معدودات ، وانطلقت ، وانـــا

مسرور للتخلص من الاعرابي، وقد ملئت رغباه واشفق مجددا من أن اخلف في (الطون كوبرى) ظهتريا ، مدة اسبوع اخر ، او نحـــو هـذا .

كنت تركت حذائي على ظهر الكلك كي أعلم به البالات الخاصــة التي ادعي بأنها مكاني ، وركضت خلل شوارع (الطون كوبـــرى) وقدماي ترمضهما الارض الحاره . كنت ارتدي ثوبي الفضفاض العتيـق وغطاء رأس كرديا ، وهو لباس متمايز . وبينا كنت اركض أمسك بذيله بين اكافي حمارين ، فخلفت منه نصف باردة ورائي .وبلغت باب الخباز ، والعرق يتصبب مني ، فوجدت (ربة البيت) تعد رغفان الخبز وتضعها فـي عيبـــة والتقطتهـــا منهـــا ووضعتهـــا عـــلى ظهـــري وانـا دهش من ثقلها وحجمها ، واعجب من كيف اني سآكل «جبل» الخبز هذا ، وعثرت ، فسقطت خارج الساحه ، وانا لا آبه بعياط المرأة الصالحة وهـــي تطلب عدّ رغفان الخبز ، ثم بلغت الشاطىء في الوقت اللازم ، لأحمـــل نفسي واحمل ثقلي على الكلك ، فخضت في ماء عمقه اربع اقدام ، ولحظت صديقي العربي خارجا من (المقهاة : المقهى) كي يودعني ، وهذا ما فعلـه بسيل صرخات تعالت منه وهو يجري . وكان التيار ، ها هنا ، شـــديد المرة (٣) وسرعان ما جرفنا الى خارج مسمع الاذن فاسترعى انتباهي مـــا جاورني رأسا ، وذلك عن سيل تهاني الشيخ والهم الفاني الذي جعـل نفسه في الجهة المقابلة لصف البالات المخصصة لي ، واخذ يرمـق ثيابي الممزقه عاطفا . وغادرنا التون كوبرى وشغلت لمدة نصف ساعة ، او نحـو ذلك باعداد مكان فوق البالات ، اذ فرشت لحافي القطن تحتي ، وجعلت من خبزي وسادة وحاولت أن اصطنع وسيلة ما تنسيني ان ما تحتي ليس ، حتى بأرض منبسطة ، وانما ما اسميه (بالات) ، وهي حزمات من العصوات

٣ ـ شديد القوة والطاقة وهي من المفردات القرآنية الشريفه (المترجم).

الصلبات الزاخرات ، ومن اشد نظيراتها في الدنيا كلها . كنت على يقين من انها تحمل الى بغداد ليبعها فيها .

وغادرنا الطون كوبري

لقد رتبت ذلك الى حد ما ، واخيرا جلست هادئا اتقي بأوار شمس آب ، في يوم ريحه سجواء ساكنة ، لانسمة فيه ـ وانا احس بالعرق ينزل مني مدرارا . واخذ الكلك يدور ويدور متمهلا ، والشمس تشوينه على ما يشوى (الكباب) على السفود «٤» حقا . وكانت الحرارة في اقسام النهر الهادئة هذه ، بين التلال الحمر الخفيضة ، شديدة ، ولدى التفكير فيها يتذكر الانسان الذي يأتي به الغد ، هو على التحقيق ، اسوأ ، اعني عندما نبلغ سهول بلاد ما بين النهرين .

وقبل نحو ساعة من غروب الشمس ارفأنا الى قرية صغيرة كردية ، حيث كان علينا أن نأخذ احمالا من الجذور اكثر ، لذلك ارتبكت ترتيباتنا الحسنة جميعا ، اذ كان علينا حمل ما لدينا الى الشاطىء كي يستطاع نقل البضاعة . كان المكان ، عند نهاية امتداد طويل هادىء للنهر ، واذ عهدت ممتلكاتي الى الشيخ الهم الفاني انسحبت الى بقعة منعزلة واخذت استحم ، وكانت اول سباحة لي على مدى سنه ، واول استحمام كائنا ما كان ، على مدى شهر وزيادة .

وتناولنا غذاءنا الهين الشأن ، قوامه الخبز والفاكهة ، على شاطىء صخري ، واضطجعنا للنوم على صفار الحجارة حتى لاحت تباشير الصباح . ودأبنا ، لمدة ثلاثة ايام مددا ، على السير قدما ، سيلنا بين التلال الواطئة يتلوى ، في الزاب الصغير المونق ، وهو يخترق ارضا

---

٤ ـ هو (السيخ) او (الشيش) بلغة عامة العراق . وال (كباب) كلمة فارسية النجار وعند العرب (الطباهج) . (المترجم)

مهجورة تقريبا . لقد تجلى الان ، اننا على كل حال جعلنا الكـــــرد والتركمان وراءنا، ذلك اننا لم نر الا العرب ، وقليل ما هم حصرا .

وكنا نشاهد ، بين الفينة والفينة ، على طول الضفة قطعا صـــغيرة بالبطيخ مزروعة ، ذلك ان النهر المنحسر صيفا قد خلـــف ضـفة مـــن ترنوق (٥) ، وقد يشاهد صاحب القطعة ، في الاحيان ، وهو يعنـــى بثمارها ، لكننا ما كنا نشاهد في الاغلب الاعم ، امارات تدل على من يحل من المزارع بمقربة ، وقد يستطيل ذلك اميالا فاميالا ، فتراءى وكأنهـــا تعدم المالك ومهجورة . وكانت وديقة النهار على اشدها . ولما كان النهـــر واطئا ، الى حد لايسمح بالمضي فيه ليلا ، لذلك استطعنا ان ننام عـــلى الضفتين وعند الصباح النض جرينا فيه كرة اخرى واستمتعنا بتباشـــير النور التي تسبق شروق الشمس لمدة نصف ساعة . ثم اعقبت ذلـــك ساعتان كان الجو في اثنائهما باردا ، والنسيم يغالب حرارة الشـــمس ويغلبها ، لكن ذلك يتلاشى خلال الضحى ، لذلك جرينا ، من غير دريئة تقينا الشمس ، التي ترامت وكأنها ترمض اللحم العاري وترسل العـــرق ينحدر ، بين الشعر ، الى العينين . وبينا كنا نجرى ، ذا عصر، واثر يوم كنا ، خلاله ، نتقرب من شاهق جبل شاقولي مقيت ، اخذنا ندور ، دوران المصرع ، في زاوية ، عبر حاجز ، ومنه الى بحيرة حقة ـ نهر دجلة ـ المنسابة في عطفة عظيمة ، تحت سلسلة جبل حمرين (٦) ، وهو جبـــل

---

٥ ـ وقد شاع (الطمي) اسما له، وهو خطأ ، اذ يقال في اللغة طما النهر اذا علا على حين معنى (الترنوق) ومعنيه ما يمكث في الارض من رواسـب يجيىء بها النهر (المترجم) .

٦ ـ عرف جبل حمرين في موضع (الفتحه)، حيث تقطعه باسم (جبال بارما) ، وكانت ثمة مدينة باسم (بارما) في لحفه . وامتداد جبـــــل حمرين الى الجهة الغربية من دجلة يعرف باسم(جبل مكحول)، وكانت ثمـة

أجرد قفر لايقربه الا اعراب الجيور . ها هنا ارفأنا (٧) ثلاثة من اكلاكنا الصغيرة ، ولن تكون ، بعد ذلك ، ليال على الشاطىء تقضى . والى ان نبلغ (بغداد) لزاما علينا ان ننام على ما عندنا من «بالات» الجذوز وتتحمل الوديمة التى تزداد دواما ، خلال ايام يكون فيها جرينا متناقصا .

وجرفنا التيار الى اسفل صخور الجبل العظيمة الحمر الجرد ، ومن خلفها قفز عشرون من الاعراب عدا ، واخذوا يركضون على الضفة صارخين يطلبون الوقوف منا . وتعرّى احدهم سريعا ، وغاص ، ثم سبح تجاهنا . كان مخلوقا متوحش المظهر ، يسبح بضربات مصممه قوية ، فادرك أحد الاكلاك ، وقفز اليه ، وهو عريان(ربي كما خلقتني)، وعلى غرار سراق الشرق جميعا ،طلب معجلا ، اعجالا مرعبا ، تبغا وخبزا . وأعطي اليه ما اراد فانطلق الى كلك اخر سراعا ، واخذ منه أتاوة ، كرة اخرى ، وما ان وجده يمضي بعيدا الا قفز منه ، واخذ يسبح ، وما سلبه فوق رأسه، تلقاء الشاطيء ، على استعجال . وذأب زملاؤه ، في الوقت نفسه ، على كيل الوعيد ، فاستكان اليه كلاكونا الاعراب ووجهوا طوفهم الاهوج الى قريب من جانب النهر ، وكي يرضوا الاعراب الصراخ جمعوا قليلا من التبغ ، من كل واحد منا ، وسبحوا به الى الشاطىء ، وهم يحسبون انفسهم ذوى طالع حسن ، حين سمح لهم بالمضي من غير أن يمنوا بخسار اكثر . ان هؤلاء الاعراب ، انفسهم ، ذوو ناموس (سمعة) سيئة، وعلى ما كانوا قبلا .وانهم ليعمدون الى اصلاء الكلك نارا حتى يحاذى الساحل ليسلب ، ثم يفرّون حتى بالجلود والاعمدة التى يصنع منها .

مدينة باسم (الكحيل) سمي الامتداد المذكور باسمها تحريفا . ويلتقى الزاب الاسفل ، الذى يجرى فيه (المؤلف) على ظهر (كلك) بدجلة عند (بلدة السن) وهى (بارما) التى اشرنا اليها . (المترجم)

٧ ـ ارفا الجارية حبسها وربطها .(المترجم) .

وجرفنا التيار عنهم تدريجيا ، واخر ما شهدناه منهم عراك نجم من حصص التبغ •

وحملنا من قرية كردية مسافرا • انه رجل غريب ، بلغ من الكبر عتيا ، احدوب ظهره ويبس جسمه ، يرتدي ملابس غريبه ، تطاير مهلهلة ، ويحمل عبة صغيرة واناء ماء من قصدير • لقد شل على الشاطىء تنكم الامية ، عندما توقفنا اول مرة ، واعلن انه من اهل (سمرقند) • حقا كان مظهره منوليا ، ذلك ان عينيه الصغيرتين كانتا ترتفعان على شكل زاوية من جسر انفه المسطح ، وهو ذو لحية نامية على ذلك النمط الخفيف المتفرق الذي يختص به عرقا : التركمان والمغول • كان يتكلم التركية والكردية والعربية ، لكنه كان طاعنا بالسن فنسي ايهما هذه وايهما تلك ، كما اصبح امرهما لديه مزيجا بحيث ما كان احد من الكلاكين ليفهمها كليا • كان طوال اليوم ، يتمتم لنفسه ويلمس اناء الماء الذي لديه باصابعه ، او يصلح من شأن ملابسه العتيقة بسم خياط من خشب • ما كان عنده من الخبز شيء وكان يأكل مما كنا نجود به عليه مقترا • قال انها الحجة الـ (١٥) الى مكة ، لكنه نسي موسم الحج تماما • كان يتحدث عن ناس كثيرين ، وعن اماكن جمة ، جاعلا منهم ومنها مزيجا • وكانت لديه (تذكارات) من كل منها : (مبراة قلم) من (مشهد) و (قطعة شمع) من (حلب) و (اكرة) من علك ذي نكهة ، من قرية في مجاهل (كردستان الشمالية) القاصية •

انه ليقول بملء فمه : « هذه هي التي يطلق عليها في لساني : (بجاق) او (سكين) العربية ، واولئك الاكراد يسمونها (كيارد) انها جيدة ابتعتها في سوق (مشهد) ، قرب مسجد الامام الرضا (ع : المترجم) ، من مسلم صالح ، لم يكن يسمح بان يمر يوم ما من غير ان يجود علي بخبز • ها هنا في (بغداد) هذه ساومت على

(سكينه) ، كان كرديا طويل القامة من اهل ديار بكر ، حيـــن •••• ، وعندها ينقطع حديثه ، وعند الضحى ، وقد نسي وضوءه ، يقف متصبا ، وقد ادار ظهره الى مكة ، بدلا من ان يستقبلها ، ويقيـــم صــــلاة العصر (كذا : المترجم) •

واذا ما خوطب اجاب عن فكرة كامنه في دماغه ، بما لايشبه التركية، ثم يختم بالكردية التى يتحدث بها غالبا • انها كردية (بايزيد) الخشنه ، وهى التى لانفهمها ، نحن الغربيين الا باعسار • كان يحسب انه سيصل الى مكة في غضون سنه ، يتكفف الناس من (ســـراى) الى (سراى) «٨» ، ولعله يسافر من البصرة الى جدة على ظهر سفينة الحجيـــج • وتـــأوه وقـــال : لقـــد اتخـذت الســـيل مـــن بغــداد الى تدمـــر و (المدينـــة) مرتيـــن ، ولعلـي اتخـــذه كـــرة اخرى ، صدفة ، من يعلم ؟ ثم انه ينغمر في ذكريات الايام العطاش التى مرت عليه فـــي الصحراء العربية ، مختلطة بذكرى شعاب كردستان وسهول تركـــستان بشتائها القارس المجمد ، ، وهو ، بين الفينه والفينه ، يصطنع لهجة غريبه لم نستطع الاحسبانها لهجة موطنه •

تكريت

على هذا مضت (الرفقة) الغريبه هذه طائفة الى حيث كان ينفذ نتـوء صخر من صحراء منبسطة ، فوصلنا تكريت ، البليدة القذرة «٩» وهى قائمة على منحدر ، تحت حماه • انها بليدة صحراء منعزلة فى قفر يباب راكـــة

---

٨ ــ هكذا وردت في (الاصل) : Serai ونسترجع الله اختزلها من Caravanseral التي تعنى (الخان) ، اذ الـ (سراى) ، وهـــي كلمة فارسية النجار دخلت التركية ، تطلق على (دار الحكومة) • (المترجم)

٩ ــ لعلها كانت على مثل هذه الحال ايام زيارة (المؤلف) لها ، امـــا اليوم فهى بليدة عامرة تزدهر ، سنة بعد سنة ، وتتوسع • (المترجم)

نهرا هو ، في الحق ، اشد الأنهار الجارية انعزالا • انها تكريت •••• ، بدكاكينها الـ ١٣ التي يطلق عليها اسم (سوق) وبمقهييـــــها ، واحـــدى المقهيين مملوءة بالاتراك الطفيلين الذين يجلسون في مستشرف ســـومق على صخر لملامسة نسيم الأمسية الساخنه •

انها مدينة زرية ذات بيوت ••١٠» ، جوانبها مستقيمة ، بشعة تحفـــل بابناء العرب اللابسين ملابس حسنة والجالسين في الظل لايعملون شيئا ـ وهو النهج المحبب لدى العرب جميعا (كذا : المترجم) ـ وتنحـــــدر نسوتهم ، صفوفا ، كي يملأن جرارهن ، وهي ضيقة العنق منتفخة البطن، انها الجرار التي يصطنعها العرب ، من الموصل حتى (الخليج) طرا • ان منهن فتيات لطيفات يقفن ويغسلن اقدامهن بعناية ، كشأن جرة الماء ، قبل حملها على طريق الرجعى • وقد تشاهد العروس الشابة هناك والتـــــي سرعان ما تلج حياة الكدح فيدب اليها الكبر ، وهي لاتزال في سن الخامسة

---

١٠ ـ هذه حالها ، على ما قلنا ،فيما مضى من زمان وانقضى ، ولزيـد معلومات القارىء الكريم المستزيد عنها علما فنقول :

يستدل من المدونات التاريخية ان موقع المدينة كان مستوطـــنا ، معروفا بالاسم نفسه تقريبا ، ابان العهود : البابلية والاشورية اذ ورد في مدونات العاهل البابلي (نبوخذ نـصر ٦٠٥ـ٥٦٢ ق٠م) بصيغـــــة (تكـري‍ـاي‍ـتا : تكريتا) كما ورد ذكرها في اخبار الملك الاشـــوري : توكولتي نينورتا (القرن التاسع ق٠م) • وكان فيها قلعة حصينة ، وورد اسمها بالصيغة الاشورية (برتو) وذكرها بطليموس في (جغرافية) باسم (برتا) • وفي العهد الساساني اشتهرت بكنائسها ودياراتها• وذكر ابـن (حوقل) ـ القرن الرابع للهجرة = العاشر الميلادي ـ ان معظم سكانها كانوا من النصارى • وفيها (مزار الاربعين) والراجح انه يرقى الى القرن السادس للهجـــــرة •

واشتهرت قلعة تكريت في العهد الاسلامي ، المطله على دجلة ، بان قد ولد فيها صلاح الدين الايوبي بطل العروبة والاسلام ومنقذ فلسطين •

(المترجم)

والعشرين ، تزين بالحلي الذهب المتدلية عليها . وهناك الحيزبون التي تعيش على ما يجود به عليها ابن عاطل متنطرس ، تجمع حولها خرقها المتسخة واطرافها المسودة المجعدة (١١) ..ليس ثمة شفرة من حشيش وليس هناك من اثر لورقة خضراء . وجاء احدهم من مكان ما يبيع رطبا جنيا ، فابتعنا هذا الشيء اللزج الذي لم ينضج الا شطرا ، باعتداده مترفاً وجلسنا القرفصاء بين الاعراب ، تحت ظل جدار يكاد ينقض ، من سهام الشمس المحرقة هربا .

ان لها شيئا من تاريخ (كذا : المترجم) وان قدمها لامر لاريب فيه لايمارى ، وعلى غرار جل مدن بلاد ما بين النهرين . يقول المؤرخون الفرس والعرب ، انها بنيت على يد (اردشير بابا كان) وهو ملك فارسي عاش في القرن الثالث الميلادي ، مؤسس السلالة الساسانية التي حكمت حتى اوقف محمد (صلعم : المترجم) نماء النصرانيه ونشر الحضارة تحت ظل الفرس (١٢) . وقال اخرون ان مؤسستها ابنة اخ ، او بنت اخت ، (بكر) باني ديار بكر ، لكن هذه لاتعدو ان تكون (حديث خرافة يا ام عمرو) !.

وعلى النشز الذي يعلو تكريت الخربة ، وبجوارها امارات تدل على الزمان الذي كانت فيه (برثا) ـ وهو الاسم الذي كان يطلق على موقعها

---

١١ حذفت ، ها هنا ، عبارة لافائدة من ورائها ولا جدوى اسقط بها قلم (المؤلف) ولم نشأ ان نجاريه في اثباتها، ومن اراد الوقوف عليها فليرجع الى (الاصل الانكليزي) ص ٣٥٩ ط/٢ (المترجم) .

١٢ هذه شطحة ثانية من شطحات (المؤلف) واوهامه بشأن رسالة الاسلام السامية الخالدة ، كشأن المتعصبين التعصب الاعمى الشانئين ممن على شاكلته (ما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) .فرسالة الاسلام مضت بالمدنية البشرية قدما ، وبه تفتحت اكمام حضارة وارفة الظل خالدة ، لن يتوصل الى استكناهها الا من يصطنع البحث ، بروح علمي نزيه وعقل مستوعب يستقصي ليصل الى الحق فيقبله ويومن به (المترجم) .

في الأزمنة القديمة ـ مكانا وسيما ذا خطر . وكانت في الازمنة النصرانيهالاولى ، لموظف نصراني ذى خطر مستقرا ، وقيل ان قد كان فيها ١٢ كنيسة عدا . ومهما تكن الحال كانت المدينة ، ابان ايام خلفاء بغداد، مهمة بحيث كانت تملك قنطرة «١٣» حسنة ، لم تبق منها ، اليوم ، باقية وانها ثبتت بازاء الحصار الذى فرضه (تيمور لنك) عليها .

ها هنا ، وبأمل دخول (بلاد ما بين النهرين) عن سبيل عبور قنطرة والتقرب من بغداد من الغرب ، تقدم هولاكو خان ، قائد جحافل المغول التى اكتسحت الشرق الأوسط كله ، تلقاء (تكريت) ، لكن الخليفة المستعصم بالله نقضها قبل وصول (هولاكو) هذا الموقع ، ودارت رحى معركة عظيمة ضروس بين الجيشين حولها . كان ذلك في الشطر الاول من القرن التاسع الميلادى .

انها ، اليوم ، موضع فيه نحو ١٥٠٠ من الدور ، وعلى ما يقول رحالة فارسي : ان سكانها ناس يوالون الدراويش وهم على المذهب الحنفي من المسلمين السنة !

هنا اصطحبنا مسافرا : انه امرأة عجوز تتخذ السبيل الى بغداد ، ذات قربى باحد الكلاكين ، لذا كان يعنى بها كثيرا . اما هى فقد كانت تسبغ على الرجل ، الكبير سنا ، حماية خاصة ، وجهزته ، مما لديها من الخبز ، قدرا كبيرا . كانت تلحف في تقديم اطايب الطعام ، من امثال الكعك الحلو الرقيق المصنوع من الحنطه والتمر ، وبدت عاطفة الى ابعد مدى حين وجدت أنى لااتكلم من العربية الا قليلا ، واني غريب جئت من بلاد بعيدة . وانها التى رفضت ردءا واقيا من الشمس ايضا وكان ذلك بين

---

١٣ ـ «القنطرة» في كلام العرب ، ما بنيت من حجارة او صخر اما الجسر فيحمل على زواريق وما شاكلها (المترجم) .

صفين اثنين من الـ (بالات) . واعطيت بعض ما عندها من العصي كي اقوم بمثل ما قامت به ، فقابلت ذلك بالشكران ، ذلك ان شمس الظهيرة غدت ، الان ، لاتطاق من غير رده تتقى به .

امام الدور

واستيقظنا صبيحة اليوم التالي فرأينا قبة«١٤» (امام الدور)» شاخصة راكبة ضفة النهر اليسرى، وخلفها احدى الرايات العتيقات» حقا ان للدور ، او (دورا) ، على ما كانت تسمى ، تأريخا عريقا جدا ، ذلك اننا نقرأ عنها في (التوراة) ما هذا نصه : «صنع نبوخذ نصر الملك تمثالا من ذهب علوه ٦٠ كيوبيتا وعرضه ٦ كيوبيتات «١٥» واقامه في سهل (دورا) في ارض بابل» .

---

١٤ ــ القبة التي يشير اليها (المؤلف) مزخرفة من الداخل بزخـــارف جصية ، والمعروف انها تعلو فوق احد العلويين المسمى (الدوري) ــ وهو ، على الراجح ــ محمد بن موسى بن جعفر بن الحسين (ع) ولعل تاريـــخ (القبة) يرجع الى القرن السادس للهجرة . انها على الطراز السلجوقـــي شبيهة بقبب (الست زبيدة)و (الشيخ عمر) و (الشيخ معروف) و(الكفل). و(دورا) يذكرها المؤرخ الروماني (اميانس مرشلينوس) بعد مقتـــل الانبراطور جوليان الجاحد وتقهقر جيشه بقيادة خلفه ــ الانبراطور جوفيان. ولفظة (دورا) في الاشورية ــ البابلية معناها (الحصن) وهي عـلى غـــرار (دور كوريكا لزو : عقرقوف) .

وفي مرقد الامام الدوري كتابة منقوشة على حجر هذا نصها : بســـم الله الرحمن الرحيم هذا المسجد المبارك تربة الامام ابو عبد الله محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم اجمعين وهو موضع رحم الله من زاره واسعده .. وفـــي جوار القبة من الخارج اسم بانيه . (ابي شاكر بن ابي الفرج بن يانس ــ ياسر ــ البناء اجره الله (المترجم) .

١٥ ــ مقياس طول قديم ، كان يمثل اصلا ، بطول الذراع وهو يساوي من ١٨ــ٢٠ من الانجات (المترجم) .

ها هنا وضعت قصة (شدراخ) ، و(ميشاخ) ، و(عبدنيكو) «١٦» .
وها هنا حاول الجيش الروماني ، اثر وفاة (جوليان)، عبور دجلة، وخاض قسم منه وسبح ، عبر النهر ، حقا . وها هنا عقد (جوفيان) الذى خلف (جوليان) ـ اثر تراجعه عن (طيسفون) معاهدة مع الفرس فاسترجعوا بموجبها اقاليم بلاد ما بين النهرين الشمالية ، وهنا ، عند موقع الخوض الذي حاوله الرومان ، رأينا عيرا من الحمير تسبح عبر النهر ، وكان سوّاقها يقومون بذلك عن طريق الخوض في قسم من السيل ، والسباحة في القسم الاخر .

وفي اليوم الثالث والرابع من خروجنا من (تكريت) رأينا قباب سامراء، (سرّ من رأى) الذهب . انها موقع كبير وهي راكبة على مرتفع يندفع تلقاء دجلة الوسيعة ، لونه اصخم وشبيه بلون السهل خارجه .

ويقوم جامعها العظيم «١٧» شاخصا لاحيا فوقه ، وهو ذو منظر صافٍ جديد على ما تتراءى كل بنية فيه في مثل هذا اليوم الرائق ذي الجو الجاف . وليست هناك من اشجار تزين شوارعها ، ذلك انها كالقفر

١٦ ـ من قصص التوراة (سفر دانيال ـ٣) ومحصلها : ان : الرفقة هؤلاء نجوا باعجوبة من فرن (نبوخذ نصر الثاني) اللاهب ، اما اسماؤهم في العبرانية فهي : (حنانيا) و (ميشائيل) و (عزاريا) . لقد القوا ـ على ما تذهب القصة في ـ القرن ، لانهم لم يتخلوا عن الايمان بربهم ، وما ان القوا فيه الا لم تصبهم النار بسوء ، فزاد ايمانهم بربهم لذلك . ومن الباحثين الغربيين (كايكر Geiger) من يرى ان الاية الواردة في (سورة البروج) من (القران الكريم) : (قتل اصحاب الاخدود ، النار ذات الوقود ، اذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد) تشير اليهم والله اعلم.
(المترجم)

١٧ ـ يعتد المسجد الجامع في سامرا اكبر المساجد في العالم الاسلامي كله ، تبلغ مساحته (٢٤٠ × ١٥٨ مترا) وبلغت كلفته ١٥ مليون درهم .

الباب الكائن خارجها ، وليست هناك من بساتين الا قلة موجودة في الجهة المقابلة ، وثمة بقايا جسر من زواريق يقدم عذرا كافيا للاتراك ليأخذوا رسما ممن ينحدر في النهر نزلا ،

ان شهرة (سامرا) القديمة قد ولت ، كما ولت جموع الفرس الذين كانوا يسكنون فيهـا ايضـا ، مخلفين خليطا مـن السكان «١٨» ،

يؤكد المؤرخون العرب ان سامراء بنيت من قبل (سابور الساساني) في اواسط القرن الثالث الميلادى ولكن ، ما ان دالت سطوة الساسانيين وذهبت ريحهم ، في القرن السابع للميلاد ، قبل تعالي سلطة محمد (صلعم : المترجم) الا هوت (البلدة) فكانت اخربة وركاما ، وهجرت حتى عهد (المعتصم) خليفة بغداد ، وهو الذي صيرها عاصمته ، ومن ابعد مدن

واليك (قصة) المدينة بايجاز :

كان يقوم فى موقعها دير للنصارى يدعى سامرا ومنه ، على ما نسترجح ــ جاء اصل اسم المدينه ، وما حوله قفر يباب • واطلق البابليون على ذلكم الموقع (سيمورم) كما اطلق الاشوريون عليه اسم (سورمارتا) ، وعرفت قبل العهد الاسلامي باسم (صحراء الطيرهان) ، وقبل المعتصم (دور عرباني) او (دور عربايا) ، وسماها العرب (سر من رأى) • وابرز معالمها الاثرية (الملوية) ارتفاعها ٥٢ مترا يصعد الى اعلاها بسبيل مرقى حلزونى يدور من خارجها باتجاه معاكس لدوران عقرب الساعة •

اسسها الخليفة المعتصم عام (٢٢١ هـ = ٨٣٦ م) وهجرها الخليفة المعتمد عام ٢٧٩ هـ والخلفاء العباسيون الذين اتخذوها عاصمة لهم هم المعتصم (٢١٨ = ٢٢٧ هـ) والواثق (٢٢٧ = ٢٣٢ هـ) والمتوكل (٢٣٢ هـ ــ ٢٤٧ هـ) والمنتصر (٢٤٧ــ٢٤٨ هـ) والمستعين (٢٤٨ــ٢٥١ هـ) والمعتز (٢٥١ــ٢٥٥ هـ) المهتدي (٢٥٥ــ٢٥٦ هـ) والمعتمد (٢٥٦ــ٢٧٨ هـ) وجد الاثاريون فى موقعها مستوطنا يعود الى قبل الميلاد (المترجم) •

١٨ ــ هنا يشتط (المولف) فينزلق قلمه حين ينعت السكان بوصفين طالين نربا بقلمنا ان يثبتهما ومن اراد الاطلاع عليهما فليرجع الى الاصل الانكليزي ص ٣٦١ط/٢ (المترجم) •

الشرق صيتا واحتفظت بهذا المقام حتى ايام (الخليفة المعتمد) الذى اعـــاد مركز الخلافة الى بغداد • ان عهد ثواء الخلفاء في سامراء عهد تفسخ وانحلال • ذلك ان المعتصم ، وهو من كان ذا عقل متزمت وطموحه طموح سالب نهاب (كذا المترجم) جاء في اعقاب الأيام اللامعة الرائقة لنابهـــي الصيت (هرون) الرشيد والمأمون «١٩» المتوفي في سنة ٨١٣ للميلاد «٢٠» وباستخدامه المرتزقة الاتراك «٢١» خطا الخطـــوة الاولى عـلى الطريق الى انهيار كيان (الأسرة)، وهي، وأيا كانت الحال، لم تذهب ريحها حتى اكتسح المغول بغداد ، وقتلوا (المستعصم) سنة ١٢٤٠ للميلاد •

هنا بنى المعتصم مسجدا كبيرا ، ووسع المدينة الى الحد الذى كـــان يصفها المؤرخون الفارسيون : «بان رقعتها اتسعت طولا وعرضها ، فاصبح

---

١٩ ـ يلحظ ان كلا من ام (المامون) وزوجه كانتا فارسيتين ـ وفـي خلال حكم العباسيين ـ وهى ألمع الايام ـ كان النفوذ الفارسى هو الـــذى جاد بالكثير على روح التسماح والمعايير الادبيه الرفيعة • (المؤلف)

قلنا : ان تعاليم الاسلام السمحة المتفتحه هي السبب الرئيسى فـــي ذلك ، لاسيما وان (الفترة) التى يشير اليها (المؤلف) لم تكن فترة فـــي ترايخ الاسلام وان وقعت في زمان النضج الفكري والعلمي والادبي فبلغت في (قصة الحضارة الانسانية) باسماء (ما طاولتها سماء) ، وكان ذلك بعد ان انصرف المسلمون عن الفتوح العسكرية التى اتموها بشكل باهـــر ، ايام الامويين الى الفتوح الفكرية ايام العباسيين (المترجم) •

٢٠ ـ الصواب انه تولى الخلافة في هذه السنة ، وهى تقابل ســـنة ١٩٨ للهجرة المباركة ، وقد مات فجأة فى طرسوس ، فى اب سنة ٨٣٣م (٢١٨ هـ) (المترجم) •

٢١ ـ المصادر التاريخية تذكر ان المعتصم كان يميل الى الاتـــــراك المسلمين ، وامه كانت منهم، ولاتصفه بهذا الوصف الذى هو ، لدينـا ، وهم وتخليط من (المؤلف) وقد خبرناه ، غير مره ، يتعثر فى عشـــواء الضلالة ، ويخبط في بحر الاوهام • والمعتصم فى نظرنا من غلب خيـره شره ، ورجحت محاسنه على مساوئه (المترجم) •

طولهـــا سبعه فراسخ ، وعرضها فرسخا واحـدا «٢٢» •

وها هنا ، كانت (منارة) المعتصم ، ذائعة الصيت الوارد ذكـــرها في قصص (الواثق) الرومانسية ، وهو الذي رويت عنه اشد القصص غرابـة وخيالا •

ذكرنا ، فيما مضى ، طبيعة (المعتصم) المتزمتة ، وانها كانت العامـــل الدافع في مسعى احد ارباب البدع الكبيرة التي هددت الاسلام ، وهـــو في طراءة عهده • ذلك هو (بابك) الذى عرف بالخرمي ، من قهر فـــي الوغى كثيرا من قادة الخلافة الذين كانوا اشد شجاعة واكثر اتاجا • وايا كان الامر ، القي القبض عليه من قبل (الأفشين) ، وهو قائد ذو شـــهرة عريضه وشجاعة •

ان معرفة كنه (مذهب بابك) اليوم لأمر مستحيل تقريبا ، ذلك ان كل ما لدينا عنه هو روايات الكتاب المسلمين المتحيزة (كذا : المترجـم) ، وهم الذين يلصقون به ، بطبيعة الحال ، كل عقيدة مستكرهة مســتهجنة ممكنه• وعلى كل حال، يتراءى ان (بابك) كان مدعوما ، في حروبه ، من قبل الاكراد الشماليين ، وكثير منهم لم يكن قد تحول ، بعد ، من النمط الفاسد المزداشتية التي كانوا يعتنقونها ، اصلا ، لذلك كانوا على اسـتعداد تام ليلقوا بثقل سلاحهم بازاء اية دولة تفرض عليهم حكاما جددا ، ودينـا جديدا ، سيما ان كان هؤلاء اعداءهم بالوراثه ، اعني العرب (كذا : المترجم)

---

٢٢ ــ بستان السياحة (المؤلف)

قلنا : الفرسخ عند العرب ثلاثة اميال هاشمية ، وقيل ١٢٠٠٠ ذراع، ويساوى ٨ كيلومترات على التقريب ، والمفردة من اصل فارسى (المترجم) •

(المؤلـف)

يسهب (الاستاذ براون Browne «٢٣») ، وهـو واحـد من كبار الثقات الاثبات في الكتابة في موضوع العقائد ، والظاهر انه يحتوى على عقائد (التاسخ : Metempsychosis) وادعاء الالوهيه •

وعندما القي القبض عليه أرسل الى (سامراء) حيث قتل وصلبت جثته على نشز يطل على دجله • ان احلك منعطف في (المأساة) كلها هو مصير (الافشين) المحتوم ، قاهر (بابك) وآسره ، اذ اشتبه به أنه حرّض الثائر (مزيار) ـ وهو من صلب بجانب (بابك) ـ فحوكم في سامراء عن تهمة محصلها انه من اتباع (بابك) نفسه ، ومدعي الربوبية ووجد انه مجرم بهذا الجرم وغيره من الجرائم • وبينا كان يجرى اعدام (مزيار) وتعلق جثته بجانب جثة (بابك) كان التاعس (الأفشين) ملقى في غيابة السجن • ثم انه مات ايضا ، فاتخذ مكانه بين (الاثنين) ، ورمي رماده ـ اذ قد حرقت جثته بعد موته ، على مياه دجلة •

وقعت هذه الأحداث في سنتي ٨٣٩ و٨٤٠ الميلاديتين ، وما ان تبوأ الخلافة (المتوكل ٨٤٧ م) «٢٤» ، وهو طاغية خليع ، الا اخذت (الاسرة) تهوى الى قرار سحيق و (سامرا) تكسب اسم الشر الذى لم يفارقها ابدا •

لكن لها بين (العتبات الاسلامية المقدسة) المقام السنى ، اذ ، فيهـا ،

---

٢٣ ـ History of Persia

٢٤ ـ في سنة ٢٣٢ للهجرة المباركة• ومن اثاره التي بقيت منها بقايا : المتوكلية (او الجعفرية) على نحو ٢٠ كيلومترا ، شمالي سامرا الحالية ، راكبة ضفة دجلة اليمنى ، وكان (المتوكل) انشاها ، واجرى اليها الماء من (نهر الرصاصي) ، وكانت مدينة جميلة وصفها البحترى حين قال :

اری المتوکلية قد تعالت   محاسنها واكملت التماما

قصور كالكواكب لامعات   يكدن يضئن للساري الظلاما

(المترجم)

عاش الاماماق (العاشر) و(الحادى عشر) وماتا (٢٩)، في ايام الخلافة في (سامرا) عاش فيها الامام (علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بـــن محمد بن زين العابدين بن الحسين بن علي) ـ (عليهم السلام : المترجم) والاخير هو (زوج) بنت الرسول (صلعم : المترجم) نفسه . انه (الامام العاشر) وقد خلفه ابنه (حسين العسكرى) «٣٠» ، الامام الحادى عشر ، وعقبه: محمد (الصغير) هو الامام الثاني عشر، وهو الامامالمختفي الذيانتقل من هذه الحياة ، والشيعه ترقب رجوعه ، وحول ذلك يتجمع كرة مـــن النبوءات والقصص التي تملأ مجلدات ضخاما . انه (المهدى) ـ ومـا ان يذكـــــر اســـــمه الا يقـــف الفارســـي وينحنـــي ـ اذ ، من يعـــرف ، لعلـــه يشـــهد ذلـــك ، مـــا دام هـــو فـــي عالـم الارواح ، لايرى ، وبعيدا . لقد اختفى ، في سنة ٨٧٣ ، في سرداب فـي (سامرا) ، والسرداب مكان يلجأ اليه السكان ابان اشتداد حرارة اليوم . ويرى بعضهم ان رحيله كان في (الحلة) ، قرب بغداد .

... ودخلت بغداد

ان جميع هذه الظروف الدينية ، ان ضمت الى شهرة قديمـة وجامع حديث حسن جدا ، تصير (سامرا) مزارا ـ عند الشيعة والسنة ـ أثيرا ، وعند الاولين خصيصا . لكن الجميع يتفقون على ما يقوله مسافر فارســي : (ان عدد (السادة) «٣١» وعدد المتكففين يند عن الوصف) ثم كرة اخرى:

٢٩ ـ يريد الامام العاشر علي الهادي المتوفى سنة ٢٥٤ هـ والامـــام الحادي عشر حسن العسكرى المتوفى ٢٦٠ هـ (عليهما السلام) وهما مقبوران في (الحضرة العسكرية) التي شيدت في نحو عـام ١٢٠٠ للهجـــرة ، ويعلو ضريحهما صندوق من خشب مزخرف معظم . وداخل (سرداب الغيبة) . غيبة الامام الثاني عشر محمد المهدى (ع)، باب خشب مزخرف يعود الـى ايام الناصر لدين الله العباسي (٦٠٦ للهجرة) . (المترجم)

٣٠ ـ كذا في الاصل ، والصحيح (الحسن العسكري) والنسبة فـي (عسكر) الى (سامرا) لانها كانت مستقر الجيش ، او المعسكر . (المترجم)

٣١ ـ هم الذين يدعون بالانحدار من النبي (محمد صلعم : المترجم). (المؤلف)

الفصل السادس عشـــر

فـــي

الاكراد وديارهم

« لكنهم شعب شجاع لايخاف ، طبع على القرى ، روح النفـــس وريحانتها * ، وهم ، في الصدق والشرف ، لاندّ لهم ولا نظير ابدا ، وذوو ملامح مسّرة وخد وضيء ، يفخرون بالخير الذى يجيء به الجمـــال والفضيلة طـــرا » .

من (بستان السياحة ص ٤٩٥)

● ● ●

ان الشعب الكردى في تاريخ الاكراد غير معروف الا قليلا «*» وعلى هذا فان تبيان فكرة ما ، تتصل باصله وتأريخه ، ليس بغير ذى موضوع

(*) حذفت هنا عبارة لانقر صاحب (بستان السياحة) عليها، وقد وردت مطلقه ، والاطلاق لايخلو من شطط ، ومن اراد ان يقف عليها فليراجـــع (النص الانكليزي ص ٣٦٧ ـ الطبعة الثانية) . (المترجم)

(*) شانها كشان العبارة السابقة (المترجم) .

ولا مندى عن ايراد خلاصة مركزة عن النظريات فى أصل الاكراد ، ارادة فائدة القارىء المستفيد والناشىء المستزيد فنقول :

ان تقرير أصل الاكراد على القطع اليات امر يحتاج الى مزيد مـــن الدراسات التاريخية واللغوية والانثروبولوجية (الســـلالات البشـــرية) والاثنولوجية والجغرافية ، وفيما يلي النظريات والفرضيات التى اوردهـــا مؤرخون وبحاث ودراس مختلفون في هذا (الاصل) :

أ ـ ذكر المؤرخ ـ البلداني الاغريقي القديم (زينفـــون) ٤٣٠ـ٣٥٤ ق.م شعب الـ (كاردو خي) فى كتابه الموسوم Anabasis ـ راجع بحثنا المعنون : (زينفون فى العراق وحملة العشرة الاف الاغريقي : مجلة سومـــر جـ ٢/١ سنة ١٩٦٤ المجلد ٢٠) ـ ، وهم شعب عاش فى منطقة كردستان، وساد اعتقاد قوى بانهم أجداد الاكراد الحاليين . لكن بحوث العـــالم الروسى (مار : Mar) و (ليهمان بوت) أثبتت انهم اجداد ســـكان جورجيا لا اجداد الاكراد الحالين .

بشاي من (جايخانه : مشرب الشاي) ، من غير حليب ، في وعاء مـن زجاج صغير ، وليس في كوب يصلح لان يغسل القدم به • وامضيت سراة (٣٥) النهار احاول ان أمرد (٣٦) على الجلوس على كرسي ، لكن ذلـك كان يشق علي بعلي وجه فظيع ، وان رجلي كانتا تتظمّان تحتي ، على الرغم مني •

شعرت أني غريب ووحيد ، وباكثر مما شعرت به في يوم ما ، مضى وانقضى • لقد ذهبت (المقهى : المقهاة) وذهب السوق ، كما ذهبت الجموع التي كنت واحدا منها على حال سواء ، اتكلم معها واضحك واعـارك واخاصم ضاجا • كانوا بعيدين جدا ، وعلي ان اتعلم النظر اليهم باعتدادهم غرباء ومخلوقات اوطأ شأنا ، ان كان ذلك ، اليوم ، ممكنا ، واتبوأ ، كرة اخرى ، مقام من ولد غريبا ، واتخذ سبيلي في الحياة ، مرة اخـرى ، اتجاهل مسراتهم واحزانهم ، وهي التي كانت ، حتى وقت قريب ، مسراتي واحزاني انفسها •

---

٣٥ ــ سراة النهار : معظمه

٣٦ ــ مرد على الشيء : تعوده

الذهاب الى الفندق الوحيد فيها رأسا ، لاظهر في اليوم التالي بين الاوربيين، وكان لي مع بعضهم شأن، كما كان لديّ، بينهم، خلطاء وعلى ذلك ارتديت، خلف الـ (بالات) وتحت جناح الظلام ، بدلة بيضاء كنت أعددتها، من غير بنيقة (قوله : Collar) ، اذ الفصل كان صيفا ، والحرارة تقدم الامثال لهذه التفصيلات عذرا ، وليست زوج جوارب ، وهذا ترف كنت غريبا عنه ، امدا طويلا ، ووضعت على رأسي قبعة رخوة من (لباد : Felt ـكر سحقها وتشققها لكنها لاتزال (قبعة افرنجي) بعدة في كفة تم اضطجعت ، ونمت من وقت حينا ، وفي نحو الساعة الثانية صباحا استيقظت، ذلك ان (الكلك) ارتطم بضفة ، فرأيت اننا بلغنا شأونا .

وانزلقت الى الـ (كفة) ، ولا يزال طربوشي يعلو رأسي ، ولازلت (افنديا) ، وجلست فيها هادئا ارقب وصولنا السلم الخلفي لفندق بغداد الوحيد ، وهي دار متواضعة ، ويديره نصراني ٣٣، . وما ان بلغناه الا اسرعت الى بابه، ، ووقفت في ظل المدخل وامرت رجال (القفه) بأن يتمهلوا قرب متاعي . وفي الظلام والظل وضعت القبعة الاوربية على رأسي وجعلت القباء على ذراعي ، وكأنه معطف ، ووقفت ، بمظهر اوربي ، وان كان رثا .

فتح الباب ودخلت ، وانا احتج بالتعب ، فجلست في ركن مظلم ، بينا متاعي يؤتى به، ثم دفع الى صاحب (القفة) اجره . واخذ بيدي الى احدى الغرف فنمت لمدة ساعة واستيقظت عند الصباح لاستحم بماء حار واتناول (فطور اوربي) قوامه : الخبز ، والشاي ديف ٣٤، بحليب ، وبيض مقلي . وتقززت نفسي من رؤيته فطلبت ابعاده ، وامرت بأن يؤتى الي

---

٣٣ ـ اعلمني من لااتهم حديثه وادرك ايامه انه كان يدعى (لوكاندة عبد الاحد) ، على اسم صاحبه : عبد الاحد، وكان موقعه على مقربة من (الباب الجنوبي) المعروف خطأ بالباب الشرقي في بغداد (المترجم) .
٣٤ ـ ديف : خلط

يقال ان سكان سامرا هم على المذهب الحنفي ، لكن من المستحيل حقا ان يقرر المرء ماهو ارسهم؟ وما هي عقيدتهم؟ (كذا : المترجم) •• ابدا ٣٢»

وما ان تلاشت المئذنة الذهب وغابت عن الاعين، اذ أصبحت على فوت، واخذ الليل يمد رواقه ، الا ادركت ان رحلتي ، باعتدادي مملقاه توشك تنقضي ، او تكاد ، ذلك اننا كنا نتقرب من بغداد • وخلال اليومين التاليين مررنا بمزارع وبساتين النخيل، وهي امارات تدل على (المدينة) التي كنا نتقرب منها • وشهدناه من بعيد، (الكاظمين) ، وهي من العتبات المقدسة ، ووصفها يرد غالبا جدا ، فلا حاجة الى أن نعمد الى مثل ذلك ، هاهنا • وأخيرا ، ذا مساء ، قال كلاكنا اننا سنبلغ الجسر ، وراء بغداد بعند منتصف الليل ، ولا يسمح للاكلاك باجتيازه ابدا • كان اصدقائي قد اخذوا بجمع بضاعتهم وسألني الكركوكي الهرم : الى اين انا ذاهب ، وكيف ؟ فاجبت : سانتقل في (كفة) الى بيت صديق كائن ، باعتداد مجرى النهر ، نزلا • وعثر احد الكلاكين على تلكم (الجارية) ، اثر دقائق ، فودعت صدقائي ، وهم اخر الاصدقاء في عالم انا راحل عنه ــ وما كان ذلك من غير غصص ألم عنيف ، اذ انني غدوت واحدا منهم ، وكنت اجد نفسي أتأمل ،بمرارة، في المستقبل، وانا امضي فيه فرنجيا : والنوغائي الممقوت المتدى الأثيم الذي يقف منه التركمان والعرب ، والكرد ، والفرس متعجبين •

واخذت افكر كيف سأدخل بغداد كأوربي ، ذلك أني كنت اروم

---

٣٢ ــ ينقل (المؤلف) هذا الكلام عن كتاب (بستان السياحة /٣٠٣)، وكلاما اخر كله شطحات لم نر فائدة في اثباته لانه يتجنى على اهل سامرا ومن اراد الوقوف عليه فليرجع الى (أصل الكتاب) ، اذ الشائع الذائع انهم ينتسبون الى سبع عشائر رئيسه ، لها تقاليدها العربية واعرافها ، كما ان المعلوم المتعارف انهم ينتسبون جميعا الى (الامام موسى الهادي) (ع) • هذا الى ان دينهم الاسلام ، على المذهب الحنفي ، والمسلمون المؤمنون ، على اختلاف مذاهبهم ، اخوة و (انما المؤمنون اخوة) (المترجم) •

هذا ، ولعل الاكراد لم يتمثلوا امام نظر الشعب الانكليزي الا على ما هـم عليه من طبع تقليدي ، باعتدادهم غزاة ، مردة ، واشباحا بدائية مهاجمة مترمتة ، ينحدرون من جبال منيعة ، فيخربون كل ما هو قدامهم ، يذبحون النصارى والمسلمين ، على حد سواء ، ويقاومون جميع المحاولات التـي يعبئها الأمراء والدول الرامية الى اخضاعهم ، او حتى الى اكراههـم .

وبشأن هويتهم ، أصولهم وتأريخهم ، اني لأحسب ان ما هـو معروف عنها ، اقل مما هو معروف عن اي شعب آخر في الشرق طرا . انه لشعب اكثر نفيرا واشد أيداء ولعل ما يفجأ الكثيرين ان ل (كردستان) تأريخا ، وعريقا ايضا ، وان فيها اسرا نبيلة ، وادبا ـ على انه محـدود نوعما ، رائعا . لقد بقيت اسرار هذا (الشعب) في حرز حريز بحيث ، ان واحدا في الاقل من الجوابين ، وهم كثر ، ممن مكثوا بين ظهرانيهم لحين

ب ـ لكن بحوث المستشرقين (تولدكه) و (هارتمان) و (ويسباخ) اثبتت ان لفظة (كردي : Kurde) لاعلاقة لغوية لها بلفظـة (كردو Kardou)ـ التي تعنى : (قويا كالبطل) ،لذلك قطعوا صلـة الاكراد الحاليين بالكاردوخيين ، ووصلوهم بالشعب السرتي Cyrtii الذين ذكرهم (استرابون) وغيره من المؤرخين ، وكانوا يسكنون بـلاد ميديا الصغرى وبلاد بزميس .

ج ـ ومن الباحثين من يجعل (الخلديين) ،الذين يدعون بـ (اراتو) ايضا ، اجداد الاكراد، لكن هذا القليل الذي نعرفه عن هذا (الشعب) لا يساعد على البحث عن (الصلة)، بله القطع بها، ويلحظ ان لغة هذا الشعب تختلف عن لغة الاكراد الحاليين ، وهي لغة من اصل هندي ـ اوربي .

د ـ ومحصل نظرية (مينورسكي Minorsky) التي عرضها في المؤتمر الدولي للمستشرقين الذي عقد في بروكسل سنة ١٩٣٨ : ان الاكراد ينحدرون من ال (بختان : Bakhtaniens) الوارد ذكرهم عنـد هيرودوت ، واستند في ذلك الى عناصر لغوية وحياتية ، ثم خلـص (مينورسكي) الى ان (الاكراد فرع من قبائل عديدة رحالة ، وليسوا من دم واحد ومن ارض واحدة) .

هـ ـ اما (العلامة مار) فيرى ان الاكراد شعب اصيل وهم سـكان اسيا الصغرى وان لغتهم تطورت من لغة اهل جورجيا والخلديين ، وهـو يتفق مع (مينورسكي) في ان اللغة الكردية تأثرت باللغة الماديه . (المترجم)

من زمان ، يرسل القول الى حد القطع ، بانهم يعدمون الحكايات على غرار الحرمان الذى مني به الذئاب وبنات آوى الذين عاشوا (١) على الرواسي العوالي ، منذ الزمن الذى يند عن الذكر المواضي» «*» • ان هذا القـــول يعكس جهل (الكاتب) ولا يجلو (حال) الاكراد الحقة ، وهم الذيـــن بسمهم ، باعتدادهم لم يتحولوا عن مستقراتهم على سفوح الجبال الا قليلا •

تذهب الخرافة الفارسية الى ان الاكراد هم ذرية ذينك الشابيـــن اللذين انقذا من شره افاعي المارد (زهاك) ، الوارد ذكره في الأســـاطير الفارسية • كانت هاته الافاعي تقتات على امخاخ بشرية ، بوحـي مـــن الشيطان ، وقد خدعه حين قدمت اليها امخاخ الماعز ، بدلا من مخي ذينك الشابين اللذين نسلا الشعب الكردى (٢) •

انها لرجعى طويلة الى وراء ، الى السنوات (بين سنة ١٢٠٠ وسنة ١٥٠٠) قبل الميلاد ، اذ فيها نشاهد ملوك (نيرى) «٣» ، اسلاف الماذيـــن ظاهرا ، والذين نبه شأنهم أخيرا ، ثم انهم ، في وقت متأخر ايضــــا ،

Creagh, Armenians, Koords and Turks Vol. II, P. 167. (١)
(المؤلـــف)

(*) شان هذه العبارة شان تينك العبارتين الواردتين قبلا (المترجم)•

٢ ــ هي من بين القصص الموضوعة بكثرة ،ومردها الى الاشـــفاق والرعب اللذين يبعثونهما في الشعب المحيط بهم (المؤلف) •

٣ ــ او (نايرى) وهي امارة كانت خاضعة الى سلطان (اوراتور) بعامة• ومن الباحثين من يذهب الى ان اهلها كانوا يؤلفون قسما ذا خطر من شعب الـ (سوبارى) العريق المندثر ، وان آثاره ، لاتزال موجـودة ، واحـــفاده ، لايزالون موجودين في منطقة (نهري) :اى شمدينان الحالية • وشمدينان اسم بلدة في لواء حكاري فيتركية الحالية ولايزال الاكراد فــي شمدينان يطلقون عليها اسم (نهرى : نيرى)• وكان شعب (نيرى ــ نارى ــ نهـرى ــ ناهارى) على حظ كبير من البأس، ولقد حارب الاشوريين غير مرة : ويذهب باحثون آخرون الى ان (شعب نيرى) امتزج بالماذيين ، وتالفت من ذلـــك امة عظيمة •

راجع : الاكراد باسيل نيكيتين (المترجم) •

بقوا ، يحملون اسم الكرد ، كلمة رعب في آذان جيرانهم مدوية .

في تلكم الايام كان الآثوريون يحكمون الارضين ، التي تطيف بالموصل ، والواقعة بين الزابين . بتتبع مجرى (الزاب الاكبر) ، من وسطه الى منبعه ، هناك ارض غامضة لايعرف عنها الا القليل ، فيها قلب ديار ال (نيرى) . فيها استقر الماذيون باخرة ، ايضا ، ولايزال قلب كردستان ومركزها ها هنا .

وكانت ارمينية ، او (اورارتو) ، منطوية في شمال هذه جميعا ، وراء الجبال و (بحيرة وان) ، على هضبتها ، ولزاما الا يخلط بين ملوك (اورارتو) ورجال (نيرى) ، كما لم يكن ديار ال (نيرى) محصورة بمياه الزاب الكبير العليا ، ذلك ان الناس الذين كانوا قاطنين ، بين منابع دجلة والفرات شمالي (جبل نفيتس : Niphates) ، وهي ، في الأزمنه الحديثه ، (خربوط) و (دارسم) ، في (بتليس) وسلسلة جبال طوروس ، التي يذكرها (تيغلات - بليصر) واخلافه (١١٠٠-٦٠٠ ق.م)، باعتدادها (نيرى) ، هي الديار ، نفسها ، التي آوت ، بعد ذلك ، شعب (كوردينى) المنيع ، الذي ظهر اسمه رأسا ، بعد اختفاء اسم (الماذيين)، في اواسط حكم (السلالة الاخمينية) في فارس (في نحو سنة ٤٠٠ ق.م) ، عند الاشارة التي الارساس التي استوطنت اراضي كردستان الحديثه ، والتي كانت : (ميدية) »[٤] .

ومنذ ذلكم الزمان انها كردستان موطن شعوب مبدية تتكلم لغة ، تفاوت انماطها القديمة أفضل الادلة على احتلال الاكراد جبالهم العظيمة ،

---

٤ - كان اصل الاكراد مدار حدس وتخمين في يوم ما، وبالنظر الى نظرية جاد بهابعضهم ، انهم ذرية(الفرس) وهي نظرية لايمكن اخذها بنظر الاعتبار لتعذر ذلك تماما . لقد عرف اليوم ان الفرس من الشعب ال (سيثي Scythian) ومن نمط يختلف ، اثنولوجيا ولغة ، عن الاكراد الحاليين ، وهم آريون خلصاء . (المؤلف)

منذ ان زحف القطيع آلاري من «ارض النجر» دياره ، الى شعب فارس ، وميذية ، وشطر من اوربه ، ونحن ، انفسنا ، عبر ال (سكسون) ، من ذريته ، وعلى ذلك فنحن والاكراد ذوو قربى ، والكردى لم يختلط دمه بدم العرب او الترك ، لكنه حافظ على نقاوته ، شأنه كشأن لغته التي لم تختلط ايضا .

وجدت (آشور) ، قاهرة دنياها ، هؤلاء ، شعب الجبال ، مشكلة ، بل اشد المشكلات التي جبهتها طرا، وقيل لنا «[5]» ان ليس هناك من سبب يحمل على الذهاب الى انهم اخضعوا كل شعب ، فيما خلا من سكن الديار التي هي على طريقهم رأسا ، وهذه خصيصة (كردستان) ، هذا وان المحاولات التي انصبت على اجتياحها شبيهة بحكايات فارس وتركية الحديثة، بحيث يمكن ان تكون قصة من قصص (السلاطين) و (الشاهات) على ما عرفهم القرنان الاخيران . كل اولئك على الرغم من ان الاشوريين نفذوا من جبال زغروس ، (جبال الكرد بالدرجة الاولى) .

يلحظ (الاستاذ راكوزن : Prof. Ragozn) في (الكتاب) المشار اليه في الاسنان من اسطر «[6]» ان في حكم المستحيل الا تلاحظ المعاملة الهينة الرائعة التي حبى بها ملوك (نيرى) من قبل (تيغلات بليصر)، معاملة تباين بشدة اجراءاته الموجزة المعتادة ، وتدل بجلاء على نية التوفيق.

وكرة اخرى ، يتحدث عن الجبال الكائنة فوق اربيل ، اذ يقول : تذكر حملة ما ، تلقاء الجنوب ـ الشرقي ، على (مواقع السر Out-posts) في جبال زاغروس «[7]» ، باعتدادها موقعة مفيدة حقا ، ولكن من غير

---

٥ ـ راجع : Ragozn : Assyria (المؤلف)

٦ ـ المصدر نفسه ص ٥٤ . (المؤلف)

٧ ـ الاصنم الغريقي النجار ، على ما نسترجع ، اذ ان الشعوب الشرقية لاتفقهه ويتراوح ارتفاع هذه الجبال بين ٢٠٠٠ـ٥٠٠٠ من الاقدام وفيها

توكيد كبير، وبالنظر الى فقدان التشديد العظيم الذي يوقع على ابراز النصر في النقوش الكتابية، فذلك يدنء الى ان (الحملة) أجهضت الى حد ما »[8].

وما كانت حالة اعتداء يقوم بها الملك الاشورى دوما ، ذلك ان القدر الكبير من الوقت الذى كان يصرفه بعض ملوكهم العظام فى الاحتراب مع الاكراد يتراءى دالا على ان الاشوريين كانوا يدافعون عن أنفسهم ، غير متخذين دور المهاجمين .

لامعدى عن ان (شلما نصر الثانى) ، وفى مدونات حكمه (المأد من سنة ٨٦٠ الى ٨٢٤ ق٠م) تفصيل جميع الديار التى غلب عليها ، قد اخفق فى ان يخلف طابعا ما ، على تلال زاغروس ، اذ لاتذكر (نيرى) ابدا .

وعندما كانت تخضع قبيلة ما ، سواء أكانت خطرة ام هينة الشأن ، او تهزم ، كان ذلك يعتد صنيعا عظيما ، فى ميدان السلاح والشجاعة معا ، يستأهل ، فى مدونات الملك ، ذكرا خاصا . وعلى ذلك نجد (سنحاريب) ، الذى قام باعمال جسام جمة ، يمضى بازاء قبيلة فى زاغروس تدعى (كاسهو: Kassbue .) فيخضعها حقا . وعنى في (المدونة) بذكر ان هذه (القبيلة) لم تقهر فيما مضى ابدا .

وما ان اخذ الهرم والهزال يدبان فى السلالة الاشورية الا اخذ ساعد الماذيين يشتد . ذلك ان قبائلهم كانت متحدة القصد ، وانضوت ، اخيرا ، تحت راية الملك الماذى الاول ، وهو من جعل مقره في همدان (اخباتان على ما ورد اسمها فى التوراة) ، الواقعة على حد مملكته الشرقي، والمحمية بازاء الاشوريين ، بواسطة سلسلة جبال عظيمة .

كهف (شانيدار) المشهور . وتقع منطقة رواندوز فيالشمال الغربى منها وهذه (المنطقة) تعتد الموطن المحتمل لانسان ما قبل التاريخ فى العراق .
(المترجم)

٨ ـ راجع : Ragozin : Assyria, PP. 54 — 5.
(المؤلف)

كان هذا من آحاد (بت دياوكو : Dayaukku) وهي اسرة حاربها الاشوريون ، بجوار (وان) قبلا »[9] ،

وامضى ابنه (فرافارطيش : Fravartish) ، وابن هذا من بعده ، اعني (اوفاكشاطارا Uvakshatara) ايامهما في تنظيم الجيش ، وعندما خلف الشاب ، الاحدث سنا ، والده غير تشكيل الجيش من كتلة غير مترابطة ، مؤلفه من قبائل صغيرة ، تقاتل منفردة ، الى قوة متجانسه ، وطالما كان الماذيون على مثل هذا فانهم كانوا يكتسحون كل الذى كان في قدامهم ، وليس من بينة على ذلك تفضل بينة (التوراة) نفسها»

لكن (الماذين) و (الفرس) هوى نجمهما ، كرة اخرى ، اذ اخضع الفرس ، وما ان عدم الماذيون عون ذوى قرباهم هؤلاء ، الا انسحبوا الى معاقلهم وبدأوا الفترة الاخيرة من تأريخ جنسهم ـ باسم (كوردينى Gordyene) او : الكرد »[10] ،

ووجدهم (زينفون Xenophon) ـ كاردوك Karduk عنده ـ تكلفه ذلك ، على ما يقرأه الجميع في (تراجع العشرة الاف) »[11] ،

---

٩ ـ المصدر نفسه ص ٤٢٠ • (المؤلف)

١٠ ـ يقول بروفسور ف • ف مينورسكي في كتابه الموسوم بـ (اكراد : ملاحظات وانطباعات ، ترجمه د• معروف خزندار) ص ٢١ :
« والى وقت قريب كان الشائع بان الاكراد من ابناء الكاردوخيين الذين شاهدهم كزيفون واتصل بهم في سنة ٤٠١ قبل الميلاد عندما قاد العشرة الاف اليونانيين • وقد تغير هذا الاعتقاد في الفترة الاخيرة حيث ان بعض العلماء المعاصرين يقسمون الشعوب التي لها علاقة بالاسماء المذكورة الى قسمين : القسم الاول (وبصورة خاصة الكردوخين) يقولون فيهم انهم ليسوا من اصل آرى ولكن يعتبرون الكورتين الذين يعيشون في القسم الشرقي من بلاد الكاردوخيين هم من اجداد الاكراد » • (المترجم)

١١ ـ راجع (مجلة سومر) ، الجزء الاول والثاني (المجلد العشرون) سنة ١٩٦٤ :

(رحلة زينفون والعشرة الاف الحريقي)

نقلها الى العربية وعلق عليها : فؤاد جميل • (المترجم)

توقف عليهم هناك على جبال (انتى طوروس (Anti-Taurus
وهى التى نسميها اليوم (حكاري) ، كردستان الوسطى ،

واذا لم يغب عن البال ان هذا القسم من آسية الغربية خضع الى ثورة ، هى اشد الثورات شمولا ، والى اكتساح جيوش كل أمة ، نبه شأنها وطار صيتها ، فى تأريخ العالم الشرقى : اعنى الاشوريين والفرث والاغريق والرومان والفرس والعرب ، بقيادة محمد (النبى محمد صلعم : المترجم) والمنول ـ تجلى استقرار (الشعب) الحسن ، ذلك انهم ، من بين شعوب هذه الديار كلها ، ثبتوا بازاء كل جيش وابقوا على نقاوة (لغتهم) و (دمهم) وادعوا ، فخورين، بانهم الاريون الخلصاء ، المتمسكون بالتلال ومالكو اللسان » .

واستيقظت الروح القومية ، خلال القرن الاخير ، اربع مرات ، وافصحت عن نفسها فى محاولات انصبت على نبذ نير الاتراك . كانت الاولى منها فى سنة ١٨٠٦ م حين حارب (عبد الرحمن باشا ، بابان السليمانية) بازاء الاتراك ، ببسالة وأمدا طويلا ، فى سبيل استقلال كردستان الجنوبية ، وكان دحره عند (دربندى بازيان) على يد (باشا بغداد) فى سنة ١٨٠٨ ، ولقد ساعد الاخير احد ذوى قربى الباشا الكردى ، كان له معه ثأر دموي ، ووفق الى ان ينال منه على جناحه .

وغب سنين قليلة امتلك (محمد باشا) ـ وهو من البابانيين ايضا ، سطوة فى (رواندوز) عظيمة ، وطالب بالاستقلال القومى ايضا ، واستطاع ان يمتلك (بلاد ما بين النهرين العليا) ، و (اربيل) و (كركوك) حقا . لكن حكمه كان قاسيا جامدا ، وهو طبيعة حكم تستطاع بهالهيبة على اكثر الناس تمردا وتململا ، وبسلطته هذه ، يشد من ازرها جيش كبير من الخيالة غير النظامية ، استطاع ان يجعل اقاليمه خاضعة له خضوعا مطلقا ، وان يسودها نظام حسن جدا . وعندما علت به السن اخيرا استدرجه الاتراك

الى شرك نصبوه له ، واثر رحلة ، شد الى اصطنبول رحالها ، حيث استقبل فيهااستقبالا حافلا مشرفا ، «رد له الحق» : اذ دبر قتله وهو يتخذ السبيل الى اقاليمه راجعا .

ومرة اخرى ، حاول احمد ، احد (باشوات : بواشية السليمانية) المتأخرين القيام بثورة على الاتراك وسار الى قتالهم ، زاحفا على بغداد ، فخاب في مسعاه .

اما الحادث الرابع ، وعسير ان يطلق عليه تماما «مطالبة بالاستقلال» فيتمثل بثورة تحت قيادة (بدر خان بك) في سنة ١٨٤٧ ، وقد سبق القول عليها في (الفصل) الخاص بتأريخ (الكلدان) من (كتابي) هذا .

وفي الازمنة الحديثه ، التي تبدأ منذ نحو سنة ٥٠٠ مضت ما ان غدت الارضون المحيطةبهم يسيرة الوصول ، واخذ عددهم يزداد ، ازديادا تدريجيا حقا، الا اخذوا بالانتشار، شمالا وغربا، كان حدهم الجنوبي دوما، ولايزال ايضا ، هو الطريق القديم الماد من (كرمنشاه) الى (قصر شيرين)، لكنهم ، في الاراضي التركية ، استقروا في ارمينية ، واندفعوا من (دارسم) و (خربوط) غربا ، وعلى هذا فثمة قرى (ملّي) ، اليوم ، كائنة على مسيرةيوم من (حلب) ، على اعالي الجبال الشمالية ـ الغربية ، بعيدا .

ان الذي يعرف عن تأريخهم لنزر قليل ، لذلك فعسير ان يدرك ان بينهم قبائل عريقة واسرا نبيلة ، وليس من نافلة القول ان يذكر بعضها ذكرا موجزا . وان يحاول امرؤ معالجة تأريخ القبائل ، على الوجه الوافي الكافي ، وبقدر ما يستطاع معرفته ، فان ذلك يتطلب تحرير مجلدة اخرى.

ولننثني ، اولا ، الى وسط كردستان القديمة ، بتليس وديار حكاري «[١٢]» (الزاب الاكبر والجبال الكائنة جنوبي بحيرة وان حتى دجلة عند

---

١٢ ـ تتهجى هذه الكلمة : (حكياري . Hakkiari) غالبا وال (آي : .) الاولى تعطيها نطقا تركيا عاقيا . (المؤلف)

جزيرة ابن عمر) «[١٣]» فنجد (قبيلة حكارى) التي بعثت بفلاسفتها ، شمالاً حتى (بيزيد) واستوطنت هذه (المدينة) الى حد بعيد ، وجادت عـــــل (رواندوز) و (الجنوب) بالامراء .

واثر فتح (ديار بكر) على يد (تيمور لنك) في القرن الرابع عشـــر الميلادى ، نصب على (ديار حكارى) حاكم يدعى (أمير قـره عثـــمان) ـ الامير عثمان الاسود ـ وما ان وجد هذا ان البلاد منيعة ، والوصـــول اليها أمر متعذر الا اصطنع السياسة وخطب سيدة من فرع حكاري النبيل المؤلف من سادة مقطعين . وبفعله هذا صير نفسه من (القبيلة) واحدا ، وما ان وهنت يد (تيمور لنك) ، وسيطرته على ما حول كردستان ، الا غدا ال (امير قره عثمان) ، لجميع المقاصد والغايات ، كرديا ، وقامت ذريتـــه بتأسيس (الاسرة الحكارية العريقة) ، ورفعت لها ذكرا ، واتخذ لنفســه لقب امير ، وحكم في (بتليس) حكما ذا هيبة وابهة ، وحيث دأب امــراء حكارى على الحكم حتى القرن التاسع عشر الميلادى .

واصبحوا ذوي قوة وذوى بأس شديد ، وعقدوا مع القبائل الاحلاف السديدة ، بحيث غدا «[١٤]» (الامراء) وال (بكوات) في (جزيرة ابن عمر)

---

١٣ ـ هي مدينة بيزبدا الرومانية القديمة وثمة بقايا لهلم في الجبهة المقابلة من دجلة وهي منسوبة الى الحسن بن عمر التغلبي (القرن التاسع الميلادى) وكان دجلة ، على ما وصفه البلدانيون القدامى لايحيط بالجزيـرة الا من ناحية واحدة شبه هلال ثم شق هناك خندق واجرى الماء فيه وقـــد دمرها تيمور لنك . (المترجم)

١٤ ـ هي آمات Amat في المدونات الاشورية ورد ذكرها في سجل الملك الاشورى (شمسي ادد ٨٢٣ـ٨١٠ ق·م) وذكرت فــي كتابات العصر البابلي الحديث وتعلو عن سطح البحر ١٢٧٦ من الاقدام · قـــال عنها (ياقوت) ان الذى عمرها هو (عماد الدين زنكي) في سنة ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م ، وكان صلاح الدين الايوبي من انبه رجاله شانا ·

ويذكر ياقوت اسم قلعة (آشب) ويقول لما تخرب اعاد بناءه عمـــاد الدين وسماه باسمه : العمادية · ويذكر ياقوت ان (آشب) كانت من قلاع

وال (عمادية) و (جولمرك) و (رواندوز) من ال (حكارى) ، ويحكمون باستقلال عن جميع الدول الخارجية ، ولا يأبهون لدعاوى تركية وفارس بامتلاك ديارهم ، وهي ديار لا سبيل الى النفوذ اليها .

واصبحت (بتليس) تحت حكم امرائها مركزا ذا خطر جدا ، والى (ادريس) ، وزير السلطان سليمان الالمى ، وهو كردى ، مرد توسيع رقعة الارضين التى كانت تمسك بها بعض القبائل ، تحت ظل حكم ال (حكارى) .

وحرك ال (حيدرانلو) والقبائل المتحالفة تلقاء الشمال ، شطر الديار الارمنية ، لحراسة الحد الفارسى ، وبقوا هناك ، ولايزالون ، انهم اكرادها حتى هذا الاوان ، اشد الاكراد توحشا ، يقطنون ، عبر ارمنية ، حتى (ارضروم) غربا ، وباعداد تلزم اطلاق اسم (كردستان) على هاته الاقاليم ، تقريبا .

وبلغ امراء (بتليس) اوج قوتهم فى القرن ال (١٦) وال (١٧) وال (١٨) حين كانوا مستقلين ، وفى الاحيان كانوا يعترفون بضرب من الهيمنة لفارس وتركية ، وينكرون ، في الاحيان ، حق اية دولة تعتدهم حكاما رعايا . واخر خط الاسرة هو : (شريف بك) وقد ثبت بازاء الاتراك سنين عديدة ،خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادى ، حين انصب الجهد التركي على اخضاع كردستان . وكان القي القبض عليه

(الحكارية) . لكن حمد الله مستوفى القزوينى ينصب الى ان مجدد عمارة (العمادية) هو : عماد الدولة الديلمى المتوفي سنة ٣٣٨ هـ = ٩٤٩م وانه اطلق اسمه عليها وفي عهد السلطان سليمان (القرن العاشر الهجرى = القرن السادس عشر للميلاد) كانت ، على ما يبدو ، مستقله ولم تخضع للاتراك الا فى عام ١٠٧٠ هـ = ١٦٦٠ م وفى عام ١٢٤٨هـ = ١٨٣٢ م استولى عليها محمد باشا امير رواندوز ، ثم انتزعها اسماعيل باشا البهدبناني وانتهى استقلال الامارة البهدينانية فى عام ١٨٢٤ وصارت تابعة الى ولاية الموصل التركية . (المترجم)

من قبل الاتراك في سنة ١٨٤٩ ، واخذ الى اصطنبول ، فاصبحت (بتليس) تحكم ، من ذلكم الحين ، من قبل حاكم تركي .

وعلى الرغم من ان (عاصمتهم) انتزعت منهم ، لاتزال ال (حكاري) على حظ من القوة عظيم ، ولا تزال ذات شهرة عريضة ، وفي منجاة من يد الغير ، في العوالي من ديارها . واتخذ الاتراك ، تجاههم ، وجهة اكثر مصانعة ايضا ، وبما انهم على الحدود تجاههم فمن الصواب جدا ان يكون موقفهم من تركية موقف الاثير »[١٥] .

ويحل اكراد ال (زازا : ظاظا) بجوار ال (حكاري) ـ الى الغرب والشمال الشرقي من (دارسم) وهم قبيلة غريبة الشأن ، لايعرف عن تاريخها شيء فيما خلا انها قطنت هذه الجبال عصوراء أسفي على أني لم احل بين ظهرانيهم ، ذلك ان لهجتهم على حظ من متعة خارقة ، آرية من (مجموعة) اللهجتين الفارسية والكردية ، لكنها تختلف عنهما . وتقطن (القبيلة) الاصقاع الجبلية الكائنة في اقسام الديار المحيطة بمنابع دجلة وفي (دارسم) ، وهي اقسام لايعرف عنها الا الاقل من القليل . لقد وصفهم المسافرون بانهم (حيون ، عفاريت صغار الجسوم) ، والذين قابلتهم منهم ، وان اتسموا بالحياء ، الا انهم من نمط أصيل ساذج ، وهم شجعان ، جادون في العمل ، صغار الجرم ، وفيهم نسبة كبيرة من ذوي العيون الزرق والشعور الشقر .

---

١٥ ـ تروى عادة غريبة تتصل بارتقاء سدة (الخانية) . كانت هذه ، ولاتزال ، وراثية ، لكن لو اعتد (الخان) غير اهل لمثل هذا المنصب الرفيع ، دعى الرجال ذوو الخطر الى (مؤتمر) . واثر استبصار ان ارتأوا ان (الخان) غير اهل وضع ، قدامه ، زوج من الاحذية وراقب القوم ان يلبسه ويخرج من القرنة وبذلك يرضى بنقل (الخانية) الى مرشح اخر ولا تصادر اموال (الخان) المعزول ولا اراضيه منه . (المؤلف)

... ولواتشيا ، كرة أخرى ، الى الجنوب ـ الشرقي ، ليلقا عـــن سيل ال (حكاري) القبائل القاطنة الى الجنوب ، والجنوبي الشرقي اعني : ال (مكري) و (اردلان) فارس ، وال (جاف) القاطنة في الأراضي التركية ، وهي ثلاث قبائل تابعة الذكر ـ والى ما هو ابعد ، جنوبا ، ال (كلهـــور) وال (كوران) .

ان قبيلة ال (مكري) التي تسكن الارض الفارسية الكائنة جنوبـــي (بحيرة ارمية) هي الذراع الجنوبي لما يعبّر عنه بفرع الارس الشـــمالي ، وهو الذي يتكلم اللغة الكردية على انقى وجه ، بقدر تعلّق الامر بالنبـــرة والشكل الاجرومي . تدعي ال (مكري) بان لهجتها .[16] اقدم اللهجـات طرا ، وعلى حين قد لاتكون هذه اوغل ، في القدم ، من لهجات جيرانها، لكن محافظتها على الانماط القديمه ، محافظة حسنة ، تضفي على دعواهـا ما يستأهل اعتدادها المعيار الذي يصطنع في المقارنة باللهجات الاخرى .

ان القبيلة اليوم ، لكبيرة ، لكنها متحالفة مع المحيطين بهـــا ، في الجنوب والجنوب الغربي ، خصيصا . انها تستمتع بذكر طيب ، حصلت عليه عن سبيل بسالة آحادها وقوة حكامها (سرداراتها) . انهم الذيـــن حكموا في عاصمتهم الصغيرة الغريبة (ساوج بلاق) طوال سنين عديدة . لقد ارتكن كل من (شاه عباس) و(نادر شاه) و (فتح علي شاه) الى عـون ال (مكري) ، وذلك في شتى الحروب التي شنوها . ان اول من ذكرنا ، واعظم الثلاثة شأنا ـ هو الذي اعتمد على الاكراد ، بقدر تعلق الامـــر

---

16 ـ ورد في (دائرة المعارف الاسلامية (Encyclopaedia of Islam) عند البحث في لهجة (سنة) و (هوورامان) .

«تمتد الرقعة التي تصطنع فيها لهجة ال (مكري) الى (بانه) و (ساقز) .. وفي الحق ان هذه اللهجة جديرة بالدراسة الدقيقة على احدث الاصول العلمية» (المترجم) .

بقواته المحاربة ـ الى ابعد مدى ، ورفع الكثيرين منهم الى مناصب سنية في جيشه ، وقيل انه مدين ، في كثير من انتصاراته في الغرب خصيصا ـ الى الاكراد الذين كانوا في جيشه . كانت هذه هي الحال في سنة ١٦٢٤ م ، حين كان القسم الاكبر من جيش (شاه عباس) مؤلفا من اكـــــراد الـ (مكري) ، الذين هزموا الاتراك في معركة عظيمة [١٧] ، لقد ابقيت (القبيلة) دوما على شكل قتالي حسن دوما ، ومردّ ذلك الى قرب القبيلة النّهابـة السلاّبة المعروفة في (بلباس) ، وهي القبيلة التي دأبوا على محاربتها (ودقوا بينهم عطر منشم) ([١٨]) غالباً ، ان ماكانت تقترفه (القبيلة) من سلب ونهب ، في فارس لم يكن يمرّ من غير ان تستدعي لملاحقتها ، على وجه غير غالب ، ان الـ (مكري) والـ (بلباس) من اصل واحد تقريبا ، ولعلهما لاتصـدوان ان يكونا فرعي قبيلة واحدة .

ومن الممتع أن يلحظ انه في ديار الـ (مكري) كان مسقط رأس (زرادشت) ، نبي فارس القديمة العظيم ، وقد درس فيه ، اول مرة .

ها هنا ، على حدودهم الشمالية ، خرابة ممتعة تعرف ـ اليوم ـ باسم (تختي سليمان) ، ويقال انها (شيز العتيقة) وعاصمة (ميدية) [١٩] .

والـ (مكري) التي تعرف اساطير جمّة تحوم حول هذا (الموقع) ذاته ، تدلي بها باعتدادها بنيّة تدعم ادعاءها القائل بانها : العنصر الكـــــردي الاصل . وايا كان الامر ، ان لديهم ، لو كانوا يعلمون ، برهانا مبيناً على انحدارهم من (الماذيين) مضمّن في (اللغة) التي يتكلمون بها نفسها ، ذلك

---

١٧ ـ كان ذلك في نحو (سنة ١٠٣٤ هـ = ١٦٢٤ م) (المترجم) .

١٨ ـ هي كناية عربية لطيفة ، و(منشم) امرأة من همدان كانت تبيع الكافور فاذا ماحارب ابناؤها اشتروا منها ذلك لموتاهم تهيؤا للقتال (المترجم)

١٩ ـ لكي تقف على وصف (الموقع) تفصيلا ، وعلى مراجع كملا ، انظر:
Prof. Williams Jackson :
"Persia, Past and Present, pp. 123 — 143.
(المؤلف)

تهيئنا اقرب الهجمات الى (هنا) تداد شيت) نفسه .

بنو اردلان

ان جيرانهـــــم الجنوبيــن لشـــــعب ابعد صيتا فــي الازمنـة الحديثة ، ولقد لعبوا دورا في التاريخ الفارسي اكثر خطرا من الـــدور الذى لعبه ال (مكري) .

اولئك هم (بنو اردلان) «*» ،من كانت عاصمتهم البليدة الموثقة :(سنه) ، الواقعة في الاقليم المعروف في فارس بـ (كردستان) ، وهى كردستان فارس، في الدرجة الاولى . ها هنا ، في (اقليم اردلان) ، حكمت اسرة كريمـــة المحتد موهوبة ، نجمت ، على ما يقال ، في القرن الرابع عشر ،وكـــــان رؤساء الـ (اردلان) القدامى يحكمون قبلها . وتدعى (الاسرة) بالانحدار من شخص لايقل شانا عن (صلاح الدين) نفسه ، وهو كردي مـــــــن (حسن كيف) فرع قبلة الـ (حكاري) .

ان عدد النقوش الكتابية الموجودة قرب (سنه) ، وفيما حولها ،لدليل على ان (سنه) موغلة في القدم . ان تلكم النقوش الكتابية جلها تعـــــود الى العهد الساساني ، حين كان الصقع الكائن الى الشمال الغربي منهــــا ، صقع (حلوان) و(زهاب) و(قصر شيرين) اليوم،دست الملوك الساسانيين «[20]» .

ان (خانات) اردلان، بعد اذ حكموا مستقلين استقلالا مطلقا، نحـــو

(*) لامعدى عن ان نشير الى ان الاسرة الاردلانية الكردية في فارس كانت تنافس الاسرة البابانية الكردية في العراق، وان الاولى كانت متحالفة مذهبيا مع شاهات فارس، على حين كانت الثانية تتارجح في ولائها لسلاطين آل عثمان الذين كانوا يمتلكون عراق هاتيك الايام . ونجمت بين الاسرتيـن حروب طاحنة كان وبالها على الاسرتين معا .وحدث ان اتحدت الاســرتان في وقت ما واعلنتا استقلالهما عن تركيه وفارس لكن الدولتين فرقتا بينهما بالدسائس فعادتا الى ما كانتا عليه (المترجم) .

٢٠ ـ بنيت بلدة (سنه) الحالية في نحو سنة ١٦٢٣ للميلاد ، قـــرب البلدة العتيقة التي كانت تقوم على فسحة منبسطة ، على حين تقوم البلـدة الحالية على منحدر (المؤلف) .

قرون، قبلوا لقب (والي اردلان) من (شاهات فارس)، وصيّروا الاقليم من فارس، ودأبت (اردلان) على ان تكون ، لدولتها ، مواليه جدا ، ودواما • ولم يتأثر استقلال (خانات سنه) بالتغيير الا قليلا ، ذلك ان البرهان الفذّ على الولاء الذي طلب اليهم تقديمه هو اعداد المقاتلية للحرب ، وهو ما فعلوه حقا • وحتى عهد (خسرو خان) نجل (امان الله خان) وهو زعيم ذو صيت بعيد ، ولا يزال اسمه في هذه الارجاء مدوّيا حافظت (اردلان) على استقلالها مصونا ، وعملت مع فارس في حروبها ، باعتدادها حليفا لها ، لاتابعا • ومدت المملكة الصغيرة حدودها ، خلال القرون المواضي ، لتضم جميع الاقاليم والقبائل المستضعفة ، حتى حدود ال (جاف) وال (مكري) ، وحكام (روانـدوز) •

ان هذه الاقاليم هي : (جوانـرو) و (اورمـان) و (مريـفـان) و (بانـه) و (ساقز) والمناطق الفارسية (حسن اباد) و (اسفند اباد) •

ان امتع هذه هي (اورمان) بلاريب ، ذلك ان هذا الاقليم الصغير كان ، من الوجهة العملية ، مستقلا ، تحت ظل امرائه ، وهم من اسرة فخورة تدعى بالانحدار من (رستم) ، البطل القومي الفارسي ، وتتكلم لغة خاصة بها ، وتعتدّ نفسها من الاكراد ، لكنها (اورمانية) •

ان الاورمانيين هؤلاء يعيشون في عقدة من الرواسي عظيمة ، محروسة من جميع جهاتها بجدر ضخمة طبيعية ، هذا وان عاداتهم ومزاجهم خاصة ، على غرار الديار التي اوطنوها واستقروا فيها • وبالنظر الى اسطورة رائجة عندهم : طرد (دارا : Darius) الماذي الاورماني، الاصلي من موطنه قرب (ديمافند) ، في فارس الشمالية ، وفرّ مع اخيه : (كندول : Kandul) ،[21] الى (ماذي) ، ليجد في شعاب هذه الجبال ملتحدا • ها هنا استقرّ ، واسّس (الاسرة الاورمانية) •

---

٢١ ــ ويقال ان قبيلة (كندولا) من ذريته ، وهي تقطن شرقي كرمنشاه وتتكلم لغة مماثلة (المؤلف) •

وفي زمان ما ، حين مضى (خانات اردلان) صعدا ، جبت محاولات في سبيل ازاحة الاورمانيين واخضاعهم ، لكنها كانت غير ذات جدوى ، ومن بين القبائل الصغيرة القاطنة على الحدّ الفارسي التركي لاتزال (اورمان) قادرة ، اليوم ، على ارسال النظر الى منحدرات جبالها الخاصة وتحدّي الناس طرا ، ذلك ان الحاكم (علي شاه) ، ومستقرّه (قلعة اورمان)، مستقل ، اليوم ، فيما سوى الاسم •

ان الاقليمين الثانويين : (مريفان) و (بانه) ، الواقعين شمالي (اورمان) ، كانا تحت ظل (بكواتهما) و (خاناتهما) ، ولم يبق لهما ان اثارا صعابا ، على ما كانت تفعل (اورمان) اعتيادا ، وذلك باعتدادها من الاكراد الخلّص وانهما لايملكان من القوة ، الا القليل ، ايضا • واعتاد (بكوات مريفان) على الاضراب مع (سلاطين اورمان) ـ (على غرار ما هم ، اليوم ، فاعلون) ـ ولكن ، ما دامت (الاسرة الاردلانية) تملك قوتها السوية فان الاقليم كله كان يخضع الى نظام حسن •

وبقي (بلاط سنه) مرفوع العماد حتى طويل وقت من القرن الماضي ، ولعلّ من ابرز (خانات سنه) كلهم هو : (امان الله خان) ،والي اردلان ، خلال العقدين الاولين من القرن التاسع عشر الميلادي ، ومن اتسم بالاسلوب الملكي في عاصمته الصغيرة • ومهما تكن الحال مالت الاسرة ، الى حد بعيد ، بثقلها الى (قاجار) الفارسيه ـ ، حين اخذت هذه تباري في سبيل العرش الفارسي ، وعقدت معاهدات صداقة وتحالف • وما ان قدمت ولاءها الى (الاسرة القاجارية) ـ وهي الاسرة الحاكمة في فارس حاليا ([22]) الا التزمت بما وعدت وساعدت بالمقاتلة في المعارك التي شنت بازاء

---

٢٢ ـ كان ذلك ابان تحرير (الكتاب) ولقد ذهبت ريح هذه (الاسرة) اذ عضل على اخر الملوك القاجاريين امر الحكم وضاق فاستولى على العرش (رضا خان بهلوى) رأس الاسرة الحاكمة اليوم في ايران (المترجم) •

الناصر (لطف علي خان زند) ، وهو من وضع اندحاره ومقتله (العرش) بيد القاجاريين. واتصل "[23]" (خسرو خان) الى (فتح علي شاه) اذ تزوج بنتا له ، ولانها كانت امرأة على حظ من خلق عظيم مداومت على الامساك باعنة الحكم ، اثر وفاة زوجها ، وخلفها في سنة ١٨٦٥ : غلام شاه خان.

وما ان اتى اليقين هذا الا استفاد آخر الولاة الاردلانيين ، المسمى (ناصر الدين شاه) ، من قوته ، باعتداده قريبا وسلطانا ، فادخل عوامل في التعاقب على السيادة بحيث تجعل المرشح غير محقق . وبينا كان (الخانات) الشبان ، في الوقت نفسه ، يترقبون قرارا ، عمد هو الى القيام بانقلاب ، ونصب عمه : (معتمد الدولة) ، وهو رجل ذو حول وطول حاكما على كردستان .

ولم يعمد اهل اردلان الى المقاومة الا قليلا ، ذلك انهم اعتادوا على حكم (الامراء القاجاريين) ، ينضاف الى ذلك ان (الاسرة) فقدت جانبا كبيرا من نفوذها وقوتها ، وغدت متفسخة . لذا وجد (معتمد الدولة) ان من اليسير ابقاء كرسيه في (سنه) . لكن ما ان صرف عنايته الى (اورمان) الا وجد نفسه تجبه وضعا مختلفا جدا . لقد اكتشف الاورمانيون ، الذين وجدوا الخضوع الى (اسرة اردلان) امرا عسيرا ، في الهيمنة الفارسية حال حياة لن تطمئن اليها طبائعهم ، من غير كفاح .

وكتب على (معتمد الدولة) ان يناضل نضالا طويلا شاقا ، قبل ان يستطيع الى اخضاع (حسن خان : سلطان اورمان) سبيلا . وحتى عندما وفق الى مثل هذا ، كان الاجلال الذى اكتسبته (القبيلة) لنفسها ، عظيما ، بحيث سلمت مقاليد الحكم الى (الابن) والى (اخيه) ايضا .

---

٢٣ ـ من كلام العرب : اتصل اليه اي : تزوج ابنته واتصل اليها: تزوجها ، واتصل اليهم : تزوج فيهم (المترجم) .

وتقع (اورمان) - اليوم «٢٤» - في تركية جزءا - وهو الاكبر - وفي الارض الفارسية جزءا ، وعلى حين يعتد الحكام على الجانبين رعايا تينك الدولتين ، فانهم ، لجميع المقاصد والغايات ، مستقلون ، وعلى الاخص (على شاه) الاورماني الفارسي، وهو من لايدين بولاء لأحد، وثمة حملة ترسل ، اليوم ، بازائه من (سنه) بغية جباية الضرائب وحمله على الاخلاد الى النظام .

وعلى الرغم من تجريد (الاسرة الاردلانية) من سلطانها ، لكنها لاتزال مرموقة تتبوأ ، تحت ظل الحكومة الفارسية ، مقاما . ان (فخر الملك) ، رأس الاسرة حاليا ، لرجل هرم ، لكنه على حظ من الثقافة والمعرفة عظيم ، وهو حاكم (ششتر) و (دزفول) في عربستان وعنده وريث يبلغ من العمر ٢٥ سنة .

الجاف «٢٥»

وعلينا ان ننتقل من هذه (الاسرة) القوية المتقدمة الى جيرانها ، وهم ذوو جبلة مختلفة ، واعني بهم : الـ (جاف) ، وقد عرفوا ، في كردستان

---

٢٤ - يريد ايام تاليف (الكتاب) ، اما اليوم فتقع ، جزءا ، في الجمهورية العراقية ، وفيها قرى (طويله) و(بيارة) و(بير ديوز) وفي الاخيرة عتبة مقدسة لفرقة الـ (علي الهية). وتنقسم (تخت : هورامي) العراقية الى (هاورامي تخت) و (هاورامي لهون) . والجزء الثاني من القبيلة يعيش في (اورمان : هاورامان) الايرانية . وقدر (مؤلف الكتاب) عدتهم بـ ٢٠٠٠٠ نسمة . (المترجم).

٢٥ - الجاف من اقوى العشائر الكردية ، واكثرها نصيرا وانبلها اصلا، قيل انها هاجرت من (جوانرو) في ايران قبل اقل من قرنين .وفروع القبيلة هي (هاروني) و(اسماعيل عزيزي) و(ميكائيلي) و(روشوبوري) و(نورولي) و(ترخاني) و(شاطري) (يوسف جاني) و(كمالي) (تاه‌گوزي) و(يزدان بخشي) و(كه‌لالي) و(شيخ اسمعيلي) و(ساداني) و(باداغي) و(امالا) و(باشكي) (باروبسي) و(بي سري) و(بشت ماله) ، وغيرهم . وقد انفصلت بعض الفرق منها واصبحت فروعا مستقلة مثل الـ (شرفبياني) القاطنة في هورين شيخان واذا مانزلت بفرع منها رزيئة كبرى بمهاجمة من عدو اتحدت الفروع، بعد ان يتناقل ابناؤها الجالية ، خبرها الطارق ، فيشعر كل منهم ان لزاما

الجنوبية كلها ، بالاقتدار والضراوة في الحرب معا ، ولا يعرف عن تاريخهم ، حتى يوم الناس هذا ، الا القليل ، واما موردوه ، ها هناء بالارتكان الى ثقة، هو احد ابناء الاسرة الحاكمة:(محمد على ملك بشتمالا)،من (قزل رباط) الكائنة في كردستان الجنوبية القصوى .

تدعي (القبيلة) ان قد كان موطنها في (جوانرو) وهي من الاقاليم الثانوية في (اردلان) ، وقد سبق القول عليها ،وكان ذلك من اقدم الازمان حتى سنه ١٧٠٠ للميلاد ،وقد عاشوا فيها تحت ظل حكم الولاة الاردلانيين. وايا كان الامر ، يتراءى ، اما ان يكون الولاة الاردلانيون قد رمقوا ، بعين حاسدة جامحة طامعة ، اقليم (جوانرو) الخصيب ، الذي ما بعده من خصب، او انهم روعوا من نماء قوة الـ (جاف) ، لذلك سعوا الى جعل حكومة البلاد بايديهم ، وباكثر من ذي قبل . ولم يتم ذلك من غير قتال، واثر معركة قبض ، خلالها ، على زعيم الـ (جاف) واخيه وولده ، وذبحوا، هربت البقية من زعماء (القبيلة) الى حمى (باشا السليمانية الكردي) ، وثمة قلة من القبائل الثانوية كان ارتباطها بالارض اكبر من كرهها لمن غلبوا عليها.

ومهما تكن الحال ، ولما كان بعضها ، من امثال : (قادر مير ويسي) و (قلخاني) و (يوسف يار احمدي) و (كويك) و (نه‌رجي) و (كركايش) ، لم يستطع الخضوع الى حكم الولاة الاردلانيين المتعالين المتسامين ، لذلك التجأ الى الـ (كوران) .[٢٦] واتخذ اسمهم ايضا ، لذلك

عليه الثبات بازاء ذلك لايجد له دفعا ولايرى منه مهربا، فمن لم يطع من اعدائها باللين اطاع بالشدة ، اذ الا يهب ابن الجاف لنصرة ابن الجاف هو العار والذل :

واجمل من حياة الذل موت وبعض العار لايمحوه ماح !

(المترجم)

٢٦ ـ تعني (كوران) الفلاح او المزارع ، وهو (اسم علم) لقبيلة تعيش في شرقي (زهاو) ، وقد اسست هذه (القبيلة) ، في القرن السادس الميلادي ، حكومة كبيرة مستقلة في كرمنشاه ، وكانت بلاد اذربايجان من ضمنها . وصاحب الـ (شرفنامه) يجعل الـ (كوران) احدى اللهجات الكردية الاربع الرئيسه . (المترجم)

يعرف هؤلاء ، اليوم ، بـ (جاف كــوران) •

واسبغ (باشا السليمانية) حمايته على الزعماء ، ومنــح قبائلهم حــق الهجرة «[٢٧]» في الربيع والخريف ، على السبل التي لايزالون عليهـا ، واعني بذلك ، شمالا تلقاء بنجوين ، وجنوبا حتى (قزل رباط) و (خانقين)، وعلى ذلك غدوا رعايا اراكا ، وبقــوا ، على ذلك ، منذ ذلكم الحيــن،

وتقدر عدة (القبيلة) بنحو ٠٠٠ر١٠٠ نسمة ، و (الباشا) ـ محمود باشا ـ هو رئيسها اليوم ـ «[٢٨]» وهو يزعم بأن في مكنته استنفار ٤٠٠٠ مــن الخيالة وجعلــهم فــي الميــدان ، فــي غضــون ســويعات •

وقام احد الزعماء المتأخرين : عثمان باشا الذى لقي وجه ربه فــي خريف سنة ١٩٠٩ (ومن اشير اليه في الفصول المتعلقــة بالسليمانيــة وهه‌له‌بجه : حلبجه قبلا) بانفاق الجهد وفتق المحيلة فــي سبيل شدّ ازر القبيلة واغنائها ، بزواجه من (عادلة خانم) ، وهي سيدة من اسرة اردلان العريقة ، اسرة وزراء الولاة ، وبذلك اثار سخط الاتراك وبعث موافقــة الفرس الذين منحوه سيفا ولقبا ، دلالة على تقديرهم له ، لانه اصطفى لــه احدى الرعايا الفارسيات زوجا •

ان (بواشه : باشوات) الجاف لطبقة فخورة تسامى ، وهم لايتكلمون الا قليلا ، لكنهم يعملون دراكا ، لذلك ، فانهم اعتادوا ، خلال المئة ســنة الاخيرة، ولدى نجوم اضطراب في القبيلة، على اتخاذ اجراء نفاذ سريع ، لذلك لم يحدث ، منذ انشقاق القبيلة الاول، شيء من هذا القبيل ابــدا •

---

٢٧ ـ تتخذ السبيل في جوبها وترحالها ، في الصيف ، الى جبــل (جهل حشمه) صعدا ، وتقيم الخيام عليه وتسمى هذه في جهات السليمانية (هه‌وار) • انها ترحل في النهار وتنام ليلا في محطات معينة وتشتهــر نساؤها بالنشاط ابان الهجرة وتراهن يحملن اولادهن الصغار مشدودين بحزام على ظهورهن • (المترجم)

٢٨ ـ كان ذلك في ابان تاليف الكتاب وقد رحل (الباشا) عن الدنيــا الفانية الى جوار ربه ، و(ما عند الله خير وابقى)• (المترجم)

ان (قبيلة الجاف) ، من بين قبائل الاكراد الكبيرة ،استطاعت ان تعيش على حال من العلاقات المتبادلة الحسنة ، ذلك ان ارباب الاسرة الكبيرة المتعددين عملوا يدا بيد ، واذا كان الامر كذلك نمت (القبيلة) موسرة قويـــة .

هذا ملمح رائع في الحياة الكردية ، فالسبب في ان (فـــارس) و (تركية) دأبتا على ان تكونا في منجاة من غزوات الاكراد ، ولولاه لوقع العكس ، يتلمس في عجز قبائلهم عن أن تعيش ، مع بعضـها بعضـــا ، بسلام »[29] - وليس هذا بالملمح الغريب بالنسبة الى مزاج الارسـاس الجبلية في ارجـاء العالـم طـرا .

[فليس بين طواعين واوبئة مثل الشقاق اذا دبت عقاربه] »[30].

ولا تجتاز (القبيلة) الحد الفارسي الا على الندرى ، فيما خلا نهاية

---

٢٩ - لم يكن من حاد على مثل هذا ، وهو حال الاكراد ،عـــلى عمومه ، سوى الاقلين منهم ، الا : شعورهم القوى ،والى حد العنـــف، بازاء (اسرهم) و(قبائلهم) وحقوقهم في (المرعي والمستقى) ، فلا معدى عن ان يتمسك الكردي بها ويذود عنها ويثار لها ان مستها قبيلة او فرد بسوء وكثيرا مايلحظ المراقب تغلب الارتجال على الاتئاد في مثل هذا، وكم من مذبحة شوءمى وقعت لهذا، لهذا - وعلى ما يقول (بروفسر مينورسكي) في كتابه (الاكراد ص ٦٧) - يجب على كل من يريد ان يقوم ضدهم ان يحسب الف حساب وعلى ما يقول في (ص ٧٠) كرة اخرى : «تتجدر الاشارة الى اخذ الثار واحيانا قسوتهم غير المفهومة في هذا الصدد .» والذى افهمه ان ثار الكردى نابع من شعوره بكرامته، فان اغلظ لـه احـــد في القول ، او مس كرامته، او كرامة اسرته او قبيلته فعندها الثار ولامعنى ان يكون لذلك غير قاس او هينا . وبعد هذا فالكردى ذو صفات انسانيـة محببة فهو لايعتدى ، لانه مشغول بهمه ومهموم بشغله ، ومتى وعد فـلا بد من ان ينجز وعده فلا محال ولا مطال واذا بسطت بينك وبينه بسـاط الحديث احسست بروحه الشفيف ، وحبه المزاح، والافتخار بحياته الحرة، وحبه لطبيعة ديرته المونقة ، وحديثه العذب الصافي كانه ندى الفجــر ، وبكلماته الصادقة ، فما هو بحديث مرجم لاتقف عـلى فحواه ومحتواه .
(المترجم)

٣٠ - اضافة منا يقتضيها السياق ارادة توضـيح المعـــنى والاشراق . (المترجم)

هجرتها الشمالية ، قرب (سنه) ، ذلك ان ديار الـ (كوران) تقـع على حدّها الجنوبي ، والـ (كوران) قبيلة تابهة الشأن عريقة ، وهي ، على الوهن الذي اصاب قوتها بالنسبة الى ما مضى ، لاتزال تتمتع باحترام كاف يصدّ عنها جيرانها ، مثيري الصعاب والاتعاب ، في الاراضي التركية . وايا كان الامر لو سلّط البحث الارسيّ على (القبيلة) فمن المحتمل ان يكشف عن حقيقتها باعتدادها غير كردية ، فاما ان تكون : (لورية) او (فارسية) . وعلى طول الحدّ الذي يفصل بين (كردستان) و (لرستان) هناك عدد من القبائل التي ليست بـ (لرية) او (كردية) وتتكلم بلهجة يخيل انها أثارة من الفارسية القديمة : (تاجيك) .

واليوم يرى بعضهم ان هذه الديار كانت مأهولة من قبل ناس متوطنين يقال لهم : (كوران) ، يتكلمون لهجة ، سبق القول عليها ، ولا تزال مصطنعة على اختلاف ، من قبل الـ (اورمان) والـ (كندوله) والـ (ريجو) القبائل المتوطنة . كان اللسان هذا ، ولايزال الى حد ما ، اللغة الاتباعية الـ (كلاسيه Classical) ، للاسرة الاردلانية ، وهو يصطنع في الشعر الرحب جدا الذي كان يحرر ، ولا يزال ، في (سنه) وما حولها . انه يسمى ، اليوم ، (اورامي) او (شهرزوري) . «*»

ان هذه (النظرية) تفسّر الحقيقة القائلة بان قسما كبيرا من (قبيلة كوران) ـ الجزء المتوطن منهاـ لايزال يصطنع تلكم (اللغة) . اما الجزء الرحال فيتكلم لهجة كردية «[31]» على التحقيق ، لكن هذا يفسّر ، بادىء

---

* «نظم اكبر شعراء الكرد : مولوي قصائده الغزليه الرقيقة وصوفياته» باللهجة الكلهرية : (اورامى : هەورامى) . (المترجم)

٣١ ـ نعاود اغناء معلومات (القارىء الكريم) عن (اللغة الكردية ولهجاتها) ونخص الطلعة المستفيد والناشىء المستزيد بذلك فنقول : جاء في (الشرفنامة) ـ طبعة محمد عباس ص ٢٣ : ان اللهجات الكردية الكبرى هي اربع لهجات : (كرمانجي) و (كوراني) و(لوري) و(كه لوري) . ونضيف الى قوله ان الـ (كرمانجي) شرقية وغربية . واشتقت (كرمانجي) على الوجه الذي يلي السطر : (كردماد ـ كردماز ـ كردماج ـ كرماج ـ كرمانج كرمانجي)

«الرأي » بالظروف التي حملت بعض فروع الـ (جاف) والـ (كلهور) على الاحتماء بالـ (كوران) ، واتخاذ اسمهم •

هذا وان الاسر الاصلية التي كانت تحكم من قبل (السلاطين) ، عريقة في القدم جدا ، وهي تدعي بالانحدار من (بهرم كور) رأسا ، واسم هذا معروف لدى من قرأوا ترجمة (فتزجيرلد) لعمر الخيام •

وبعد سنه ١٦٣٩ ، حين عقدت اقل جميع معاهدات الحدود ، بين فارس وتركيا ، تحديدا ، وانضمت اليها الـ (جاف) والقبائل الاخرى ، بقي الـ (كوران) يحكمون ، بسلطان عظيم ، من عاصمتهم القديمة في (كهواره) ، ويشيعون ، اكثر فاكثر ، قصصهم الشعرى وقصائدهم وهي التي بعثت الاسم الكردي الذى يطلق على انواع معينة من القصائد : (كوراني) • «[32]

لقد فقدوا ، في الزمن الأقرب ، قوتهم ، ومرد ذلك الى ضعف حكامهم ، وفي خلال السنين القليلة الاخيرة انسحبوا الى «الخلفية» تماما تاركين الميدان لقبيلة (كلهور) حصرا وقد غدت هذه اقوى ، سبكة متراصة من فروع قبائل تحمل الاسم الادبي ، وباكثر من اي وقت مضى وانقضى•

والـ (كرمانجي) لغة اكراد محافظات السليمانية واربيل وكركوك وكردستان الايرانية عموما ، ويبلغ عدد الناطقين بها مليون نسمة وزيادة • اما الكرمانجية الغربية فتشيع في (منطقة بهدينان) وهي لغة اكراد (دير الزور) والـ (قامشلي) و (طرابلس) و (حي الاكراد في دمشق) وفي (بوتان) و (وان) و (دارسيم) و (تفليس) • والمتكلمون بها زهاء مليون نسمة • اما الـ (كوراني) فشائعة في كرمنشاه وبعض قبائل العراق والفانستان الكردية واشتقت (كوران) من(كور كوره يان)التي تعني: الهول• اما اللهجه الـ (لريه ـ كلهورية) فشائعة في (لرستان)، الكبيرة والصغيرة، وفي (بختيار) ومناطق (خانقين) و (مندلي) و (بدره) الكردية • (المترجم)

٣٢ ـ كتبت بها اساطير شرقية ذائعة شائعة من امثال (مجنون ليلى) و(خسرو وشيرين) و(خورشيدى خاور) • (المترجم)

وتفصح ال (كوزان) عن تلك (النحلة) الغريبة التي يلقبها البعض بشملة ، أعني : ال (على الهيّة) ، وهم الذين يرون ، بإجراء في (علي) ، زوج ابنة النبي (محمد صلعم :المترجم)، تجسيدا للاله ، لذلك يتخذونه معبودا .

ويتعذر حتى ذكر كدس التقارير والاشاعات التي نمت وحامت حول عقائد هذه «النحلة» . ذلك ان كل رحالة ، سواء أكان فارسيا ام كان أوروبيا ، يخفق في ايجاد حقيقتها ، ويروم، مع ذلك ، تدوين معلومات عنها ، جاد بشيء عنها ،لايعدو ان يكون محصل نظرياته فيها . ومن بين ذلكم (الكدس) عسير ان يصطفى شيء يحمل امارات حتى ما يمكن التوصل به ، على وجه الاحتمال ، الى الحقيقة «[٣٣]» .

يتراءى من قراءة مجموعة من النظريات المؤثرة حول نحلة ال (على الهيّة) ان بعضهم خلط امرها بأمر اليزيدية ، وهم الذين وصفناهم في (الفصل الرابع) من (كتابنا) هذا ، ذلك انهم متهمون من قبل اناس باقامة «الاحتفالات» الليلية «[٣٤]» التي يقع تهتك فيها ، وهي (التهمة) التي

---

٣٣ ـ يقول اتباع هذه النحلة «بما ان سيدنا جبريل (ع) ظهر في (دحية الكلبي) فمن الجائز ان يحل الله (جل وعلا) في صورة جسمانية. لذلك حل فيجسم الامام علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) » (كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا) ـ صدق الله العظيم ـولقد بدأت من الافراط في (حب ال البيت) حتى بلغت تأليه (علي) ـ رضي الله عنه ـ وثم رجعت الى (عبادة الشمس) الجاهلية . ومن غريب معتقداتهم انهم يرون ان عليا رفع الى السماء ، فاندمج فيالشمس (المترجم)

٣٤ ـ يذكر (ماكدونلد كينر) عن هذه «الاحتفالات الليلية» بان من يقوم بها يطلق عليهم (شمع كشان : اطفاء الشموع) ولا نحسب انها باقية اليوم ، وما هي في الحقيقة الا تقليد احتفالات (فيرا) و (اناييتيس) في العهود الخوالي (المترجم) .

توجه ضد اليزيدية «[٣٥]» نفسها ويتجلى ، في كثير من هذه الاوصاف ، ما يدلي به (الشيعي المحمدي) اذ يشيع عند هذا ، لدى محاولته وصف (نحلة) يجهلها ، عزو الميل الى ما ليس هو بمشروع في (الشريعة المحمدية) ، الى قصص قصص تؤثر في سامعيه حتى بلوغ درجة (المروق الانشقاقي) • وعلى ذلك «فهم لايحرمون انفسهم ، في قراهم الخاصة» من احتساء النبيذ والمشروبات الكحولية ، ولايمتنعون عن تناول طعام محرم في (القرآن) ، بل على النقيض من ذلك انهم ليأكلون من غير تحرج او تأثم ، لحم الخنزير ويحتسون المسكرات من الشراب •

لتكن عاداتهم على ما هي عليه ، ان عقائدهم ، على كل حال ، تنطوي على احترام بالغ ل (بابا يادكار) وهو من يعتده بعضهم احد الذين يجسدون (الله) ، فالظاهر انهم يعتقدون ان مثل هذا امر ممكن ، وانه حدث في حالات : بنيامين ، وموسى ، والياس ، وداود ، والمسيح ، وعلى [كذا: المترجم] ، وتسعة سبعة «واجدات» «[٣٦]» ، احدهم هذا (الولي) المدفون في (بابا يادكار) ، المحتجة «[٣٧]» •

هذا وانهم ليتضرعون الى (داود) غالبا ، والاسم (داود) شائع وذائع بين فيلتي : (كوران) و(كالهور) ، ويقال ان قرابين الخراف تذبح الى (داود) قبل المضي الى الحرب •

---

٣٥ ـ في (كتابنا المترجم) الموسوم ب (رحلات الى العراق ج٢) فصل خاص عن (اليزيدية) فليرجع اليه القارىء المستزيد والناشىء المستفيد • (المترجم)

٣٦ ـ بنيامين من يهود طليطلة في اسبانية ، وهو مقدس لدى اليهود ولدى ال (علي الهية) والاجداث السبعه رجال (هفت تن) ، وهم ـ على ما ورد في دائرة المعارف الاسلامية ـ اولاد مؤسس مذهب (اهل حق) : سلطان اسحق الشهير ، وهو مقبور في منطقة (هوراماني لهون) على شط ديالى الايمن (المترجم) •

٣٧ ـ يؤكد كثير منهم ان (السيد رستم : رئيس النحلة) هو «تجسيد الله» • (المؤلف)

ويحتفل بعيد ما ، مرة في السنة وقبل بدء الشتاء ، ويعبد فيـــــه (علي) ، وفي خلال الصيف يحل (عيد برخ) «[38]» ، تذبح فيه قرابيـــــن من خراف ، ودجاج، ومما لاريب فيه أنهم يجلوّن النار، عـلى غرار مـا هو حادث لدى كثير من القبائل ، الى ابعد مدى، وفي طول كردســـتان وعرضـــــها •

ان اماكنهم المقدسة هي بجانب (بابا يادكار)، وقد أتى القول عليـــه آنفا ، و(زردة) قريبة جدا ، في جبـــــل (دالاهـو) و (دكانــي داود) • والاخيرة منحوتة فارسية عتيقة تمثل طقسا للزرادشية دينيا •

جليّ ان ليس هناك من شريعة محدّدة يســــتطاع وصـــفها بالـ (علي الهية) • ويتراءى انها ، على ما هي عليه (اليزيدية)، تكديس لبعض الاعراف ولكثير من الانظمة الدينية ، اصطنعت بعضها لاظهار التوافق مـــع الارساس الحاكمة وتفادي الاضطهاد بسبب الطقوس التي يمارسونها سّرا وليس هناك من ضمان يضمن ان (الزرادشية) هي المعتقد الاصـلي ، وان وجدت لها اثار قوية فيهم• ومن الواضح ان الاسلام لم يســهم الى حـــدّ اتخاذه دينا من قبلهم ، وان اجلال علي (كرم الله وجهــه : المترجـــم)، بلا ريب، هو الاجلال الذي يسبغ على غيره ممن «يجسّدون المعبود»، وقد اصطنعوه للاسباب التي سلف القول عليها • وهوءلاء الناس يجهلـــون الاعرافالاسلامية تماما ، كشأن الاعراف اليهودية ، سواء بـــــواء ،وان حسب بعض الرحالة، وروئلنصن منهم ، بخاصة، ان بعض عاداتهم يهودية•

والرأي الفارسي في (نحلتهم) هو على وفق ما يلي السطر ، وعــــلى ما افصح عنه في اغلب الموءلفات ، غير المتحيّزة • ويلحظ انهاتعطيهـــم أصلا محمديّا محضـــا :

ان معتقدهم الرئيس هو ان عليا اله (كذا : المترجم)، وذلــك عـلى

---

٣٨ ـ (برخ) في الكردية تعني الـ (طلي) بلغة عامة العراق • (الموءلف)

غرار طوائف النصيريين ، وانهم يقولون ان معرفة (الله) ضرب من المستحيل ذلك ان (الوجود الضروري) و (غير الضروري: الله والانسان) لا صلة بينهما ، باي وجه من الوجوه ، ما لم ينزل (الوجود الضروري) من المقام الذي لا يستطاع بلوغه ، وعن سبيل وارشاد المحسنين من الرجال ، وما ان تصبح (الألوهية) و (الامر) مرئيين متماثلين الا يستطيع الانسان تقديرهما ، وهذا ما وقع في حالة (مريم العذراء) حقاً وهي التي صيّرت ذات قدر واجلال لمثل هذا الافصاح •

وفي كل دورة من دورات الزمان تلطف روح وتهيء للناس رشدا «٣٩» ، وهي في هذا العصر :(علي بن ابي طالب) وهو من يشهد به خلق السماء جميعا ويسمونه (قاسم الارزاق) •

ويشيع بينهم معتقد محصله : ان الله ، نفسه ، يصبح مرئيا حقا (كذا : المترجم) في اكمل الناس خلقا ، وان (الله) يرى في (علي)• .

وثمة فرقة منهم تزعم ان الولي والله دائبان متلازمان ، كالشعاع والشمس ، لكن ليس هو الله ، وليس هو غير الله ، كما انه ليس بمنفصل عن الله ولا بمندمج به •

ان عبد الله بن سبأ ، وهو عربي معاصر لعلي نفسه ، هو اول من نادى بألوهية علي ، حين اعلن «ان الله لن يظهر الا في (علي بن ابي طالب) »: لقد اشارت النبوءة اليه ، وانه مصدر الوحي للاولياء ، وقد اعترفوا كل المعرفة منه ، انه الخالق المغني ومن وقفت عنده الحدود

---

٣٩ ــ مما تاخذيه الشيعة • (المؤلف)
قلنا وقد كانت لذلك اثارة في الشعر العربي القديم ، قال كثير عزة :

فسبط سبط ايمان وبر — وسبط غيبته كربلاء
وسبط لاتراه العين حتى — يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لايرى عنهم زمانا — برضوى عنده عسل وماء

(المترجم)

طر٣ ، ان عليا الذى انكر معتقداتهم هذه أمسك بعبد الله ، وأمـــــر بأن يلقى اتباعه في اخدود وترمى عليهم النار • لكن معتقدهم كان معانــدا بحيث انهم أخذوا يهتفون والجمرات اللاهبة تلقى عليهم «ها قد حصحص الحق »[٤٠] « الان ، وحقيقة كل الحقائق : انك الله» فلقد قال الرســـول: لن يعاقب بالنار غير الله» (كذا : المترجم) •

ولم يستأصل هذا الاجراء هاته (الطائفة) من العرب ، اذ «عقب وفـاة (علي) ، زعمت انه غائب موقتا ، وانه في السماء اعتافاء وان الحرق امـــارة مرئية داله على وجوده فيها وان الذى يفصح عن ذلك هي الشمس نفسها»

والقسم الفارسي «أو الكردى» منها يقول : ان عليا ظهر قبـل ٣٠٠ سنة خلون ، وهو الذى عاود بناء معتقدهم وشرعتهم مجددا •

واعطوا اولياءهم اسماء ثانوية ، لذلك رمزوا الى (علي) بـ (صاحب الكرم)، وسمّوا (ابن يامين) بال (بير)، و(الامام الرضا) باسم : (داود) ، والامام الحسين باسم (يادكار) •

ويسمون بني جلدتهم (يار) ، والغرباء (جوز) وان اراد احـــد ان يتخذ دينهم فما عليه الا ان يأتي بـ (جوز) دلالة على نبــــذه المعتقـــدات الاخرى جميعا • هذا وانهم ليجتوون حلق اللحية وحف الشارب «[٤١] معـــــا •

---

٤٠ ـ ان ما فعله بهم سيدنا الامام (علي)، كرم الله وجهـــه، هـــو الحق ، وهو (ابن جلا) المنكشف المشهور الامر ، بقدر تعلق الأمر بالايمان العميق والفهم الدقيق لتعاليم الاسلام ، وتنفيذ اوامره وتطبيق نواهيــه ، ومواقفه في هذا لاتكت عددا ولا تحصى، ومن اراد التدليل عليها، وهـــذه منها ، كان كالمخبر عن ضوء النهار الباهر الذى لايخفى على الناظر • (المترجم)

٤١ ـ يحف المسلمون الشارب «الجزء الذى يحتمل انغماسه فـــــي السوائل ، عند شربها من كوب او صحن•» (المؤلف)

ويطلق على متقدمي رجالهم اسم (سيّد) ، والمعروف المتعالم عنهم انهم اية (صاحبي كرم)، وعندهم القدرة على اصدار قراري: ما هو(مشروع)وما هو (غير مشروع) .

ويقول كاتب فارسي هو: (ميرزا محمد حسين اصفهاني)، زكاء الملك:

«حل (الكاتب) بين ظهرانيهم سنوات وعلى انكاره عقائدهم ـ لزاما عليه ان يقول : على الرغم من انهم لايسبلون على نسائهم نقابا فليس ثمة (لا أخلاقية) تشيع بينهم ، وان شاعت فقليل ما هي .»

هذه اراء افضل المؤلفين الفرس بشأن أصل هذه (الطائفة) ، ومن الجلي انهم لايوضحون ، الا على الوجه غير الوافي الكافي ، غرائب معتقداتهم ، وانهم حملوا على ارتكاب بعض الاغلاط حين حاولوا اعطاء ال (على اللهية) اصلا محمديا محضا .

ال (كلهور)

بغي ان يلحظ أمر (قبيلة كلهور)، «[٤٢]» وهي لاتكاد تكون مما يعنى به هذا (الكتاب)، لذلك نشير اليها باقصى ايجاز، ففيه كفاية .

ان (القبيلة) هذه، اليوم، اقوى القبائل في كردستان الجنوبية طرا ، وقد دأبت على استيطان الارضين الكائنة قرب الحد على التخوم القصوى لـ (كردستان) ، تلقاء كرمنشاه . ان قائدهم هو (داود خان)، وهو رجل على حظ من قوة، مابعدها من قوة ولقد سما به سلم الحياة من بائع جوال حتى مقام زعيم صمدا، ومارس، الى ماقبل شهر او شهرين، سلطان

---

٤٢ ـ يقول رولنصن ان الكلهريين يزعمون انهم من سلالة (رهام) وهو بختنصر الشهير ، وان من اسمائهم ما هي يهودية صرفة .

وصاحب ال (شرفنامه) يجعلهم من اقسام الشعب الكردي الاربعة : اعني (الكرمانج) وال (لور) وال (كلهور) وال (كوران)، ويضيف الى ذلك : انهم يقطنون بين (سنه) و(كرمنشاه) و(زهاو) . وان اسم (كلهور) ـ بحسب رأيه ـ يطلق على الاكراد غير الكرمانج القاطنين في منطقتي (صنه) و (كرمنشاه) ، وثمة اسر منهم تسكن قضاء خانقين . (المترجم)

زعيم مستقل تقريبا، في الديار الكائنة بين كرمنشاه والحد الفارسي مدداه ذلك انه انتزع بعض سطوة الـ (كوران) واخضع بعض القبائل الصغيرة، من امثال قبيلة الـ (سنجابي) كليا •

اوردت كثير من انماط النظرية الغريبة المنصبة على تبيان أصل الـ (كلهور)، ولا تفوق اي منها، في الغرابة، النظرية التي اوردها (رولنصن: Rawlinson) ومحصلها انهم من ذرية اليهود الذين ساقهم (نبوخذ نصر) الى (الاسر) سبايا •

هذا وانهم ليكلفون، على غرار قبيلة او قبيلتين من القبائل الجنوبية ، بالتوكيد على انهم نشأوا قراب «[43]» شيراز وانهم من الفرس الجنوبيين •

وليس ثمة سبب يحدو على الاعتقاد بانهم ليسوا الا اكرادا ، او من الارس الكردي، اختلطوا ،على التحقيق ،بدم (لري) ، ولكنهم ليسوا باعتداد الاصل حالا من الارس الذي يحسبون عليه •

هذا قدر المعلومات التي جمعت بشأن (القبيلة) ، ومن نافلة القول ان نفصلها ، ها هنا، تفصيلا ومن وقوعها على طول الطريق المار من بغداد الى كرمنشاه ومن اتصال زعمائها بفارس، لكونها شيعية الدين «44» (كذا : المترجم)، فلعل الـ (كلهور) ايسر قبائل كردستان وصولا، وليست باي وجه، اقلها امتاعا ، سواء أكان ذلك من وجهة نظر اللغة

43 ـ قراب وقريب بمعنى واحد •
44 ـ ليست الشيعة بدين ، واحرى به ان يقول (مسلمة على المذهب الجعفري) ،فالمسلمون ، على اختلاف مذاهبهم يجلون (آل البيت) اجلالا عظيما ويرددون ذكرهم في صلاتهم قائلين : (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم)، واصحاب المذاهب الاسلامية ، على اختلافهم، هم ممن يستضيء المسلمون، على اختلاف اجيالهم، باجتهاداتهم في أمور دينهم ودنياهم • وقد قفى كل فريق منهم على صاحب مذهب منهم ، والكل اخوة «كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا» ، وعلى ما يأمل الغير المخلصون ، (والشمل مجتمع والحبل موصول) • (المترجم)

ام العادات او التاريخ •

وبصدد (اللغة الكردية) ان المعروف عنها قليل، بحيث انها وصفت باعتدادها لهجة فاسدة من لهجات الفارسية او العربية «نمطا من كلب فارسي» (كذا : المترجم) «ولهجة فارسية قديمة متردية» •

لكنها ليست هذه ولا تلك •• لعل فارسية اليوم، الجميلة ،وعلى ما هي عليه أشد الالسن كمالا، لكنها ليست بقادرة على اظهار امارات مفصحة عن العراقة، على غرار الكردية، ذلك ان هناك لغة كردية «٤٥» تعتد لسانا تاما ، غنية بالاشكال النحوية والصرفية وباعراب متميز ،وهي متحررة من «المقتبسات» العربية كلها، وهذه، على اغنائها الفارسية، رمت ، الى هوة النسيان، الكلمات القديمة، ذوات الاصل الآري المحض، التي كانت تستعمل فيما مضى •

ولو وصفنا اللهجات في كردستان، وهي كثيرة، جنبا الى جنب، على اختلافها في النطق والشكل، الى درجة تصيرها لغات مختلفة حقا لوجدنا ان واحدة، من بينها، تظهر، في الشكل، اطرادا ، ونظاما نحويا وصرفيا مبتمنا ابتمانا تاما، وبسرعة وجلاء ،بقدر تعلق الامر بالنطق والبناء، مشفوعا،

ان هذه هي (لغة مكري) التي يتكلم بها في (لهجان) الفارسية، جنوبي (بحيرة ارميه)، وفي (ساو جبلاق) «*»، وهي بليدة صغيرة كائنة في

---

٤٥ ـ اللغة الكردية ، ابتداء، مهمتها التعلم، مثلما تلفظ تكتب • وهي، كسائر لغى اهل الجبال ، غنية بالتعابير المتعلقة بوصف العوارض الارضية والحالات الطبيعية، والادب الكردي القديم، على غرار الادب العربي القديم، يكاد يكون مقصورا على الشعر والمأثورات الشعبية، وهو أمر طبيعي ، والقصص •وثمة مثل كردي سائر يقول: ان لم يكن الكردي راعيا او زارعا فهو شاعر، ولاشك ان مرد ذلك الى طبيعة كردستان الجميلة التي ترهف احساس ابنائها وتفجر شاعرية ذوي الموهبة منهم (ولتعرفهم في لحن القول) اي في معناه، مادام قوي النسج صادق المعنى سليم الاسلوب •
(المترجم)

(*) نسترجح ان معنى اسمها : مدينة القمر • (المترجم)

الجبال وحاضرة قبيلة الـ (مكرى) •

ليس هنا محل جولة تستهدف التحري عن وجه الشبة بين الاصول الكردية في الـ (زندا افستا)، ويكفى ها هنا، أن تذكر ان المكريين الذين عاشوا في المكان الذى بدأ فيه (زرادشت) تعاليمه، ولعله كان موطنه ايضا، يتكلمون لغة تكاد تقرب من الشكل العتيق، لذا فان دعواهم حسنة، ان اعتدوا انفسهم حفظة احد افضل النماذج للسان آرى محض قديم •

ان التحرى عن اللسان الكردى يفصح، بعامة، عن انه لغة نقية، لم يحدث ان عانت الا من تآكل الشكل وفساد النطق، انهما امران لامصدل عنهما في لغة «غير ثابتة» وبسبيل امتلاك ادب مصطنع عموما •

ومن جهة ما يعنى به الطالب ويمنعه يصح ان يقال :من الاسف الشديد الا يكون للكردية من الادب الا القليل •حقا ان الزعم الشائع هو انها لاتملك ادبا بالمرة •وعلى كل حال، وعلى وفق ما ذكر قبلا، هنالك قدر كبير من مادة محررة• كما ان الأمة الكردية ليست، على الزعم الشائع بالامة الغامضة المتبدية، المقصرة في امداد الحكومة، وجيش تركيه، بالرجال المبرزين «*»• ولعل قلة من الناس تعلم ان (صلاح الدين)، ذائع الصيت طيب الذكر، هو كردى، وان الادريسى ، وزير السلطان سليم، هو من الشعب نفسه •

وبقدر تعلق الامر بدورهم في الشوءون العسكرية نقول: ان غريزة الشعب هذا جادت على ابنائه بالفوق في اى مكان، نشدوا تبوأ مقام الصدارة فيه، وعدت تركية ، بين قادتها الشجعان ، العديد من اكراد الشمال

الادب الكردى

ان (بايزيد) ، بليدة الحدود التركية، القريبة من (جبل ارارات)

(*) ــ يريد عندما كانت مواطن الاكراد في العراق خاضعة للحكم التركي الزائل ، ايام رحلة (الموءلف) • (المترجم)

واسفله، هي اليوم بليدة كردية فطيا، وكان يقيم فيها في سنة ١٥٩١ باكرا ، احد الاكراد النابهين، طائري الصيت في ايامه، ونعني بـه (احمدي خاني) الحكاري «[٤٦]»، وهو من بني جامعا وحرر عددا من المؤلفات الفلسفية والدينية والشعرية بلغته الوطنية، وادار مدرسة كبيرة انتظم فيها الاكراد طلابا، وكانت لغتهم وساطة التعليم فيها بالدرجة الاولى.

كان من اول الكتب التي ألفها معجم عربي صغير غريب، حرر شعراء وذلك «على مايتول، لتعليم اا (كرمانجي)، لاطفال الاكراد ، بعد ختم القران (الكريم : المترجم) «وعندما يصبح هؤلاء ملمين بالقراءة والكتابة «» ان عنوان «[٤٧]»، الكتاب يبدأ بهذه الموعظة :

« ان اخفقت في تعلم (نحوك) و (دروسك) فلن تحصل على الشهرة ونباهة الشأن في قابل ايامك»» نظم(المتن) ببراعة وباصطناع الاوزان المختلفة، و(الناظم) يذكر اسماء في مطلع كل بيت، وان يقلد ذلك في الترجمة لضرب من المستحيل .

« نطلق على (الرجل) و(المرأة)، عند العرب، اسمى (مر) و(جن) ، ونطلق على الأب : (باب) وعلى الأم (دا) وعلى الأخ (برا)، ونطلق على

---

٤٦ ـ النسبة الى (قبيلة خاني) المتوطنة في (بايزيد) . ولد سنة ١٠٦١ للهجرة المباركة، واتحف الادب الكردي (١١٠٥ للهجرة) بكتابه الشهير (دستان ممزين : قصة مم وزين) وطبع في اصطنبول وكان عمره ٤٤ سنة. وله معجم كردي وعربي يدعى (نوبهار ـ نوبار بجوكان) طبع سنة ١٠٩٤ هـ جمع فيه كثيرا من مفردات اللغتين والمترادف فيهما والمتوارد . راجع (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ج١ ص ٣٣٧) . (المترجم)

٤٧ ـ وصدق الشاعر اذ قال :

كنت مثل الكتاب اخفى طيا

فاستدلوا عليه بالعنوان !

وهو من الشعر التعليمي الجزل الشائع في كثير من اللغات القديمة والحديثه وعلى غرار (الفية) ابن ملك ،نور الله ضريحه، في العربية ،اذ كان في (صنيعه) من المحسنين ، وما جانسها وشابهها . (المترجم)

الابن (كرّه) وعلى الابنة (كج) وعلى العم (مام)، والعمة هى (ماما)، والعمامة هى (شاش) والجد هو (بيرا دا)،

اما الاجارة فهى (كرا) والعهد (كيرو) والفقدان (زيان) والكـــذب (درو) ونطلق على البيع (فروهتن) وعلى العطاء (دان) وعلى الشراء (كرين)

والرقبة هى (ميل) او (اوستو) والقلب هو (دل) ، و(شاهينا) هـــو الجــــــذلان، .

على هذا المنوال ندرس نحو ٢٠٠٠ مفردة، وبأخذ ذاكـــرة الآرى الممتازة بنظر الاعتبار ، ان طرز التعليم هذا (وهو شائع ذائع فى الشرق طرا) هو اقل آلية و«ببغاوية» مما يتصور «[٤٨]» .

ولننتقل من (احمدى خانى) الى الـ (شرفنامة) ، «[٤٩]» وهى تاريـــخ الكرد، ذائعة الصيت، ومحررها : شرف الدين بك الحكارى البتليسى . انه كتاب نادر الوجود يشد، ومنه نسخة فى (المتحفة البريطانية) . انه، مـــن بين (ادبيات الكرد) الافضل معرفة ، وفى الحق، على كل حال، ان عـدم تحريره، باللغة الكردية، لن يعدمه فى الادبيات الكردية مقامه،

---

٤٨ ــ لاشك فى انه اراد بذلك تعليم المفردات من طريق اقصر، وتناولــه بيد اطول فالشعر اعلق بالذهن وايسر، بقدر تعلق الامر بالحفظ على ظهر قلب، ناهيك بالذاكره ،عند الطفولة، فهى صافية قوية يعلق بها سريعـــــا (المترجـــم)

٤٩ ــ لواء حكارى الذي ينتسب اليه(شرف الدين البتليسي : بدليسي) موءلف الـ (شرفنامة) هو، اليوم، من الاقسام الادارية فى (الجمهوريــــة التركية) وهو (بهدنيان) ايضا، والكلمة محرفة من (بهاء الدينان) والنسبة الى (بهــــاء الديـــن) احـــد الافـراد الاكراد البلديين (المحليين) التابعين فى (الاقليم) ، على ما ورد فى الـ (شرفناه) نفسها . وكانت حكارى فى بعض ادوارها، تابعة الى (ولاية الموصل) (العثمانية) ــ فى اوائـــل القرن الحادى عشر الميلادى . وطبعت الـ (شرفنامة) فى موسكو سنة ١٨٦٠، وفى القاهرة سنة ١٩٣٠ . (المترجم)

وانجبت السليمانية ،خلال عمرها القصير ، اعني قرنين من زمـان ، عددا عديدا من الشعراء الذين جادوا على ادبيات كردستان ، وباللغـــة الكردية عموما، ومنهم من سار قدما حتى بلغ شأوا حرر ،عنده، مجلدات ضـــخاما .

وافضلهم ، ذيوعة اسم ونباهة صيت ، هو : (نالى) «٥٠» موءلف انماط القصائد، وهي شتى، وتكون (ديوانا) كاملا .

ان حديث شاعر السليمانية ،كحديث جميع قصائد اهل الحواضـــر تقريبا: حديث الحب، ذلك ان صفحة منه تتلو صفحة، وكل صفحة تحفل بالتلميحات الخيالية واللعب على الالفاظ ، علىعرق من النمط الفارســـي تماما، وبها يسمح الكردى الى التأثير ليساب الى القصيدة حين يكون هـذا احد الاشكال المصطنعة في فارس . ومهما يكن من امر ، ان شـــعراء السليمانية الاكراد التزموا بنظم قصائد غنائية جماعية كردية، لهـــا رونقها الخاص وان ترجمتها تفقد جمال الاصل طرا «٥١» ، ذلـــك ان

---

٥٠ هو الملا خضر الشهرزورى (١٢١٥-١٢٧٣ هـ = ١٨٠٠-١٨٥٦ م). الهمته الشعر فتاة كردية شغف بها حبا، في (قرهداغ)، حيث كان يشدو في ربيع حياته. وحط له القدر ان يتزوجها ،بعدئذ. وجل قصيده فـــي الغزل الرقيق وحب الوطن . وديوانه يدل على انهمتضلع من اللـــغى : الكردية والفارسية والعربية وقد طبع ببغداد سنة ١٩٣١ م من قبـــل الاديب (كوردى مريواني) راجع : «خلاصة تاريخ الكرد وكـردستان ج١ للمرحوم محمد امين زكى ترجمة محمد على عونى ، ط/٢ (١٩٦١) ص٢٤٠ وما بعدها» . (المترجم)

٥١ ــ معلوم ان الشعر : قصصي وغنائي وتمثيل . وهو، بالنسبة الى اى شعب مرهف الحس ،كسائر الفنون يملأ الانسان حبا وعطفا وحنانـــا وطموحا الى المثل العالية، فيسمو به الى معانى الجمال، وينزه عن اوضـــار الحياةويتخفف من اثقالها. والشاعر الحق ،من شعر بالشيء اى فطن له : ومن يفطن لما لايفطن اليه غيره من أبكار المعانى ليجعلها في آنق المبانـــي، لذلك تتعسر ترجمة القصيده وتتأبى الا على المترجمين البارعين الجهابـــذة الدارين بلغتهم وباللغى الاجنبية، وهم ندرة شحيحة، ومن سعى الى شي من

سحرها يرتكن الى اللغة ودور العبارات، باكثر من ارتكانه الى الفكـرة ، هذا وان قصائد الحب محدودة، بقدر تعلق الامر بالتشبيه كثيراً، وانهـــا لتصطنع جميع ما تسحبه الشاعرية الفارسية من استعارات نمطية، لذا كان الذوق الكردي في (الادبيات) يسرع الى الفارسي لاشعوريا، ومع ذلــك فلا زلت اتحدث عن شعراء السليمانية ، ها هنا . ففي خارجها، فبي السهل وعلى سفح الجبل، يلقى الانسان السمع الى قصيد ساذج حلو يعـــــد بالالوف ، ذلك ان الاكراد شعب موهوب بالفطرة، اذ يملك جميع القدرات في باب الحس اللغوي. ومما هو ليس بمألوف، الى ابعد مدى، ان يقابــل المرء احدا ذاكرته (لم تضعف باصطناع الخاطرات وفن الكتابـــة ، ولا يوجدها قدر كبيرة من الافكار) وليست هـــي الا مـــخزنا يضـــم الاغاني الشعبية القديمة .

كان صاحبي (حمه) البقري شديد الشوق، في تيهات هادئات، وكيـد اود الى ترديد الاغنية المكرية القديمة بنغمة غريبة. انها اغنية المحارب الذي ترك زوجه ليتخذ الى الثأر الدموي سبيلا .

ـ ساجتاز التلال وامشي بعيدا ، يا حليلتي !
ـ قولي لي ، أأمكث ام امضي ، يا حليلتي !
ـ ان مضيت ، فالله : هو حارسك على المسار !
ـ وسارقبك من (المضيق) حتى ترجع البصر الى وراء
ـ ساقف ، هناك ، في الشمس ، حتى تلتمع ملابسك بيضاء
وحتى تدرك الحجيج الذين يسيرون تلقاء الليلة الظلماء !
ـ ما هذه الزوجة ، اعني انا ، ان بكيت عليك او ولولت ؟
ـ او ان تركت بيتا مهملا وحقلا لاقوم بوداع طفل !

ذلك، على ما سمعنا اليه (فلا كفران لسعيه) .

ولمى ترجمة القريض رياضة ذهنية رائعة لانها تعود (المترجم) عــلى انتزاع المعاني من الكلمات ، وانعام النظر في مختلف العروض الصوريـة، واستكناه الاستعارات والكنايات والمجازات (وقد اتفق البلغاء على ان المجاز ابلغ من الحقيقة)، شريطة ان يكون (النص المترجم) وثيق الصلة لغويـــا بالاصل لامبتوتها . (المترجم)

- ان النصارى والترك والروس ليرفعون عقيرتهم على هذا الوجــه وشلقون •
تعاله قبلني ، واذهب، على جناح طائر، ياوجل، يامكري، آه يــــا عزيــزي ! (*)

وهناك مئات ومئات من قصائد هذا النمط الغنائي، ومنها ما لها صلـة بالحرب، وغيرها، ولاتعدو اكثر من تواريخ هازلة، على ما يكلف بــــــه الكرد، والمجموعة منها ما ان تبدأ فلا نهاية لها ولا من قرار !

ومن الشعر المسطور قدر كبير مصدره (سنة) ، وهو محرر باللهجـة الكورانية القديمة ،من قبل الاكراد الذين تعلموها في (بلاط سنة)، وان الابيات التي تلي الاسطر هذه مقتبسة من مخطوطة تضم بعض القصائــــد لانبه شعراء (سنه) و(اورمان) و(السليمانية) شأناً ، وقد كتبت في نحـــو ســـنة ١٧٥٠ ، جلهــــا •

زين العابدين البلنكاني :

الفجر الوليد في الموسم الضاحك

- اني لاجيل النظر على قطرات الندى وهي لالىء !
- تتدلى من الغصن والورق غضة ندية
- والبراعم الوردية التي تفصح عن جراحات سنة جديدة ، دانية
- والدموع تنثال من الضباب - وانها لحسرة
- والبراعم والازاهير تضحك من ذلكم البلبل الفريد
- انها ، وان عدمت الاجنحة ، لكنها تعيش في حرم الورد
- ومن الخارج ، يتراءى النرجس وكانه خدش في الارض ، مـــن اثر الشتاء الذي لم ينصرف ، حتى الان ، موليا !

وللشيخ احمد تختي ، في نحو سنة ١٧٧٠ الميلادية •
- تعاله معي واشهد ، الان ، خزانة الغابة !
- اذ الفضه استحالت عسجدا ، لكن الاشجار لازلت تنحني باسى !

(*) يلحظ ان الكردي الاصيل، على غرار اخيه في الدين والوطـــــن العربي الاصيل، يعاف الا يثار ممن يعتدي عليه ويكره، فان سيم خســـفا تجده واجدا حزينا حتى يثار لنفسه، وان طواه الموت فلا معدى ان يثـــأر له (وليه) ممن في الباقين الغابرين اذ (قد ذل من ليس له ناصر) • (المترجم)

ـ ان الخزانة هذه، وانا ، الضعيفان كئيبان !
ـ ذلك ان دورها قد حان ، اما انا فالحزن رفيقي في الخريف !
الخريف يولي ..
ـ ولن تترك عواصف الشتاء الغابة في امن ودعة !
ـ ان الريح ، في الخريف لتغني (بصوت حزن وعبرة مستهلة)
وتندب موت الغابة .
والاشجار الذهب تذرف دموعا من ورق عسجد في نفس الجبال
القسر .
ـ ومنها ما هو طارح لباسه الملطخ بالدم جميعا ..وسرعان ..
ما سيقف كل منها عريان ، باسلا صلبا، كشان (بيستون) «٥٢»
ـ جللت اغصانها ، لبل امد ليس ببعيد، صبغات عدتها مئة الف
ضعف، وعلى ذلك فان دم الثار، الفائر، وهو آن «٥٣» ، لغدا
من رعب ، باردا .
ـ ثم انهم امسكوا بهم، وهم على غير استعداد جميعا ، فتصاعدت
ريح هابة .
وقذفت بجبالها الورق بعيدا ، وبذلك اصبح مجدها راسا
على عقب !
ومزقت اوزالها شطرا شطرا ، خالعة اورديتها السندس الخضر .
وحيث قامت معابد الخريف الزاهية، ما بقي الا الاسى ورفقة من
النادبين الحزان ، عليهم ثياب مهلهلة رثة . و(رفيق المرء من
واسى رفيقه) . «٥٤»

---

٥٢ ـ اسم صخرة شهيرة في كردستان الجنوبية . (المؤلف)
قلنا : ورد الاسم هذا عند بلدانيي العرب من امثال ابن حوقل والاصطخري بصيغة (بهستون) ،وهو صخرة كبيرة في سلسلة جبال زنغيرس في ايران تمثل (دارا) ملك الفرس يقتل رئيس عشيرة آساغارتيان التي كانت قاطنة في سهل اشوريا، حول مدينة اربيل في عهد الاشوريين، واسمه (جتران تاخما) مع ٨ من زعماء العشيرة الاخرين. واصل الاسم من (باغستانا) اي : مكان الالهة. وثمة كتابات عليه اصطنعت في حل الخط المسماري، موجودة على علو ٣٠٠ قدم من مستوى الينبوع الذي يتدفق من صخر بهستون. انها على ثلاثة انواع: (البابلية) و(الفارسية) وال(سوسيانية) وقد ساعدت على ذلك . (المترجم)
٥٣ ـ آن اي حار ، وهي من المفردات القرآنية الشريفة . (المترجم)
٥٤ ـ اضافة منا يقتضيها السياق اردنا بها جلاء المعنى والاشراق .
ويلحظ اننا ترجمنا هذه (القصيدة) وسابقتها ولاحقتها عن (الاصل الانكليزي) الوارد في (الكتاب)، ولم نستطع العثور على (الاصل

الغنية مكريه القديمة «٥٥»

ـ ثمة خلخال ذو طيات ثلاث ، يجلجل عند هدب ثوبك ..
ـ آه (امينه) ، اذن ميل الى هذا السبيل !
انك لترقصين قدما ، وتسمع التصدية ياغزالة ، هنا وها هنـا.
ـ هزي خلخالك ، ياحبيبة ، وانت لاعبة
ـ لكن الحب سيشغلك ، وانت لاتزالين راقصة وما ان يمســك
بك الا يسمر قدميك الجوالتين اللتين تديران بك ، لتقفي فجأة
على لمحة ناريــة .
ـ آه يا (امينة) ستنطلق (الاغنية)، من فمك، وهو شبه البرغمة .
ـ آه ، يا (امينة) ، اذن ، ميل الى هذا السبيل لكن الحب ســـينال
ما قدر له، قبل ان يمضي امد طويل جدا والحب، وهو اشــبه
بالساحرة الملقة العجول، سيلقى يومه الموعود !

الكردى) الذى ترجمت منه هاته القصائد الى الانكليزية، ولو وفقنا الى ذلك لجاءت (ترجمتنا) اقرب اليه، بطبيعة الحال. ولاتنس، ايها القارىء الكريم ،ان قارض الشعر المغنى ـ المطبوع ـ يقرع روحه على دفقات فى شــعره ويتناول (المعنى) فيذيبه فى قالب من كلم لغته الاصلية ليخرج مجلــو الصفحة نقي الاديم ، وانه ليخطب ابكار المعانى فيزفها بنفائس المبانــى. والكلمات الانكليزية المترجمة ،فى هذه (القصائد) ليست بقالبها الاصلى، والعبرة فى الترجمة اولا وآخرا، بالوضوح لا بالاعجام، وبحسن التعبير لا بادغامه، وهو ما نسعى اليه دوما و(لايكلف الله نفسا الا وسعها). (المترجم)

٥٥ ـ ل (مؤلف الكتاب) تقرير عن لواء السليمانية ـ وقد كـــان حاكما سياسيا عليه ، ابان عهد الانتداب البريطانى الزائل ، عــــلى عراقنا الغالي الحبيب ـ طبع فى كلكته من اعمال الهند ـ وتناول فيـــه (ص ٨٥) اصل اللغة الكردية والمكرية ،وهو، فى هذا الموضوع باجماع الاراء ، ذو حول وطول ،فلا معدل لنا عن الارتكان الى رأيه الذى نسج على منواله كثيرون، واليك خلاصته :

١ ـ ان اللغة الكردية واللغة الفارسية تفرعتا من اصل واحد وكانت لكل منهما لهجــات .

٢ ـ اللهجات الكردية متباعدة عن بعضها بعضا كثيرا .

٣ ـ ان روايات وتقاليد وعادات واساطير الـ (مكري) جديرة بـــأن تتخذ منطلقا للوقوف على حقيقة العنصر الكردى واللغة الكردية .

٤ ـ كان (زرادشت) يتكلم بلهجة قريبة جدا من (المكرية) الحالية على ما يظهر من كتابه (زندافستا) ولعلها المكرية نفسها. (المترجم)

ايست هذه ، على ما تراءى ، باشتات وتوافه خسيسة، لان مترجمها ضعيف في الانكليزية ! ذلك ان الاصول حلوة عذبة، توغل الى الحد الكافي في سبيل اظهار ان هذه (الامة) لاتعوزها ، على ما يتصور ، بعامة، الشعر طراء او اية فكرة تعدو الحرب الضارية اللاحبه والقتل [56]. ومع ذلك لو التزمنا جانب العدل لوجب وضع (كردستان) ،لقصد المقارنة ،جنبا الى جنب، مع اوربة، على ما كانت عليه ٦٠٠ سنة خلون ، وعندها لايحتاج الا الى قليل من مقارنة ليظهر شمولا، ان هذا (الشعب) ذا العقيدة المحاربة، وبقدر تعلق الامر بانعدام الشفقة والحال الفوضى والوحشية ، يبرز بشكل يدعو الى الرضى المقدر غالبا ،بازاء الافعال السود التي اركبت في العصور الوسطى، في ديار زعم ان دين الخضوع هو المرشد الدافع في الحياة قدماء ولا يظهر الكردى ،في يوم الناس هذا، مستهجنا، ان قيس بالاوربي، واخضع الى معيار (الادراك) و(المثل الاعلى) ، اذ لايحكم على انسان الا بقدر تمسكه بهما، شريطة الا تغيب عن الفكر الطبيعة الرفيعة لكل منهما، او على ما هي الحال غالبا، غيابهما، تقل الجريمة المستهجنة، بين كل ١٠٠٠ كردى ،ان اختيروا لاعلى التعين، وذلك بالنسبة الى (العدد) نفسه من الاوربيين الذين يجرى اختيارهم على الاسلوب

---

٥٦ ـ حذفت، ها هنا، عبارة تصف الشعب الكردى، على ما كان عليه، وتمثل وجهة نظر (المؤلف)، ولم نر فائدة من اثباتها لان حال الشعب الكردى العريق قد تبدلت، الان، كثيرا، كما ان الكردى يصدق عليه قول (الشاعر) عموما :

سليم دواعي الصدر لاباسطا اذى
ولا مانعا خيرا ولا ناطقا هجرا !

وكم من سيد صمد كردى يسعى اليه الناس في امورهم فيلقون منه الوجه البسط والكلم الطيب وتاثيث النفس ،فيحسبون بانه احب اليهم ،حتى ممن يعطيهم العطاء ،وغالبا ما يشفع مثل هذا ،اعني :احسن القول ، باطيب الفعال، وقد شهد لهم (المؤلف) نفسه في ثنايا (كتابه) وهي (شهادة عدل ادحضت كل باطل)• ومن شاء ان يقف على (العبارة المحذوفة) فليرجع الى (الاصل) ص ٣٩٢ ط/٢ (المترجم)

«هـ.ا. • «٥٧»

ومع ذلك فان خلق الاكراد يسبب لكاتب المستقبل « بالتجربة» عنتا كافيا ،ذلك ان الخلق القبلي يختلف كثيرا عن غيره ،الى درجة يصير اعطاء خلاصة عنه غير وافية كافيه تماما ،وذلك بالنسبة الى الأمة كلها .

ففي الشمال، صيرت الظروف الكردي على هو عليه الآن، قاطع طريق، والى ابعد مدى، فبين قبائل (حسنانلو) و(سيكانلو) و(حيدرانلو) و(ادامانلو) و(زركانلو)، «٥٨»، التي تقطن جبال ارمينية، والأرضين الواقعة

---

٥٧ ـ هنا نجد (المولف) يقف موقف المدافع الحمس عن الشعب الكردي الاصيل العريق، بازاء من كتبوا عنه او تحدثوا فيه، فكانوا مجاوزين القصد والعدل ،وعليه البا. لقد تجلت مزايا هذا (الشعب)، والايام تحت خطاها عن سبيل مواقفه وفعاله لذلك جاءت عبارة (المؤلف) هنه دقة في التعبير، وعدلا في التصوير، وصدقا في الحديث (ولاينبئك مثل خبير) ، ولعل الذين وصفوا هذا الشعب على غير حقيقته كانوا يجهلونه او يتجاهلونه، وكثير منهم غدا صديقا له بعد ان كان متجنيا عليه وصدق الشاعر : "

وكم من عدو صار بعد عداوة
صديقا مجلا في المجالس معظما
ولا غرو فالعنقود من عود كرمة
يرى عنبا من بعد ما كان حصرما !

٥٨ ـ حسنانلو : كان موطنها القديم قرب مدينة (بدليس) ، وبقيت عشيرة مستقلة رحالة طوال حياتها، وفي عهد السلطان سليم الاول العثماني (١٥١٤ م) اجليت الى سكن جديد لها، على الحدود الروسية والايرانية من الانبراطورية العثمانية البائدة، لكي تقوم بحراستها بازاء الغارات الخارجية. (سيبكانلو) و(حيدرانلو) هما فرعا القبيلة المذكورة الرئيسان ، و(آدامانلو) فرع اخر، نقله الشاه عباس الصفوي الى اقليم خراسان واسكنه فيه .

لقد اشتركت (القبيلة) وفروعها في الحرب التركية الروسية (١٢٤٥ ـ ١٢٧١ ـ ١٢٩٤ هـ = ١٨٢٩ ـ ١٨٥٤ـ ١٨٧٧ م)، لكنها انقلبت على الاتراك وعضدت الروس .

(راجع خلاصة تاريخ الكرد وكردستان للمرحوم محمد أمين زكي ، ترجمه : محمد علي عوني ص ٤١٧ وما بعدها) . (المترجم)

على الحدّ التركي ، ابتعثت الطيبة الناجمة من حياة السارق المرتجة تماما، ويغدو المرء مرتابا، محاربا، نزقا في القبائل القاطنة على الحدود، وهي قبائل احادها مذبذبون ،لا الى هؤلاء ولا الى اولئك ،وذلك ناجم من طبيعـــة «سوقيتها» التي تنصبّ على الافلات من جام غضب البلدان التي تجتـــاح حدودها، هذا وان جبالها لاتجود على الزراعة كثيرا، وليس ثمة مـــدن تجارية ايضا، لذا عاد ابناؤها الى ظهر الجواد وحمل البندقية، وعلى مـــا هو طبيعي، ان حياة كهذه تتطلب خطة، وخطة مضادة، وسرعان ما تغدو هذه عادة كائدة، وليس من شك في شجاعتهم الا على قلة ،وان كانـــت هذه، عندي، من قبل شجاعة النزق والطيش، لا الشجاعة الهادئة الرخيـة بازاء مدلهمّات الامور المطردة، ومهما يكن من أمر، ان هذا الملمح مـــن ملامح كثير من سكان الجبال والعصابات المقاتلة •

ان روح الاقطاع ، في هذا الشعب، لقوية، انه شـــديد التمسك بالجبال ، والولاء لعشيرته، والفخر بانه كردي، وهو يشمخ بذلك زهـوا • والشمالي يبادر الى سلاحه بمجرد صدور كلمة من رئيسه، ولايطلـــب سماع السبب ابدا :

[لايسألون اخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا] «٥٩»

ويلحظ (فريزر : Fraser) وهو من رحّالة الشطر المكســر من القرن التاسع عشر : ان الشبه بين هؤلاء الاكراد، على ما هم عليــه، وبين عشائر اهل العوالي The Highland (اى الاسكتلنديين) ، على ما كانوا عليه قبل اقرن غير عديدة ، لقوي باهر •

٥٩ اضافة منا اقتضاها السياق واردنا بها اشراق المعنى وجمـــال المبنى • (المترجم)

٦٠ ــ اقرن جمع القلة لقرن،وقرون جميع كثرة ،وقد اراد (المؤلـف) القلة لا الكثرة • (المترجم)

ان الكردي المحارب ، على غرار اسكتلندي الأعالي **Highlander** القديم ، ليتطلع حوله ، بحثا عن العدو، دوما ،وهو على حال دفـــــاع دأبا ، هنا وان الجبلة التي ابتنتها هاته الظروف، مشفوعة بطبيعة الديـار الموحشه المرعبة التي يعيش فيها الكردي الشمالي ، صاغت ذلكم الطبع ، الذي هو مزيج من الارتياب والشجاعة واليقظة العميقة والقدرة عـــــلى الملاحظة ، المتفتحة كثيرا •

ولو تأملنا في الخصائص الاجرامية لشعب ما ، او طبقة ما، فلا معدل لنا ان نأخذ بعين الاعتبار الظروف التي تكتنفه ،وتكتنفها ،شأنها كشأن قدر التعليم في هذا الذي لنا ان نطلق عليه : «الاعتراف بوجود الاخرين» •

ان الجود بالنفس ، فيما خلا تضحية الأم بنفسها في سبيل وليدها ، وهي غريزية ،لايعدو ان يكون صفة اصطناعية محضة ،وهي تستقطر بصبر شديد، وتتعدم بيسر يسير، من قبل من لايحطون نصب اعينهم مثلا اعـــلى او مبـــدأ •

..........«[٦١]

ان لدى (العمراني) أسنى الدوافع الى هذه (الصفة) التي لامعدى عن ان تكون اساس الحضارة الحقة ،ومع ذلك، فانه يجنح، بشكل خارق ، الى نسيانها ،بمرور الزمان •

---

٦١ ـ حذف رأي واهم قبيح للمؤلف عن (الاسلام) لانجاريه فيـه ولانرى فائدة من اثباته ، فالاسلام دين المثل العالية حقا ،وقد شهد بذلـك المنصفون من بني جلدة (المؤلف) ، من امثال (توماس كارلايل) الذي نوح بالحق حين اهتدى اليه، وبالصواب حين وقع عليه، فدبج ما دبج عــــن الرسول (صلعم) في كتابه (الابطال) •

ومن شاء ان يرجع الى وهم (المؤلف) وضلته فليرجــــع الـــى ص ٣٩٤/ط٢ من (كتابه) •(المترجم)

٦٢ ـ حذفت فقرة تتصل باسلامية الكرد لم نر اثباتها للســـــبب المذكور في الهامش (٦١) ومن اراد الوقوف عليها فليرجع الى الصحيفــــة المذكـــورة • (المترجم)

• والكردي مكره على ان يتعلم عن طريق التجارب القاسية : كيف يعيش حياته ، ان اراد البقاء ، وهذه ،على ما هو واقع بين اغلب المجتمعات الحاقدة، لاتعدو انانية محضة، ولما كان الانسان لايفكر الا بنفسه ،فليس ثمة ظرف يولد هذه الخصائص، التي تجنح الى اصطناعها في تمنيه • ينضاف الى ذلك كله : قد يقال، وان كان في ذلك تسامح ما، ان تفسخ الدول الاسلامية وتأخر حالها يرد الى حذف هذا الذي ذكرنا من (الشرعة الدينية)، ذلك ان كل تحسين عام مردود، من حيث الاساس، الى الاعتراف بوجود الاخرين •

لذلك، ان وجدنا في الطبع الكردي صفة ما تقع ضمن الصفات الحميدة ،على وفق تصنيفنا الاول، فلا معدى عن ان ترد هذه، من حيث الاساس، الى طبيعة تملك ميل كهذا، وانها لعلى قدرة للانبعاث على هذه المسالك، حتى تبلغ مصلحة المجتمع القصوى •

وانا لواجدون هذه حقا • اخلاص مستدام ،واعتراف بالوعد الذي يعطى ، عطف سخي على عشيرة المرء الاقربين «٦٣»، ومعاملة تفيض بالرجولة (بين الاكراد الجنوبيين والوسطيين) تسبغ على النسوة ،وباكثر مما يشاهد بين اية طائفة من المسلمين اخرى، حس ادبي مرهف وكلف بالشعر، ورغبة عتيدة في تضحية النفس في سبيل القبيلة وفخر لطيف بالديار والارس• ما احسن المسحة التي يضفيها الكردي على نفسه، حين يهتف بلهجته : «از كرمانجم» او «من كردم» اي : (انا كردي) •

فلو استطاع المرء ،اذن ،ان يطمئن ،ولو بعسر، الى هذا الوصف المقرظ الذي يورده رحالة فرنسي بهذه العبارة : «على وجه العموم ان

---

٦٣ ـ قد لايقع مثل هذا للقاريء في اوربه الا باعتداده امرا محتوم الوقوع في الناس طرا ،وكحب الام، احتمالا• لكن هذا ليس بالامر المالوف في الحق حيث اقرب الاقرباء يعني الد الاعداء ، ايضا • (المؤلف)

الاكراد ذوو جمال رجولة ،اقوياء البنية، الباء ذوو فطنة، من نمــــط موفق، ولو وجهت حضارتهم الوجهة السليمة لكان لهم الفوق عــــلى جيرانهم : الاتراك والفرس ، ولكن المرء لايزال يرى فيهم صالحا يفـوق صالح كثير من الاجناس الاخرى التى تجلى، فى ضوء «الحضــــارة» ، نفســـها » .

ان مزاجه لراغب مرعب، يستثار فى طرفة عين، وهذه عقبــــى الحياة التي يحيونها، الحياة العنيفة، والقلقة ايضا، وتمها جميعا، بيــــن الجنوبين، ثمة حس فكاهي مرهف. انهم على استعداد، دوما، لقص القصص الموجهة ضدهم ،وهي تلكم الخصيصة نفسها .

كان ثمة (...) من الـ(هركي) في الـ(اورامار) في الـ(حكاري) لسعته ذبابة، فما كان منه الا ان يعمد الى خدش موضع اللسع ،وبعد خمس دقائق دأب ذلك اللسع على اغاظته فاخذ يخدش (الموضع) كرة اخـرى. لكن التغيظ بدأ ثانية ،فما كان منه الا ان يسحب (الفرد) من حزامه، وهو يلعن الذباب ،ويطلق منه رصاصة، اطارت اصبعه .

وكان كرديان يتباحثان فى موقع النجمة المســـــماة (سيريوس : Sirius) «[٦٤]» ـ وهى التى تومىء الى نهاية أحر طقس ـ والتـــى يومل ظهورها فى القبة الزرقاء . ومن غير افحاش فى القول ، اختلفــــا حول (الموقع)، فوقفنا على قارعة الطريق وانقض كل منهما على الاخر، وكان أن بقي احدهما ، هناك ، ميتا .

---

٦٤ ـ راجع : Henry Binder : Au Kurdistan, P. 110.
(المؤلف)

قلنا : وردت العبارة ، فى (اصل الكتاب) بالفرنسية فترجمناهـــا عنها . (المترجم)

٦٤ ـ الشعرى ، الوارد ذكرها فى (القرآن الكريم) واحد نجـــوم (كوكبة الكلب الاكبر) ، المع نجوم السماء . (المترجم)

هذه هي ، على افضل ايجاز مستطاع ،طبيعة الاكراد ،وفي الجنوب يصدق الوصف ، عليهم فيما خلا غياب ذلكم التوحش المزمجر الغاضب ، سمة الشماليين ، لقد روض هذا فغدا رصانة وثباتا ، وروح تصميم في اي عمل يضطلع به كردي ما •

ومع ذلك ،هناك ،بطبيعة الحال، جهل الفرد القبائلي الجبلي، وهو جهل راعب مرعب، كم من هوءلاء يعرف حتى (سنه)؟ او لديه اي فكر عما هو عن كردستان خارجا ؟ انهم ليوفضون «[65]» الى التعلم، على الوجه الوافي الكافي، ان مكنوا من فرصة، وتعلم الكردي توق جارف الى المعرفة ، كشأن اندفاعه الى النهب والسلب (كذا : المترجم) •

ان القدرة اللغوية لرائعة، وعلى ما ذكر آنفا، وان الغريزة الادبية لكامنه •

وبين اهل الجنوب، وكثير من سكانه غدوا متوطنين، نشأ ثمة نمط حسن جدا، جنهم عني، من قبائل ال (كلهور) وال (باجيلان) وال (جاف)، فكانت لهم الفرصة لاكتشاف القدرة الطبيعية على العمل الآلي ال (ميكانيكي) في «امتياز نفط» بدأ بالاستحاثه «[66]» قرب (قصر شيرين)•

ها هنا استخدم هوءلاء الرجال على ارشاء الآبار ،وفي مشاغل الآلة، فاظهروا اقتدارا ،وما ان نقلت (الشركة) عملها الى حقل النفط الحالي ، في الجنوب الغربي من فارس، الا اتخذ عدد من اكراد (قصر شيرين) السبيل اليه، وهم لايزالون من امهر طوائف العمال واكثرهم بعثا على الطمأنينة والرضى •ومنهم من بلغ، في ميدان المهارة والعمل التقني الآلي، شأوا عظيماء ان هذا النمط من العمال لهادىء جاد في العمل دأباء وهو ذو حماس

---

٦٥ ـ اي يسرعون ، وهي من المفردات القرآنية الشريفة • (المترجم)

٦٦ ـ استحاث الارض طلب ما في بطنها من معادن ونفط ،وقد شاعت كلمة (التنقيب) ،اليوم ، وذاعت بدلا منها • (المترجم)

كبير الى الاشياء المتصلة بالهندسة جميعا •

النسوة الكرديات

ان الاكراد ،من الشمال الى الجنوب، لايتزوجون الا بواحدة ،ولا تزيد الاسرة ،فيهم، على ثلاثة افراد او اربعة ،الا نادرا، وللزوج حريـة ملحوظة ، والزوجات الكرديات يكوّن طبقة صالحة لايوءثر فيها موءثـر ، وهن باسلات يستأهلن، بسبب من صفاتهن ،كربات بيوت، ثناء كبيـرا، كشأن الجمال الذى يتسمن به ايضا •وكثير منهن حسناوات، وفارسـات يتصفن بالشجاعة، وفى مقدورهن استخدام البندقية، وهن، بين القبائـل التى هى اكثـر ميـلا الى الاحتراب ، يشـاركن فى الوغى •

يروى (ميلنجن : Millingen)، وهو من جوّل بين الاكراد، قصة عجيبة عن كيفية قيام النسوة الكرديات بتأليف عصابات تقـوم باستدراج المسافر الناعس وسرقتـه «٦٧» •

وهن ،فى البيت، يعمدن الى العناية بكل شيء ،وعلى حين يكرهـن، بين القبائل المتوطنة بخاصة، على القيام بعمل يدوي، شاق الى ابعد مـدى، كالاتيان بالماء محمولا، فانهن يحافظن على روح المرح والفرح ابان ذلـك، وهن يبقين الاسرة والقطعان على حال انتظام ممتازة ، ويربـين فـي الصعاب التى تنوء تحت وقعها الرواسي حادثا هينا فى حياة تتراءى لهـن مملوءة بملذات جمة •

وفى القرى حدث، غير مرة ،ان قامت (المرة) «٦٨»، ربة البيت، فى

---

٦٧ ـ راجع :
Millingen : Wild Life Amoung the Koords, p. 244.
(الموءلف)

٦٨ ـ استعملنا هذه الكلمة العامية العراقية لنبين انها (المـرأة) سهلت همزتها (انظر مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ٤/١٣٦)، شأنها كشأن (الست) التى هى (السيدة)، على حذف بعض حروف الكلمة ،وقـد استعملتها العرب قديما (انظر رسالة الغفران /١٦١) • (المترجم)

غياب بعلها باستضافة (كاتب هذه السطور)، غير مبدية ذلكم الاستحياء المزيف الذي يختص به الترك والفرس، وشاركته ،وهي جذلى، ما في البيت من طعام وشراب، وعندما كان يقدم الرجل فانها كانت تغفل امره، باعتدادها منصرفة الى العناية بالضيف، حتى يسلم جواده، وعندما يأتي الزوج وينضم اليه• وارجو الا يذهب الى الفكر الا الى انني اتكلم عن تصرفهن بازاء من يعتد، مثلي، شخصا متواضعا، اما بازاء الاوربين، فثمة تصرف مختلف ، على ما اعلم • •[69]،

ونتيجة لهذا الطبع الصريح والحياة الطليقة، لامعدى عن التنوية بأن (لغة الكرمانج) لاتحفل بالكلمات الدالة على «بغي» ،الا التي هي تركية وفارسية الاصل، وهي كلمات لاتفقه الا في الحواضر• ينظر الى البغاء بين الاكراد الريفيين باعتداده تحللا، عجيبا غير طبيعي ،من العقل والاعراف ، وجزاوه الموت !

وكثير وكثير من الزيجات هي نتيجة التجاذب المتبادل ـ وكمثال على ذلك ما رويته في (الفصل) المتعلق بثوائي في (هەلەبجە : حلبجه) • ان التعاطف الاصيل بين الزوج وزوجه (وهو نادر بين الامم الاسلامية) •[70]، ليس بالامر المجهول، باى وجه من الوجوه، بين القبائل الأقل

---

٦٩ ـ وعلى اية حال، ليس هذا بالامر المطرد • راجع :

Layard : Nineveh, Vol. I, p. 153. (المولف)

قلنا : وهذه هي حال البدويات ، بعامة وبعض الريفيات العربيات ، فهن حواسر برزات مضيفات، وهن يكرمن مورد الضيف، وان قصرت الواحدة منهن في ذلك احتقرها بعلها• ولاتنس ان العراقي الاصيل، سواء اكان كرديا ام كان عربيا ،هو من لسان حاله :

واني لعبد الضيف مادام نازلا وما في الا تلك من شيمة (العبد)

(المترجم)

٧٠ ـ هذا اطلاق لاتقر (المولف) عليه، ويتنافى مع ما امر (الله) به عباده المسلمين من ذيوع المودة والرحمة بين الزوج وزوجه وما القرب والبعد الا ماكان بين القلوب • قال تعالى :(وقد خلق لكم من انفسكم

توحشا ،وليس من ملمح يتسم به الشعب ما هو الطف من الاتصال المتفتح وحسن التفاهم بين الجنسين. الحظ مثل (السيدة عادلة)» «[71]» وارملة (غلام شاه ، خان سنه)» ونسوة (اسرة الحكاري) العريقة ويطلق على الواحدة منهن اسم (خان) ـ فان سطوتهن تعدل، ان لم تكن تكبر ، سطوة كثير من رجال أسرهن، وكثيرات ممن هن على هذه الشاكلة موجودات في كردستان الوسطى والجنوب طر٣. ان هذه الحال لايمكن الا ان تكون نتيجة تفاهم قائم بين الجنسين حصراء وانها لتقرب من افكارنا الانكليزية، باكثر مما يحصل بين ظهراني اي شعب شرقي اخر. هذا وانها في الوقت نفسه، لتظهر : ما اقل تأثير الاسلام «[72]» فيما لامعدي عن ان تكون عادة الازمان القديمة .

ولو حكم على الاكراد ،باعتدادهم نماذج الشكل البشرى، لما كان هنالك، على وجه الاحتمال من معيار اسمى من معيارهم، وابعد . فالشمالي فارع القامة ،نحيف، (ولا يعرف الانحناء بين الاكراد اطلاقا)، هذا وان الانف لطويل دقيق ،وقد يكون معقوفا قليلا، اما الفم فصغير، والوجه

فزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ، وهل التعاطف بين الزوج وزوجه في بني جلدة (المؤلف) موجود لايمسه لغوب، فتور واعياء، وخيانة فافتراق اطلاقا، يا ترى ؟! (المترجم)

٧١ ـ وسيدات (كرند)، والواحدة منهاتحتفظ ببلاط صغير.(المؤلف)

قلنا : المرأة الكردية ذات شخصية قوية ،وان كانت تتمتع بصيت بعيد وذكاء خارق وجمال رائع اضيف في الغالب اسمها الى اسم ابنها ومن هذا القبيل (بابير شاشان) اى شاشان ام بابير ، فيشتهر (الابن) عن طريق اشتهار (امه). ومن النسوة الكرديات من اصبحن رئيسات قبائل، ومن الاسماء اللامعة في هذا الصدد (السيدة هارتمان) رئيسه الحكاري . (المترجم)

٧٢ ـ هذا اطلاق اخر لانقر (المؤلف) عليه، فالاسلام رفع من شأن المرأة في المجتمع وبوأها مقاما عليا ،وفي (تاريخه) نماذج سيدات عربيات، على غرار اخواتهن الكرديات المذكورات ، سواء بسواء ،ولعل جهل (المؤلف) او تجاهله ناجم عن عدم وقوفه على هذا التاريخ شمولا. (المترجم)

بيضوى وطويل. والرجال تنمي الشارب الطويل، وتحلق اللحية تباتا .
والعيون نفاذة ضارية . وبينهم كثير من ذوي الشعر الاصفر والعيون الزرق
البراقة. ولو وضع الطفل الكردى، من هذا النمط، بين جمع من
الاطفال الانكليز، لما تميز من بينهم، ذلك ان جلده ابيض. وفي الجنوب
يكون الوجه، في الاحيان، اوسع قليلا، والاطار اثقل. ولو اخذ اربعون
رجلا من ابناء القبائل الجنوبية، لا على التعيين اعتباطا ، لوجد ان تسعة
منهم يقل طولهم عن تسع اقدام، وذلك على الرغم من ان بين بعض
القبائل يكون معدل الطول : ٥ اقدام و٩ انجات. ان الخطو ، عندهم،
لطويل بطيء، وتحمّل المشاق عظيم. وانهم ليتصبون، على مايستطيعه اهل
الجبال حصراء استقامة وفخرا، ويظهرون على ما هم عليه حقا، باعتدادهم
(مبديي) اليوم، ويتأهلون، لو اتحدوا حسب، ان يغدوا ،كرة اخرى ،
امة عسكرية عظيمة، لها من طبعها الصلب الرصين، مايمكّنها من الارساس،
الادون شأنا، التي تعيش بين ظهرانيهم اعتيادا. لقد رأيت ،بينهم ،كثيرا
من الرجال الذين يستطيع احدهم الظهور بمظهر ال (نورسمن :
Norseman[٧٣]) : لهشعر اصفر يتطاير، وشاربان طويلان متهدلان، وعينان
زرقاوان، وجلد لطيف ـ كل اولئك من البراهين المقنعة ،وان اصطنعت
(الفراسة) معيارا، (وان لم تكن لغتهم برهانا اخر)، على ان الـ (انكلو ـ
سكسون) والاكراد من ارومة واحدة .

اللباس الكردى

وانهم ،بقدر تعلق الامر باللباس ،لعلى حظ من عجب وغرابة، ولا
افضل ،بالنسبة الي، من ان اروي عن (الرحالة) طرازه عند الاكراد ،
قبل مئة وسبعين سنة، على هذا الوجه : «في الامام، على صهوة
حصان صغير مجهد ضامر، كان يركب شخص طويل نحيل يرتدى جميع
الملابس المزخرفة التي يقرّها الذوق الكردي. ثمة عمامة وسيعة عجيبة،

٧٣ ـ من اهل النرويج والسويد ، في شمال اوربة . (المترجم)

ابعادها تحتوي الفرس والفارس، تكفن الرأس، والظاهر أن هناك معجزة ما تنقذها من ان تحتل ما بين المنكين، ومرد ذلك الى ضغط عظيم، ومن وسط هذا الكدس، المتكدس من الخرق، المتعددة الالوان، ارتفع غطاء رأس (كاب Cap)، مخروطي الشكل من لباد ابيض. ويتراءى ان هذا «الحمل» كان يجعل مشية ذلكم الجسم الضامر، في الاسفل، غير ثابت الخطو مترجرجا، اذ ما كان يطيق دعمه الا عسرا. وكانت تنتفخ من جانبي الحصان (سراويل : شروال) وسيعة جدا، وهي بلون النبيذ الاحمر. والسراويلات، هذه، تمتد من جهة (المضيق) الى الجهة الاخرى. وكانت تظهر على سترته، والعباءة التي يرتديها، وهما مزركشتان، كل ظلال اللونين الاحمر والاصفر، كما كانت في حزامه اسلحة من حجم خارق وصنعه عجيبة غريبة»[٧٤].

هذا وان الذي يلي السطر لذو علاقة بلباس أكراد الـ (مكسري) الشماليين القاطنين جنوبي ارمية :

« انهم يطرحون على رؤوسهم شالا كبيرا من حرير مخطط الوانه : الاحمر والابيض والازرق، وله نهايات ذوات حواف، وهو يلف على اروع وجه حول غطاء الرأس الـ (كاب : Cap) الاحمر. وترتبط طياته الوفيرة بنوع من مشد، تتدلى الحواشي على وجه بدائي عجيب غريب. ان ملامحهم العربية Saracenic وعيونهم السود اللامعة لتشع، ببريق خاص، من تحت غطاء الرأس، ان اردية جسومهم مؤلفة من كساء وقباء وفرين، فيهما اردان تركية وسيعة، ترتدي عليهما سترة، هي في الغالب مزركشة، ذات فرو، وذلك على وفق مرتبة لابسها.

---

٧٤ -

Layard : Nineveh, Vol. I, pp. 260 — 7 (description of Hakkari) 1848.

(المؤلف)

وتحتوى الجزء الاسفل من جسومهم سراويلات فضفاضة وسعات مفرسخة، لاتختلف عن سراويلات (المماليك)، وهم ،عند الركوب ،يجعلون فيهـــا ارديتهم المتطايرة، وبدلا عن الشال، يجعلون ،حول خصرهم، نطاقا مثبتا بمشدات ضخمة من فضة، وقد تزّين هذه، على وفق ذوق صاحبهـــا ، بالاحجار الكريمة، ولايوضع فيه الخنجر الكردى حسب، بل يوضع فيه، (فردان) عظيمان ذوا عقد من شبه، او فضة، ومن هذا الحزام تتدلى، ايضا، قرون البارود وعلب الاطلاقات وصناديقها الخ «[٧٥]» ،وعلى ذلـــك كلـه يطرحون عباءة من وبر، بيضاء اللوان او سوداء، او مخططة بالالـــون ، الابيض والبني والاسود، شدّت على الصدر وهى تطفو بشكل موسيق مـــن وراء . »[٧٦]«

ولم يتبدل هذا اللباس ابدا، فيما خلا استبدال الـ (رشـــاوات Pistols) ، الافـــراد الكبيرة القديمة، (بالمسدسات : (Revolvers) ، كما تتدلى من المناكب بندقية (قرهبينه Carbine)الفارس وتلـــف اربعة صفوف، وفي الاحيان خمسة، من انطقة الخراطيش، كل صـــف منهـــا يعلـــو الآخـــر .

ويدلي : (ريج : Rich) بالوصف التالي عـــن اهـــــل السليمانية الجنوبيـــن والـ (جـــاف) :

« جلبابه موشّى بالذهب الوفير، ومادته من الهند، وكان لديه شـال

---

٧٥ ـ يقول مينورسكي : « ... لذلك نرى الشبان يطلقون فـــي سبيل المزاح، في اليوم الواحد، مئتي خرطوشة ... وانهم يصيبـــون الهدف فيكل الاحوال، وقد رأيت، شخصيا، سمكو المشهور البس خرطوشة فارغة في غصن متحرك من شجرة وقد اصابها بالضبط في منتصفها على بعد ١٥ خطوة، راجع (الاكراد) تاليف مينورسكي ترجمة الدكتـــور معروف خزنه دار ص ٦٨ . (المترجم)

٧٦ ـ راجع : Frazer : Travels in Koordistan, p. 1835.
(المؤلف)

كشميرى فاخر، مزين بحافات من ذهب، وهو يضعه فوق رأسه، على حال فطرية سادرة. اما لباسه الفوقاني فمعطف قبوط «[٧٧]» من قماش بندقي ،قرمزى اللون ، له عقد، او سرّات وفيرة من ذهب .

« ويرتدى رجال الـ (جاف) لباسا ممنطقا عند اوساطهم و«لبسان» خفيفة، وحذاء حيك من خيوط صوف ، وهذا يغطي الاقدام على وجه مريح ، وغطاء رأس من لباد ، مخروطي الشكل . «[٧٨]»

ويقول (بندر : Binder) ، وهو رحالة محدث، في صفة لباس الحكاريين الشماليين :

« غطاء الرأس، لديهم، قبعة من فرو أبيض، مخروطية الشكل، تلف حولها عمامة ضخمة، وال (شروال) فضفاض مفرسخ منسوج من صوف الماعز، احمر اللون ذو زينة. هذا وانهم ليرتدون (صدرية) لاتكاد تصل الوركين، وفوقها «في الاعم» يلبسون معطفا لايزيد طوله على طول (الصدرية)، نسج من شعر الماعز، وهو مزين باشكال كبيرة. ان احذيتهم صنعت من جلد ، احمر اللون ، ولها حافات من الفرو عند الكعوب ». «[٧٩]» .

---

٧٧ ــ القبوط : يرى بعض الباحثين انه من (قبط) على معنى (اتم) و(سد) ، لانه يتم الثياب ويسدها، اذ يرتدى فوقها، واخرون يرون انه من (قباتمق) التركية، وهي على معنى (السد) ايضا وقد يسمى (بالتو)، وهي محرفه عن اللاتينية . (المترجم)

٧٨ ــ راجع :
Rich : Residence in Koordistan, Vol. I, pp. 77 and 181, 1820.
(المؤلف)

٧٩ ــ راجع :
Binder : Au Koordistan, pp. 109 — 110, 1887.
(المؤلف)

وقد وردت العبارة في (اصل الكتاب) بالفرنسية فترجمناها الى العربية . (المترجم)

واستبدل اكراد ال (مكرى) و(رواندوز) غطاء الرأس الابيض المدبب بآخر اخضر اللون، مصنوع من قماش، وليس هو بالعالى على غرار الاول، وله زر خشن صغير، يلتصق عند نقطة مرتفعة، والعمامة اصغر، وهي ملفوفة بحيث تخفي حافاتها جانبيّ الوجه. لقد اصطنعوا الـ (قبا : قباء) الفارسي وهو (سترة) صغيرة تصل الركبتين، ويلبس فوقها، في الغالب، الـ (سرداري) وهو (معطف : فراك) مضغور، لكنه مصنوع من (مخمل : قديفة)، ولونه فاتح .

وان اتجه المرء تلقاء الجنوب، غدا اللباس اكثر شبها بلباس العرب. لقد استبدل اللباس الشمالي، ذو الصنعة، والمرء عندما يرتدية يتراءى كانه يحلّ في الاردان دوماء بسترة طويلة تصل حتى الكاحلين، وتلبس هذه فوق قميص ابيض ،تصل اردانه حتى الارض، وهي شبهة بما يسمى بـ (اردان المطران)، كما ترتدي الـ (سهلته) او الـ (زوف : Zouve)، وهي، على العموم، من قماش ذي لون غير زاه ، مزين بخيوط من ذهب. كما يعتمّ القوم بعمامات شتى، على وفق قبائلهم ،اما غطاء الرأس فهو ، في العادة ، من قماش قطني مطرز .

والى هذا اللبوس ، ترتدى جميع القبائل فى الجنوب الصدرية الكردية النمطية المصنوعة من لباد ،وهي غير ذات اردان وثخنها نحو نصف انج .

ويجوز القول بان الكردى ،فى الجنوب، ما عاد يتحيز فى امر اللباس، فيما خلا العمامة ، اذ هي مظهره المميّز .

ولباس النسوة ساذج، ففي الشمال هناك القميص الملوّن الطويل والسراويلات المكتملة تدعمها فى الفصل البارد قمصان اكثر ،ولعل ما يدعمها لباد ايضاء وهذا هو ما يؤلف اللباس جميعاه كما تلبس عمامة كبيرة ايضا .

ومهما يكن من امر ،يصبح اللباس في كردستان، الوسطى والجنوبية، اكثر تعقيداء ذلك ان نسوة الـ (مكرى) و(سنه) يستمتعن بشهرة لبس اكبر العمامات، من بين عمامات اية قبائل اخر ،انهن يصطنعن اكداسا مكدسة من كفافي الحرير الملونة، منحنية على الرأس كعرف الديك •

وتتخلى، في الاقراط والاساور والاسماط نقود من ذهب، كما تحلق حول رؤوسهن ،وهذه كلها ملامح شائعة في لباسهن• وترتدي نسوة الـ (مكرى) الـ (سرداري)، وان لم يكن هذا فالـ (جاروخية)، وهي من قماش ثقيل يلقى على احدى المنكبين •

والنقاب «٨٠» غير معروف في كردستان اطلاقا ، ولا تخفي النسوة وجوههن ابدا •

وعلى الرغم من ان اللباس الذي تصطنعه نسوة السليمانية كردي بطبعه ، لكن النمط العربي قد اثر فيه •

اماالملابس التحتانية فهي تتألف من : قميص قصير وسراويلات (شروال) وسيعة، والاقسام العالية منها مصنوعة من قماش ابيض، اما الاقسام السفلية فمن مادة قماش مخطط ذي (اردان المطران) القصيرة نفسها ، ومن قماش ابيض، ومنفتح عند الرقبة•• وفوق هذا ايضاء ترتدي الـ (كساوه) ـ وهي معطف طويل يصل حتى القدمين ايضا ـ وليس فيه ازرار •ولا يلتقي في قدام، ومصنوع من مادة اثقل، واردانه غير متماسكة، لكنها تسحب الى الداخل، على فوت بضعة انجات عن الرسغ •

---

٨٠ ـ وهو الـ (بوشي) او الـ (بوشية) بلغة عامة العراق والكلمة فارسية الاصل على معنى الغطاء ،والكرديات ،كشأن البدويات، لم يعتدن على لبسه، غالبا •وانما كانت تصطنعه نسوة المدن، وقد قل استعماله الان الا في بعض المحلات القديمة المحافظة • (المترجم)

ويتألف لباس الرأس اولا من : (عرقجين) «٨١» صغير مــزركش ترمى عليه الـ (جمانا) وهي كفية ملونة تتدلى من الخلف، وتلــف حول العنق في الغالب. لقد استبدلت العمامة الكردية بحبل طويل ثخين، وثمة قطع من قماش اسود مثبتة فيه يتصل بعضها ببعض، فتكون اشبه بحية مــن جنس الـ (بوا : Boa)، وباكثر من اي شيء اخر .ان هــذا الــذي يسمى بالـ (يشن) يلف حول الرأس ،فوق الـ (جمانا)، فيصبح اللبــاس فاخرا سنيا ، سيما ان كان لابسه طويلا، وهو شأن نسوة السليمانية غالبا.

الغيبيــات

ولا يعدم الاكراد ،باي وجه من الوجوه، الاساطير (والمأثــــورات الشعبية Folklore «٨٢»)، وهو المأمول من مثل هذا الشعب ذاته .

انهم على شاكلة الفرس الذين لم تطرد (الاسلاميات) فيهم الاساطير الاولى، اذ لايزالون يؤمنون بـ (الحوريات)، وعلى الرغم من ان (جـان) العرب اشغلوا مكانا وسطا في نظام مخلوقات العالم السفلي، فان الـ (بيرى) والـ (شيط)لايزالان يحتفظان بمكانتيهما. وهناك الـ (بير) او (الــولي) ايضا، ويلف اصله الغموض، والزعم الشائع انه موجود في امكنة معينة ، وفي القبور، حيث تنذر له الخرق على غرار ما هو حادث فــي فــارس وهذه اثارة عادة اقدم من الاسلام ، على التحقيق .

اما الـ (شيط) فنصنف من دالغيبيات»، وهو ذو أمر عجيب، اذ يسلك فيه جميع شهداء الاسلام، وكثير ممن هوى من الاكــراد عـن حمى قبيلتـه

---

٨١ ـ نسترجح انها لفظة تركية ، فارسية النجار، ركبت من مفردتين هما : (عرق)، وهو رشح الجلد المعروف و(جين) بمعنى (جامع) . وهــو على شكل نصف كرة يغطي القسم الاكبر من الرأس . (المترجم)

٨٢ ـ وهي مجموعة الاعراف والمعتقدات والعادات والاقوال السائــرة والحكايات وما الى ذلك ،التي تحتفظ بها العامة وتتناقلها، جيلا اثر جيل، فتفصح عن مشاعرها واحاسيسها ومثلها العالية، لتكون مادة دراســية ممتعة عنها . (المترجم)

صريحاء انهم على غرار من في الاحياء، يوءلفون قبيلة جوّالة ، وهـــم محـــون راغبون في مد يد العون الى الكردي الفتاك ،في تلبية رغباته، وفي الحق انهم يعتدون اشباه صنف ال (بير)، ويمكن الرجوع اليهم لـــدى امكنة توقفهم، وهي، في الغالب ،عند شجرات ضخام تعالى على سفوح التلال.

ان صنف ال (بير) ـ ومن هذه الكلمة اشتقت ال (حوريات Fairies) الانكليزية، وانبثقت فكرتها ـ ،من حيث الاساس، هي المخلوقات التـــي تدارسها في (مأثوراتنا الشعبية) انفسها، وبما ان (مأثوراتنا) انحــــدرت الينا من (الآريين) الشماليين، كذلك كانت (حورياتنا) هي ذلكم الشـعب الصغير، الشبيه بال (بيرى Peri) نفســـــه .

وبقدر تعلق الامر بالجان لقد اصطنعوا المخلوق العربي التاعـــس نفسه، وعلى غرار ما فعل محمد (النبي ، صلعم : المترجم) ، بـــــدوره، فاستعار من المتواتر وقدم الجني (كذا : المترجم) «[83]» باعتداده خلق من نار، لكنه، على غرار الناس، يرتكن في وجوده الى القوت، وهو شــــبيه بالخلق ،بعضه صالح وبعضه طالح، لكن الكل لايمكن ان يسلكوا فـــي عـــداد الطالحيـــن عـــلى غـــرار الشــياطين «[84]» .

وبقدر تعلق الامر بال (ديو : Div) ـ الشياطين ـ فانهم موجودون على ما وجدوا في ايام (زرادشت)، لكن الكردي الـذي يعيش حياتــــه الشاقة، يتراءى وكأنه لايفكر فيهم الا لماما .

---

٨٣ ـ هذا وهم من (الموءلف) وتخليط، لانقره عليه ولايقره (ديننا الاسلامي الحنيف) ويخالف ماورد عن (الجان) في (القرآن الكريم) : والقرآن (ان هو الا وحي يوحي علمه شديد القوى) وكفى بالله شهيداً . (المترجم)

٨٤ ـ من كتاب صغير في (آساس الدين)، شيراز ١٩٠٢ . (الموءلف)

ملاحيق الكتاب

الملحق الاول

القبائل الكردية «*»

ان الجدول التالي يضم اسماء القبائل الرئيسة القاطنة على الحدّ التركي والفارسي . ان القبائل ذوات الارقام : من ١-٩ ، تطلق على انفسها عامة ، اسم «كرمانجي» «كردمانك» اي : «الاكراد» ، على حين يحمل سائرها عنوان «كرد» دلالة على ارسها . ان القبائل التي تصطنع التسمية الاولى هي ذوات انقى دم كردي .

---

* من وضع (المؤلف) نفسه ، وقد شفعناه بتعليقاتنا (المترجم)

الملحق الاول

القبائل الكردية

الرقم	اسم القبيلة	فروعها	موطنها من البلاد
١	حيدراللو	زيلانو ، حسنانلو ، أدامانلو سيبكانلو ، جبرانلو ، زيركانلو شادي ، ميلان ، مامانلو	هضبة ارمينية حتى الحد الفارسى
٢	شيكاك	.. ..	الحد الفارسى قرب سالماس
٣	(●) حكاري	اورامار ، شمسدينان ، جلو ، هركى ، زيبارى ، رواسكى (فرع قديم منها هم امراء بدليس) شرناكلي ، خيزان ، كردى ، بهدينان (ومنها انحدرت الاسر الدينية القوية وانحدر الشيوخ) ميسوري ، بوهتان ، حسنكيفان ، نوجاى ، جلالي راوان واقسام صغيرة اخر .	بدليس وادى الزاب الكبير البتارى عمادية جزيرة ابن عمر
٤	مكري	.. ..	صاوج بلاق والاقليم المحيط بها حتى الحد التركى

(●) ترى (حكارى) انها اقدم الاكراد طرا ، اصفاهم عنصرا وانقاهم دما ، ومرد ذلك الى عزلة بلادها . وكانت ثمة امارة كردية تدعى (بدليس) نشأ منها (الحكاريون) . ويروى ان الحكاريين كانوا يمارسون نوعا فريدا من (حكم الشورى) ، فان اشتط احد حكامها وجار طلب اليه المثول امام (مجلس) لمحاكمته ،فان ثبت عليه ذلك وصدر (قرار المجلس) بعدم لياقته للاستمرار فى الحكم ، وضع فى فمه زوج من الاحذية (اما هذا ـ وحقكم ـ عجيب !) فقبح منظره فى العيان،وكان ذلك، ارهاصا بوجوب تخليه عن الحكم! (المترجم)

الرقم	اسم القبيلة	فروعهـــا	موطنها من البلاد
٥	بشدر	نور الديني وغيرها	وادي الزاب الصغير الاعلى
٦	بلباس	.. .. ..	جبل قنديل فـي كردستان الوسطى
٧	(●●) رواندوز	.. .. ..	رواندوز
٨	شوان	.. .. ..	جنوبي الزاب الاسفل الادنى شمالي شرقي كركوك
٩	بابان	.. .. ..	السليمانية
١٠	بانه	.. .. ..	بانـــه
١١	ميريفان	.. .. ..	ميريفـان
١٢	(●●●) جاف	بشتاماله ، إمالا ، جافيسرتيك ، تيلان ، ميكائيلي، اخاسوري ، جنكاني ، روغزادي ،ترخاني ،بشاكي،	من قزل رباط بمحاذاة الضفة الغربية لنهر سيروان حتـى

●● يقول محمد امين زكي (رح) في كتابه (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ١/ ٣٧٠ الحاشية) : «يحتمل ان تكون هذه العشيرة احدى بطون عشيرة (الروادي) الشهيرة في التاريخ ، وكانت في الاصل مقيمة في اذربايجان حيث اسست فيها الحكومة الروادية وانجبت قائدا كصلاح الدين احدثه الى الاسلام » قلنا: وصلاح الدين الايوبي ، المخلد الذكر ، صاحب منقبة استرجاع (المسجد الاقصى) والارض المباركـــة حوله من الغزاة الصليبيين ومفخرة العروبة والاسلام . (المترجم)

●●● لورود ذكر هذه القبيلة ، ذات الخطـــــر العظيم ، غير ذي مرة في هذا (الكتاب) وارادة الفائدة للناشيء المستفيد والقارىء المستزيد، نقول :تتنقل هذه (القبيلة) بين (سهل شيروانة) شرقـــي

الرقم	اسم القبيلة	فروعـــها	موطنها من البلاد
١٥	باجيلان	جومر ، شيراوند ، حاجبـــلار ، غريباونـــد ، داندواند ، قزانلو	جنوبي شرف بياني رأســا
١٦	اورمان (هورهمان)	هورماني على شاه ،هورهماني جعفر سلطان	جبال هورامان
١٧	صلاحي	.. ..	●●●●،
١٨	كوران	كهورا ، بازياني ، نيرجي ، قلخاني ، بويانـــي ،	كفري ، منطقة صلاحي الشطر الشرقي من اقليـــم

●●●● تقع (البليدة) على سفح قمة (باوه شاسوار) الغربية ، واسم القمة منسوب الى اسم شخص ، نابه الشان ، مقبور فيها ، ويزار ضريحه ، انها على الضفة اليمنى لوادى (قوشه جابان) . وقيل ان اسم (كفري) من اسم (شجيرة)، يصطنـــع خشبها وقيدا ، وهي تكثر في جوارها . وفي شرقي (البليدة) تلول (ناصالح) ، وعني الالمان في اثناء الحرب العالمية الاولى بالاستفادة من مناجـــم ضيقة عميقة فيها فحم حجري ، وذلـــك لتسيير القطارات والبواخر .

ولمع اسم (كفرى) فى اثناء ثورة العراق سنة ١٩٢٠ بازاء الاحتلال البريطانى الغدار المختـــال المشئوم حين ثارت ، استجابة الى نـــداء (زعيم الثورة الكردية) يومذاك ، (الشيخ محمود الحفيد ـ عطر الله ثراه)ـ وتجاوبا مع ثوار وسط العراق وجنوبه ، وكانت ثورة كفري بزعامة (ابراهيم خان) احد رؤساء قبيلة (دهلو) التركية ، وقد تحررت (البليدة) من الاحتلال البريطاني لمدة ٢٣ يوما، واقيمت فيها حكومة شعبية، وصبرت بازاء هجمات جيش الاحتلال البريطاني والضالعيـــن فى ركابه يومئذ ، من المحسوبين على ابنـــاء العراق، وكان صبرها الصبر الجميل ، صبر اولـــي العزمة والهمة العالية من الرجال الشم ،ذوي الايمان العميق والحماس الدافق ،وانتهت بتغلب جيش الظلم المزود بالعدد العديد والسلاح الماضي والعتاد الوفير على الثوار العزل الا من ســـلاح الايمان ، ولكن حتى حين . (المترجم)

الرقم	اسم القبيلة	فروعها	موطنها من البلاد
		كەلالي ، شاطري ، هارزني ، نوروالي ، كوكري ، زرداوي ، يزدان ، بختي ، شيخ اسماعيلي ، سەدالي ، باداخي ، موساي تيلاكو .	شهرزوري ، وبنجوين
١٣	هماوند	.. ..	قرەداغ ، قرب السليمانية
١٤	شرف بياني	.. ..	هورين الى الجنوب من نهر سيروان ، في الاراضي الفارسية

كفري ، و(مريوان) في كردستان الايرانية ، بيباز ، وحلبجة ، وشهرزور ، للمرعى والمستقى . وتمضي القبيلة (اشهر الصيف) في المنطقة الباردة من (ديرتها) ، وهي المنطقة التي يطلق عليها اسم (كويوستان : زوزان) ، كما تقضي (اشهر الشتاء) في المنطقة الحارة منها ، ويطلق عليها اسم (كەرميان) ، وتسمى (رحلة الصيف والشتاء) عندها باسم (كەريمان كويستان) . وعندما تستقر (القبيلة) في (سهل شيروانة) تشاهد مجموعات خيامها متناثرة فيه ، وكل مجموعة منها بامرة (كويخا) — وكويخا كلمة كردية تقابلها كلمة (سركال) في جنوب العراق — اما رئيس القبيلة الاعلى ، ال (مير) ، فيحل في قلعته الحجر (قەلای شیروانة) المبنية على تل عال يشرف على السهل المذكور ، من جهة ، وعلى (نهر سيروان) — ديالى العليا — من جهة اخرى . ويحرس (القلعة) المذكورة فرسان مسلحون يطلق عليهم اسم : (بشت ماله) . و(بشت ماله) كلمة كردية تتالف من (بشت) على معنى (ظهر) و(مال) اي (المسكن) ، لمدلول (بشت ماله) (حراس مسكن الامير) . وفي عهد الاحتلال البريطاني الزائل لعراقنا العزيز الغالي — ومن بعده عهد (الانتداب) البغيض ، كان لرؤساء القبيلة هذه نفوذ كبير ، وعلى رأسهم (السيدة عادلة خانم) الوارد ذكرها في هذا (الكتاب) كثيرا . (المترجم)

الرقم	اسم القبيلة	فروعها	موطنها من البلاد
		كاله زنجيرى ، قادر مير ويسي، تيشايي ، واقسام صغيرة اخر .	كرمنشاه
١٩	كالهر	شوان ، كوجيمي ، جارزبارى ، الوند ، خالدى ، شياني ، سياسيا ، كاظم خاني ،خمان ، كالاجوبي، مازوق ابادى ، يدياغ باغي ، كيركاه ، منصورى ، نيرميزيارى . وغيرها .	اقليم كرمنشاه
٢٠	سنجابى	.. ..	قرب الحد التركي فى اقليم كرمنشاه

الملحق الثاني

مقدمـة

الطبعة الثانية (١) من (الكتاب)

بقلم : سر ارنلد تي • ويلسون
الحاكم الملكي العام في العراق
(ابان الاحتلال الزائل)

ولد (ايلي بانستر سون : Ely Bannister Soane:)
باليوم الـ ١٦ من اب سنة ١٨٨١ ،في (كنزكتن : Kensington)•
وكان والده ،ويليم سون، ابن عم بعيد لـ (سرجون سون) المعماري، نابه الذكر • وكان اسم أمه، قبل ان تتخذ اسم زوجها، ماري ستيل، وهي من سلالة (سر ريجارد ستيل) المنسوب الى (مجلة سبكتيتر : Spectator
وكان ابوه لغويا عجريا انساب في (الجدة) وذلك في عهد بعيد •ان جانبي الاسرة، الاب والام، كانا على صلة بـ (كنت : Kent) في (رومني مارش : (Romney Marsh) والقرى القريبة • وكان احد اسلافه ، أعني (جورج ايلي) مديرا لـ (تنتردن: Tenterden) في (كنت) من سنة ١٥٧٠ حتى سنة ١٦١٥ ، كما كان فرع مزارعين في (ساند هرست : Sandhurst)، قرب (تنتردن)• وعلى جانب (ستيل) انحدر (سون) من اسرة عرف رجالها بالمهارة والوسامة والقسامة، وقضى (ويليم سون) نحبه، وابنه لما يتجاوز الـ ٢٠ شهرا، وخلف ارملته وهي تكاد لاتقوى على شراء نفيره • وادخل (ايلي سون) مدرسة المطران لاتيمر في سنة ١٨٨٩ ، وفي سنة ١٨٩٥ انتقل الى مدرسة لاتيمر العالية، ومكث فيها حتى بلغ الـ ١٦ من عمره • • [٢]•

---

١ ـ اعيد طبع (الكتاب) ، سنة ١٩٢٦ باعتداد ذلك تذكرة وذكرى لـ (المؤلف) ، والتي اعادت طبعه هي (ارملته) وبعض اصدقائه •

٢ ـ هذه معلومات زودتني بها اخته : السيدة روث بيروجيني •

ولمع شأنه في (المدرسة العالية) المذكورة آنفاً ونال مرتبات الشرف في امتحانات Cambridge Local Junior وذلك في شـــهر كانون الاول سنة ١٨٩٦ ،وفي الـ (Senior Exams) بعد سنة من ذلك . وما كان مولعا بالالعاب ابداً، وذلك على الرغم من نواله (انواط) مدرسية عديدة، في التجذيف الفردي . لكنه اظهر مقدرة عظمى في الفرنسية وتمايـــز باعتداده مثلا في الحفلات المدرسـية، وبذلك ابان ،في وقت مبكر، موهبة (الالسـنة) والمحاكات وهي التي خدمته في (فارس) خدمة طيبة. وشرع، في الـ ١٦ من عمره، بدراسـة الـ (انكلو ـ سكسونية) لامتاع النفـــس في وقت الفراغ ، فتمكن منها بدرجة كان يستطيع القراءة والكتابة بها .وعلم نفسه العزف على الـ (بيانو) والـ (ارغن) ايضا . كما كان كاتب اختـزال خبيرا . وحرر مدير المدرسة (مستر سي . جي. سميث) عنه قائــلا : ان ذكراه ،عندي ،واضحة لاحبة، وذلك باعتداده صبيا حيا ذا اخــــلاق ممتازة ،وسلوكه سلوك الرجل الماجد (Gentleman)

وقبل مغادرته المدرسة ،في سنة ١٨٩٨ ،كان عقد العزم على زيارة (الشرق) ،لكن الفرصة لذلك لم تسنح الا في سنة ١٩٠٢ ، كانــــــت (شركة ايج. اس. كنك) ،وهي القائمة بمثابة مصرف (شركة الهنــــد الشرقية) ووكلائها، قد اندمجت بـ (مصرف لويدز) لذلك التحــــق بـ (المصرف الفارسي الشاهنشاهي) وارسل الى فارس في شباط سنة ١٩٠٢ ، وذلك بعد ان قضى سنة في (ابجرج لين). ومن ذلك الوقت فصاعـــدا ، وباستثناء السنتين الاخيرتين من عمره، وايام اجازات قصيرة ،قضــــى الرجل عمره في (الشرق الاوسط) كليا .

واثر زمن قصير ،قضاه في (طهران)، اوفد الى (يزد) وفيها حـــرر في سنة ١٩٠٣ مامفاده انه، اثر سنة تجربة وعمل في مضمار اللغة، شرع يترجم (عمر الخيام) .وسرعان ما ابتعث في نفسه كلف شديد بفارس.

قال : عندما اتكلم عن (يزد) فانى لقادر على ان امضي في ذلك ساعات طوالا، ذلك انى احب المكان هذا واهله حبا جماً ومكث في سنة ١٩٠٣، وشطرا من سنة ١٩٠٤، في (بوشهر)، ثم انه رتّب بعد ذلك في (شيراز) باعتداده (محاسب المصرف الفارسي الشاهنشاهي) فيها .

في هذا الوقت عينه، اخذ يثني عنان اهتمامه، على وجه اخص ، الى عادات (البلاد) الدينية .كان يتخذ مسراه الى المدينة كل ليلة تقريبا، متخذا زى فارسي فيتحدث الى (الملالي)، ثم انه اتخذ الاسلام دينا ،في سنة ١٩٠٥ ، أخيرا . وفي سنة ١٩٠٦ ،واثر اجازة قصيرة ،رتب (مديرا) على (فرع كرمنشاه) لـ (المصرف الشاهنشاهي في فارس) . ومالبث في ذلكم (المنصب) امدا طويلا، ذلك ان صداما حادا نجم بينه، وهو رجل الاعمال الممتاز، وبين السلطات القنصلية الروسية، ومرده الى فاعلياته .واستقال من (المصرف) في سنة ١٩٠٧ ،وما كان ذلك عن كره، وبعد أمد قصير قضاه في انكلترة غادرها متنكرا باسم (ميرزا غلام حسين شيرازي)، في رحلة طويلة، خلل بلاد مابين النهرين وكردستان، وهي (الرحلة) الموصوفة في هذا (الكتاب) .

كانت الشخصية الرائعة التي يشغل ذكرها فصولا عديدة من هذا (الكتاب) اعني : المرحومة خان بهادر ليدى عديلة خانم ([3]) ، والتي اتاها اليقين في سنة ١٩٢٤ ،مشوقة الى اظهار الغرفة التي حلّ بها (سون)، والصخرة الكائنة قرب الينبوع الذى كان يقيم عندها صلاته، وانها لتزهو بذلك كثيرا .

---

٣ ـ خانم وخاتون (قاتون) مفردتان مغوليتا الاصل . ومعناهما (السيدة) او (الست) اقتبسهما الايرانيون ، كما اقتبسهما الترك ، وانحدرت من لغة هؤلاء ،او اولئك الى اللغة العربية .اما (خان بهادر)فهو لقب تشريف هندى، ويقول احمد وفيق باشا في (لهجة عثماني): (١٣٠٦ هـ ١٨٨٨ م) ان التلفظ الصحيح لـ (بهادر) بكسر الدال هو (نجادور) . ومعناها (بطل ، شجاع) . (المترجم)

وفي سنة ١٩٠٩ ظهر في (المحمرة) متنكرا بزي فارسي، مسافرا على سطح السفينة، ثم انه أمضى مع صديق قديم لـه، من ايـام شيراز ،ايام ،ان معلوماته الفذة المتصلة بارجاء كردستان والحد التركي ـ الفارسي استرعت انتباه (كاتب هذه السطور)، وكان، عهـد ذاك، (قنصل صاحب الجلالة البريطانية في المحمرة)، فحمله عـلى البقـاء في القنصلية حينا من زمان ليحرر مرشدا في مـوضوع كردسـتان الجنوبية، وعندما انتزعت البلاد التي تناولها ذلك المرشد ،بعد عشـر سنوات، من الاتراك، واعدت الخوارط وتقارير الطرق تفصيلا، دهشت السلطات العسكرية وامتنت ،لانها وجدت معلومات (سون)، عـلى مـا دونت في (المجلد) الحالي وفي (المرشد الرسمي) صحيحة، جد صحيحة، ولم تبرهن التحريات والمحادثات التالية مع سكان (حلبجه) و (السليمانية) على صحة (جغرافيته) حسب ،لكنها اثبت ان قصص المغامرات التي يضمها (كتابه) بين دفتيه، ان هي الا سرد صحيح لما حدث حقاً، وفي نهايـة سنة ١٩٠٩ التحق سون بموظفي (شركة النفط الانكليزيـة ـ الفارسية)، في المحمرة، حيث لبث فيها الى ان ارسل، بعد اشهر قليلة، الى (جياسرخ)، قرب خانقين، بغية ابتياع حقل النفط والمصفى الصغيرين اللذين فتحا، اصلا ،على يد (الراحل مستر جي بي رينولدز) ،نيابة عـن (الراحـل مستر دبليو ، كي ، دارسي)، وفي (جيا سرخ)، وفي بغـداد بعدهـا، قام (سون) بعمل قيم الى (الشركة) ،واعترافا بمقدرته الفذة في بـاب التعامل مع الموظفين الفرس والاتراك البلديين، ومع العشائريـين المتمردين، رتب (عيّن) في سنة ١٩١٣ (نائب قنصل بريطانيا) ـ من غير أجر ـ في قصر شيرين) ٠وقصر شيرين بليدة قائمة على الجانـب الفارسي من (الحد)، قرب (جيا سرخ)، وكان المكان الاخير، عهدئـذ، فارسـيا.([4]) ٠

---

٤ ـ نقلت الى تركية في سنة ١٩١٤ ، بموجب قرار (لجنة الحدود) ٠

وثمة حادثة يصح اعتدادها نمطية في باب ناموسه (نفوذه بلغة العصر: المترجم) الخارق بين ظهراني الاكراد ـ رويت ذات مرة الى (كاتب هذه السطور) من قبل (بهرام بك ولد بكي) ، زعيم القبيلة القوية المؤلفة من الخارجين عن القانون ، القاطنة قرب (قصر شيرين) . كان فتاح بك ، والد الزعيم الحالي ، يتقاضى منحة شهرية من قبل (الشركة) لقاء «حماية» حقل النفط ، وما ان وصل (سون) الا انقطع دفعها على حين غرة ، وعندها ارسل (فتاح بك) كتابا ينذر فيه ويتوعد بالويل والثبور ، مطالبا بدفع ما لم يدفع منها حالا ، والا فانه ـ على حد تبيانه ـ لن يستطيع السيطرة على ابناء قبيلته الذين قد يشرعون بالغزو . وما ان بلغ (الرسولان) حقل النفط الا القى (سون) القبض عليهما ، واخذ منهما اسلحتهما وجواديهما وارسلهما ليقولا لفتاح بك : ان اراد الاقتتال فان لديه ، الان ، من الاسلحة ما ينقص بندقيتين عما كان ، لديه ، قبلا ، على حين يملك هو ، اى (سون) ، بندقيتين اكثر مما كان يملك فيما مضى . واصابت (الخدعة) ، على وجه التمام ، نجاحات ([5]) . ورأى فتاح بك ـ وهو على غير هدى بالنسبة لفهم هذا التبدل غير المرتقب ـ ان يتحرى الامر شخصيا ، قبل ان يصطنع قوته بازاء هذا العامل المجهول ـ ذلك ان عدة الحرس الظاهر فى حقل النفط كانت لاتتجاوز العشرين ، وهم من الاكراد البلديين ، يقفون بازاء الـ ٤٠٠ التابعين لـ (ولد بيكى) . وفى حقل النفط قام (ميجر سون) بتكريم فتاح بك وبذلك وقع تحت تأثير شخصيته القوية ، لذلك لم تثر قضية المال ابدا ، وتفارقا اصدقاء ، وكل صميم للاخر :

---

٥ ـ فى مقررات (المجمع اللغوى فى القاهرة) ما يجيز جمع المصدر اذا افاد النوعية المختلفة واذا انتقل من (الحدث) الى (الاسم) . راجع مجلة المجمع العلمى بدمشق ، الجزء الخاص بمؤتمر المجامع العلمية اللغوية لسنة ١٩٥٧ (المترجم)

(يغدو المحب لشأنه وفؤاده
نحو الحبيب غدوه ورواحه «٦»)

واستدامت هذه الصداقة سنوات عديدة حتى لقي (فتاح بك) وجه ربه : (وباعث هذا الخلق للخلق وارث) •

ان (سون) لرجل قصير القامة، ثخين الجسم، ذو ملامح حادة وعينين سوداوين نفاذتين• وسرعان ما غدا قوة يحسب لها حساب في الارض ،ومرد ذلك الى شخصيته حمراء ذلك ان السلطة التركية، كشأن السلطة الفارسية، سواء بسواء ،لم تكن، في هاتيك الأيام في خارج المدن الكبيرة، الا رمزية •

وما ان اندلعت (الحرب العظمى) الا كان في بغداد، وفيها اودع ، ونحو ٢٠ من الاوربيين، غيابة السجن ثم نفي ،بعد ذلك، الى (مرسينه) — طالما المسافة اليها في الغالب، على الأقدام مشياه واطلق سراحه،اثر احتجاز استطال اسابيع في مرسينه، كشأن اخرين، فعاد الى مقره حالا •

ان معلوماته الخارقة عن مشهد الحركات في الشرق الاوسط، ميزته لاشغال عمل خاص، لذلك اعيرت خدماته، من قبل (الحملة الاستكشافية)، في اوائل سنة ١٩١٥ •وغب مدة قصيرة من التدريب في (دائرة الاستخبارات) رتب محررا لجريدة (بصرة تايمس «٧»)ــ وهي صحيفة حكومية كانت تصدر ، او انئذ ، بالانكليزية والعربية في الشرق الاوسط، وما لها من ثانية : كان يحررها (سون)، باقتدار حق ومهارة ، موسعا من مجالها ،ثم اضاف اليها طبعة بالفارسية •

---

٦ ــ اضافة منا وضعناها بين عضادتين (كشأن مثيلاتها الموضوعات في السابق) اردنا بها جمال المبنى واشراق المعنى ، وهي لاتخرج على (الاصل) ابدأ (المترجم)

٧ ــ العلم الاجنبي لايترجم الا ان اريد توضيح كنهه وهو ما فعلناه هاهنا : (المترجم)

وسرعان ما وقع في خضم عمل اشق، اذ ارسل الى ديار ال(بختياري) ليضطلع بواجب عسير هو : العثور على بعض الموفدين الاعداء الذين ينفق عليهم الجواسيس الاتراك والالمان، واخفات اصواتهم. ونجح في «اداء المهمة» بعون من حرس عدته ستة من الاكراد الفرس الاشداء. وفي اوائل سنة ١٩١٦ رتب (نائب قنصل بريطانيا في دزفول) . ودزفول بليدة فارسية عدة سكانها نحو : ٣٠٠٠٠ نسمة .

وبصدد عمله هناك، لعل ما يغني ويكفي ان نقول ان اسمه بقي يردد من قبل الناس البلديين، اثر عشر سنوات، ينوه به وينبه عليه ،وهم يتحدثون عنه. لقد تركت معلوماته الوثيقة المتصلة بالعادات ولغة السكان ومقدرته الادارية طابعا لايمحى، خلال جيل الناس هناك. وبعد خدمة قصيرة قام بها، في بغداد وفي مندلي، رتب ليتولى شوون (منطقة خانقين) في العراق، حيث قام بعمل صالح جدا .كان الاتراك والروس قد اكتسحوا (خانقين) وعاثوا فيها سلبا ونهبا. والاخيرون منهم بخاصة ، ذلك انهم ارتكبوا فيها من الفظائع المروعة ماتشيب لذكرها الولدان، فسادت فيها حال مجاعة الى أبعد حد يتصور .ونظمت حملة اغاثة من تلكم المجاعة. وما ان جرى احتلالنا لها الا ثاب اهلها الى حال بمنجاة من اهوال الحرب. وكان الاتراك، في ذلكم الاوان، يحتلون خط ديالى، وبرهنت معلومات (سون) الوثيقة المتصلة بالبلاد خلال الاحتلال ،على انها تند عن التثمين .ان ما قام به في هذا الحين هو الذي اهله لينال وسام (سي. بي. اي .C.B.E) «[٨]». ها هنا اصيب بمرضه (السل الرئوي) الذي اقعده في خاتمة المطاف .وبعد اسابيع قليلة امضاها في المستشفى سمح له ،بناء على طلبه المستعجل، بان يمضي الى استرالية

---

٨ ـ قلده ذلك و (شعار الصنف : Insignia) (صاحب الجلالة الملك) في قصر بكنكهام يوم الـ ١٩ من تموز سنة ١٩٢١ .

للمعالجة، وعاد منها، بعد ٦ اشهر، او نحو ذلك، ناجيا من مرضـــــه في الظاهر، وفي اوائل سنة ١٩١٩ نيطت به شؤون (منطقة سليمانـــي : السليمانية) وهو مشهد بعض فعاله المواضيء ان الطاغية (كذا : المترجم) الشيخ محمود، وهو من كان تجتويه (كذا : المترجم) وتشفق منه غالبيـة المزارعين والرحالين ،على حد سواء، كان تحدى (الحكم الجديد) قبل ان يمكن الوقت الـ (ميجر سون) من الاستقرار ،لكن ذلك لم يصب نجحا، ثم انه جرح والقي القبض عليه، وحكم عليه بسبب قيامه بثورة بالاعدام من قبل (المحكمة العسكرية) في بغداد «٩» وشجع القبائل البلدية (المحلية) على الانصراف، مجددا، الى الصفة الوحيدة ذات الخطر واعني بها :الزراعه واستتبات النبغ ،وعلى حين كان يقوم بالحفاظ على سلطة الرؤوســـاء والاغوات ،دأب على ان يقمع بشدة المحاولات التي كانوا يعمدون اليهـــا لسرقة الطبقات الفقيرة واستعبادها ،لقد كانوا يرون فيه، منذ طالعة الامر، وليا حميما ،وحاكما عادلا، وعلى الرغم من ان (سون) كان يعمل بجد، من بعده من جد، في سبيل مصلحة البلاد الحقه (كذا : المترجم) فانه لــــم يتخل عن سلوكه المتزمت الخشن الا نادرا، لقدجادت عليه الطبيعه بمظهر فظ غليظ معتد تقريبا، ولو رمق بعينيه الحادتين النفاذتين اشد كـــردي تبديا لاشاع فيه الخوف وملاه رعبا، وعلى الرغم من ان حكمه كـــان، في الظاهر، متزمتا الا انه لم يكن على هذا حقا، ذلك ان العقاب البدنـــي لم يعرض في اي وقت، خلال الـ ١٨ شهرا الاخيرة، ولـــم يشـــنق في هذه المدة الا رجل واحد، ومرد ذلك الى ارتكابه جريمة قتـــل، ومهما تكن الحال، حال وضعه السخي كليا دون قيامه بالتجوال خـــارج مقر عمله، حتى ان تعامله مع الناس رأسا، اسفر ،في أمد قصير، عـــن

---

٩ ـ خفف الحكم الى السجن لمدة خمس سنوات في الكويت . ومنه سمح له بالعودة ، في سنة ١٩٢١ ، الى السليمانية ، حين تمرد مجـــددا لكن ذلك لم يصب نجحا مرة اخرى . انه الان (١٩٢٦) لاجيء في فارس .

ان يغدو اسمه، بين القبائل، دائما وقد ران عليه سر رهيب، كان هذا الاسم نفسه يرغّب الجميع، ويحترمه الجميع، وهي حقيقة لم يتباطأ الضباط التابعون له، العاملون في المناطق، عن الافادة منها، وعلى ذلك فان التهديد بارسال مذنب ما ليقف ازاء (الحاكم) كان أمرا لاسبيل الى تكراره ابدا »[١٠] ٠

وشق طرقا ممتازة وبنى قناطر مثلها، هذا وان المهارة الفنية التي ابداها (وما كان لديه من مهندس يغدو له عونا) جادت عليه بالثناء العالي من ذوي الحل والعقد، عاود بناء (البلدة) ـ وهي التي هدمها الاتراك فيما مضى ـ واعاد الثقة الى النفوس ايضا، فتح المدارس التي كانت لغةالتعليم فيها : الكرديه ،لا التركية او العربية، وبذل كل ما في وسعه لاعطاء (الادارة المحلية) في المنطقة الكردية الصرفة طابعا كرديا محضا، وكان جميع موظفيه البلديين من الاكراد (وكان هو يتكلم الكردية بطلاقة) وغدا ارتداء اللباس الكردي ملزما اجباريا ٠

كانت هذه (السياسة) تفرضها اعتبارات (سياسة عليا) ترتكن الى نظرة واعية تتصل بالتزاماتنا، بموجب المادة ٢٢ من (ميثاق عصبة الامم)، وقد اصابت نجاحا كليا ٠وفي خلال الاشهر العواصف من سنة ١٩٢٠ ،حين كانت القبائل المجاورة موارة ثائرة، بقيت كردستان الجنوبية مسالمة ،وذلك على الرغم من انها كانت، لحين من زمان، في معزل، تعدم اية حامية بريطانية ٠

---

١٠ ـ ومن عجائب مايروى عنه ،انه أمر بأن يقف له كل شخص ان مر به : وكان احد ارباب الدكاكين ، ذات مرة ، يقرأ في القرآن الكريم حين مر به راكبا يشمخ كبرا ، على الانام وزهوا ، فلم يقف له وداب على التلاوة ٠ فما كان منه الا ان يأمر مرافقه بأن يسأل الرجل : لم لم تقف والله يأمركم في (القرآن) : اطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم ٠ الست أنا ولي أمركم ؟ فاجابه الرجل اللبق بسرعة ، ولكنك لست منا فلا طاعة لك علينا ٠ فأسرها في نفسه وهو المغلوب وانصرف حانقا ! (المترجم)

وفي اواخر سنة ١٩٢٠، وجدت (حكومة صاحب الجلالة البريطانية) ان من الضروري معاودة النظر في مركزها وتبعاتها في (بلاد مابين النهرين) فقررت ،باعتداد ذلك البديل الوحيد عن الجلاء، والتخلي عن (الانتداب) الذي قبلته من (عصبة الامم) - اقامة حكومة وطنية في الاراضي المنتدب عليها، بدلا من الحكومة الحالية، حكومة الضباط البريطانيين .وبعد ان حكمت لاشهر قليلة (حكومة موقتة) يضطلع بها (مجلس وزراء) يضم كرديا - روعي ان قيام ملكية دستورية هو افضل طراز من طرز الحكومة المستدامة للدولة الحديثة .

ومن بين مرشحين عديدين اقترحت اسماؤهم، قدم فيصل بن الشريف حسين، ملك الحجاز في ذلكم الاوان ،نفسه ،ورضي به ملكا .وبالتغير الذي طرأ على الحكومة المركزية سرعان ما تجلى ان الحكم القائم في لواء السليمانية - اي : حكم (حاكم سياسي بريطاني)، - وهو في هذه الحال حكم (سون) الشخصي- خاصة ، ولاسبيل الى استبداله بحكم غيره - يجب ان يخلي السبيل الى ما هو اكثر انطباقا على حال الدولة الجديدة. واصبحت المشكلة، تدريجا، اشد الحافا ،ذلك ان وجهة نظرنا الى القضية الكردية، عمومها، اشاعت في (حكومة الملك فيصل) اعتقادا معاندا مفاده : اننا حين نشجع خلق حكومة مستقلة عاصمتها بغداد، من جهة، نقوم بمناورة تنصب على الحصول على مركز يمكننا من اصطناع الاكراد ضد العرب، عندما تكون الآمال المتجهة تلقاء (الاستقلال) افصح، بالنسبة الى ماتيسره الحال لنا، من جهة اخرى ، وعلى ذلك لامعدى عن ان يذهب حكم (سون) الباسل (كذا : المترجم)، وفي غمرة الخفض العام الذي جرى في عدة الموظفين البريطانيين ،وجاء في اعقاب حل (جهاز الادارة البريطانية في العراق) كان هو احد الذين استغني عن خدماتهم .وعلى الرغم من ان السياسة التي اخذت بها الحكومة العراقية بشأن كردستان الجنوبية ،في ضوء المشورة البريطانية، كانت

سياسة «دمج» بالعراق لا «امتصاص»، فلا تزال المشكلة الكردية قائمة »[١١]«
ومما يبعث الحمد والشكران، على كل حال، ان يلحظ ان تقرير لجنة التحري التي اوفدتها (عصبة الامم)، بشأن قضية الحدود التركية-العراقية، الصادر في ايلول سنة ١٩٢٥، يؤيد ،على الوجه الوافي، سياسة (سون) العاطفة بشأن الامور الكردية اذ انه يضع شرطا لديمومة الاقاليم المتدب عليها في حدودها القائمة، وذلك بوجوب تعليم اللغة الكردية في المناطق الكردية، وان تكون وساطة التعليم فيها •

فان كنا في وضع يمكننا من تنفيذ هذا المطلب فمردّ ذلك الى جهود (سون) اللغوية المختلفة، والى الحافز الذي حفز به دراسة الكردية بين الاكراد انفسهم •ذلك ان مما يجب ان يتذكر هو ان الاتراك بذلوا افضل ما في وسعهم في سبيل الاجهاز على اللسان الكردي، واننا عندما جئنا ،اول مرة، واتصلنا بالاكراد لم تكن الكردية لتكتب الا على الندرى• وعندما عاد الى انكلترة ،في سنة ١٩٢١ وعلى الرغم من ان داءه الذي لم يفارقه ابدا، رجع ليؤكد ايده القديم كرة اخرى، لكنه دأب ،حتى النهاية، عاملا على جمع مواد المعجم الكردي وعلى دراسة لغوية تامة متصلة بالكردية ،هذا وان (المسوّدة) تستقر في (مدرسة الدراسات الشرقية في فنسبرى سركس :
School of Oriental Studies at Finsburry Circus.
والأمل ان ينشر قبل ان يمضي زمان مديد• وعلى وفق اوامر الطبيب ابحر الى (بيزونه)، في تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ ،لكنه كان مريضا الى حد ان ينصح بالعودة الى لندن لاستشارة اختصاصي• لكنه لم يصل وطنه، اذ قضى نحبه في البحر باليوم الـ ٢٤ من شباط سنة ١٩٢٣ •

ان تصوير شخصية سون، على الوجه الواقي الكافي، لواجب عسير •

١١- لم تعد وله الحمد والمنة اليوم ، ثمة مشكلة اعني بعد صدور بيان الـ ١١ من اذار سنة ١٩٧٠ التاريخي • (المترجم)

لقد حبته الطبيعة بقدرات طبيعة عظيمة، ذلك ان تحفظه، ولسانه الذرب ، وفقدان التسامح ، وما كان ليخفي من ذلك بالنسبة الى « الرؤساء » مهما كان مركز الواحد منهم او ارسه، كل اولئك كان يبعد عطف زملائه عنه، شأنها كشأن عطف رؤسائه سواء بسواء، ما كان من احد يقل كفاءة عنه في باب «المماطاة المسرة لشأن السخفاء»، وما كان هناك من شخص اسرع منه او ادق في اتخاذ الاجراء الناجم عن نوايا انسان وقدراته الحقة ، سواء اكان هذا الانسان شرقيا ام كان اوربيا، مزارعا كان أم سياسيا .

ومن بين (الحلقة) الصغيرة من الاصدقاء الذين اصطفاهم (سون)، لن ينجب ذكره باعتداده مهتاجا ، وان صداقته وعطفه، على كل حال ، يمكن الارتكان اليهما في اليسرى والعسرى وان الحوار معه لرائع عميق يستشف اول وهلة، وما كان، فيما يكتب او يتحدث به، الا ملقيا ضوءا جديدا ينير الموضوع، وان انغماره في عدم الاكتراث ، في الاحيان ، ليؤكد حماسه الصميم وكلفه الشديد بجمال (فارس) و (كردستان) الطبيعي ،وتقديره للفضائل الكامنه في الشعوب الشرقية التي حل بين ظهرانيها، وان (كتابه) لتعبير عن ذلك كله .

كان شعاره ، باعتداده اداريا في (فارس) و(كردستان) ينطوي على رعاية الفلاح والصانع، وهو ما كان يعنى به خصيصا ودواما، وذلك بصرف النظر عن اعتبارات انية كانت تقتضيها الضرورة الادارية، وبقدر تعلق الامر بمتقدمي القوم، في المدينة والريف ـ ان الناس، (حارثي التربية ومستبيتها)، هم اول من كان يعنى بهم، ان مشاعره العميقة، التي ما بعدها من عمق، هي التي عبر عنها في الـ Ecclesiastics حين قال : «انهم من الذين لايسعى اليهم للمشورة العامة، ومن لايجلسون في الاجتماعات في المكان الاسمى، ولايقتعدون مجلس القاضي، ولايفهمون عبارة الحكم،

لكنهم الذى يقومون بالحفاظ على حال العالم، وكل شـــأوهم هـــو عمـــل صنعتهـــم ٠ ٠ »

في قلوبهم وعلى السنتهم وفي صفحات هذا (الكتاب) تخليـــــد سرمدى لرجل واجه الموت على ما واجه الحياة، ولم يخفض رأســـــه بسبب سوء الطالع او المرض ، منفردا لدىّ مرتبة تنوّه بفضائل (الحكام السياسيين) الذين عملوا في فارس الجنوبية الغربية ،وقد نوه فيهـــــا بـ (مستر سون) وهذه هي عبارتهـا :

« تلك قوة شخصـية مستر سون ٠٠ فان شهدته الاسود والنمـــور عادت الى مكامنها مولية !» (كذا : المترجم)



الملحق الثالث

(المؤلف)

في سطور

(تتمة) (١) •

● قال فيه الاستاذ ف.ف. مينورسكي «٢» :

ـ ... (سون) المراقب للحياة الكردية والخير بشئونها بصدق .

ـ ... (قواعد اللغة الكردية) لـ (سون) الانكليزي صدر في سنة ١٩١٣ . ان هذا الكتاب مفيد وان شخصية (المؤلف) عجيبة جدا .

● وقال المرحوم محمد امين زكي «٣» في دراسات المؤلف :

ـ للميجر (سون) في كتابه (غرامر الكرد) تحقيقات وافية عن

---

١ ـ الى ما حررناه ، في (الجزء الاول) من (الكتاب) من معلومات تتصل بـ (المؤلف) و بـ (مؤلفه) ، نضيف معلومات أخر ، وقفنا عليها بعد ذلك اتماما للفائدة ، وجلاء لهما ، وقد اوضحنا دور (المؤلف) في ايام (الاحتلال) الذي مهدت (رحلته) القيام به على الوجه الذي يرتجيه .

٢ ـ الاكراد ـ ملاحظات وانطباعات ، ترجمة د . معروف خزنه‌دار ص ٦٨ و ٤٨ .

٣ ـ خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ج ١ ، تاليف محمد امين زكي ترجمة محمد علي عوني ص ٢٧٧ ، ص ٣١٨

اللهجات الكردية ٠

ـ ٠٠٠ وللميجر (سون) دراسات علمية قيمة عن اكراد السليمانية٠

● وذكر سي٠جي٠ ادموندس : «[٤]»

في كتابه الموسوم بـ (كرد، وترك، وعرب)

هذا الحادث الطريف الذي وقع بين (طاهر بك ـ رح) وبين (المؤلف) والذي يصور شك (الاول) بهوية (الثاني) على الرغم من تنكره التام ، قال :

« ٠٠٠ جاء ميجر سون الى كردستان في العراق راحلا ٠ وبعد مرور سنين عديدة، وهو على مثل هذه الحال، اتخذ سبيله الى بيت (عثمان باشا) ،والد (طاهر بك) وغدا للاخير معينا ،ولبث على مثل هذا الاستخدام ستة اشهر او سبعة٠ واطلق على نفسه اسم : (غلام حسين) ٠ كان (غلام حسين) هذا ـ وهو من لم يكن الا (ميجر سون) نفسه، يقوم بواجباته ،باعتداده معينا ،خير قيام٠ وكان طاهر بك، بسبب من خدماته الحسنة ،يعامله بابلغ احترام، ويحبه٠ وخامرت (طاهر بك) بعض الريب وكان مبعثها بعض خصائص انتهاج (غلام حسين) هذا، اذ لاحظ ان تصرفاته لاتشبه تصرفات غيره من المعينين (الخدم) ، فلقد كان مهذبا (يخاف الاثم ويخشى المعصية) واعيا ٠

وذا يوم كان (طاهر بك) ينظر في كتاب فرنسي٠ فما كان من (غلام حسين) ـ ميجر سون ـ الا ان يقول له «سيدي ،ان سيادتك، كما احسب، لتعلم الفرنسية! » اجاب طاهر بك «اجل ،اعرف منها قليلا، وانت ، الا تعرف منها شيئا؟ » اجاب : « نعم ، اذ قبل ست، او سبع، سنين كنت في فارس معينا عند رجل فرنسي فتعلمت منه قليلا

ـ ٤
G.J. Edmonds : Kurds, Turks, and Arabs, p. 150 and after

منها ٠ ،

وما ان علم (طاهر بك) ذلك الا دأب على التحدث معه بالفرنسية ، بشأن اى أمر خفي ٠ وذا يوم، بينما كانا يتحدثان، بدرت «فلتة لسان» من فم (غلام حسين) ـميجر سونـ اذ بدلا من ان يقول (نا) قال (نو : No)، وعندها اعترت (طاهر بك) حيرة، فخلص الى ان هذا الرجل الذى يسمّى (غلام حسين) انكليزى ،[ذلك ان (نو : No) هى الكلمة الانكليزية التى تقابل (نا) الكردية : (المترجم) ٠]

وقال غلام حسين : انا فداك، ما الذى تعنيه بسؤالك عن اسمي ؟انه الاسم الذى تنادينى به ٠

ـ طاهر بك : «كلا ،لقد بدلت اسمك، فانت انكليزى ٠»

ـ غلام حسين : «وكيف عرفت ذلك ؟»

ـ طاهر بك : « انه جلي من كلامك »

ـ غلام حسين : «انت على حق : اسمى (ميجر سون) ، وانا اطوف لسنوات فى العراق ، وايران ، وتركيه ٠»

وما ان علم (طاهر بك) بذلك الا طلب منه الا يمكث هناك لئلا يقع له، مع الحكومة، ما لايحمد عقباه ورحل (ميجر سون) وحرّر كتاب (رحلته) يثنى فيه على حصافة طاهر بك ومهارته كثيرا ٠

ويقول (ادموندز) فى مكان اخر من كتابه الملمع اليه :وذات مرة، سألت (عادلة خان) ان خامرتها شكوك بشأن (سون)، حين كان فى بيتها ثاويا، فقالت : «حقا، ان ابنى طاهرا جاءنى، فى يوم ما، وقال انه يشك فى ان يكون (غلام حسين) اوربيا، لكننى احبته، انه ضيفنا وعلينا الا نتدخل فيما لايعنينا» ويضيف (ادموندز) الى ذلك : قد تكون ، اولا تكون ،متعقلة فى اعقاب هذا الحادث، ومهما يكن من امر ان هذه

البيّنة من الجانب الكردي لتوطيد خصيصة (سون) في التمثيل الزائــع ،
اذ حتى بطولته المثلة بحصافة طاهر بك لاتدّعي اكثر من النفــوذ الى
(التكر) الا بعد مرور ستة اشهر او سبعة اشهر من الرفقة المستدامة .»

وبصدد موقف (المؤلف) من ثورة (الشيخ محمود الحفيد ــ رح)،
ودوره في ايامها ،ثم رحيله عن العراق، بعد ذلك ،الى غير رجعة، يقــول
(ادموندز) في (كتابه) «[5]» الملمع اليه :

« كانت ل (سون) تجربة ، من الطراز الاول ، عــن مجتمـــــع
كان يحل فيها متكرّا سنة ١٩٠٧ ، لذلك اضطلع بواجباتــه فيــه «[6]»
من غير ان تساوره اوهام بشأن (الرجل) الذي عليه التعامل معه، وسرعان
ما شعرالشيخ محمود «[7]» انه سيجرد من حقوقه وامتيازاته فلم يبدد وقتــا
ما في سبيل تنظيم ثورة شارك فيها جميع ابناء الاسرة البرزنجية ، وهـــم

---

٥ ــ المصدر السابق ص : ٣٠ و ٣١ و ٥٢

٦ ــ نقل اليها من خانقين ليكون عليها حاكما سياسيا بريطانيـــا
(المترجم)

٧ ــ الشيخ محمود الحفيــــد (البرزنجـــي) (١٨٨١ــ١٩٥٦)
طيب الله ثراه اول زعيم كردي اعلن ثورة في وجه الاستعباد البريطانـي
مطالبا بتحرير الشعب الكردي من احتلال بلاده واقامة صرح استقلالـه .
كان ذلك بعد (الحرب العالمية الاولى) اثر اذاعة (نقاط ويلسون الاربـــع
عشرة) التي قيل انها ارادت تقرير (حق المصير) للشعوب المستعبـــدة
واراد الانكليز المداهنة فاصدروا التصريح الدولي المشهور ب (تصريـــح
عيد الميلاد) في سنة ١٩٢٢ فبلغ الى الشيخ محمود ، زعيم الثورة الكردية
فانطوى التبليغ على اعتراف ضمني بزعامته وحركته التحريرية ، لكـــن
انكلترة عادت ، عندما بدلت سياستها ، فساقت على الشيخ وحكومتــه
في السليمانية فرقة كاملة بقيادة الـ (جنرال فريزر) تساندها الطائـرات
كما انها استخدمت خطة نقل القطعات بالطائرات ، لاول مرة في تاريـخ
حروبها ، الى ميدان القتال ، وقدر للقوة المتفوقة الباطلة أن تقهر ، ولـــو
الى حين ، قوة الحق الصغيرة ، وان تلقي القبض على ذلك (الزعيـــم) ذي
الذكرى العطرة . وبقية الحديث مفصل فيما يذكره (ادموندز) في اعـــلاه
(المترجم)

عديدون، ومشايعوها، وعناصر ذوات خطر من قبيلتي الـ (هماونـد) والـ (جاف)، الى جماعة من حملة البندقيات جاءت من (هموره‌مان)، عبر الحد الفارسي .واختفى السر اخفاء حسنا، وباغتت جماعات الـ (لاشـكار) السليمانية ، والصبح يتنفس بيوم الـ (٢٣ من ايار) وتلاشى المجندون الـ (ليفي) وهم نصف مدربين من الوجود، (وهم من كانوا رسميا بامـرة شقيق الحكمدار : المقدم الشيخ قادر، وليسوا بامرة مدربيهم)، وفـي غضون سويعات سيطر الشيخ محمود على (المدينة) واستحوذ على (الخزانة) وسجن الموظفين البريطاني الذين قدر لهم الوجود فيها، ورفع علما قوامه: هلال احمر على (ارضية) خضراء ، بدلا من العلم البريطاني ،على الدائـرة السياسية، ومن حسن حظ (سون) ـ اذ ما كان الشيخ محمود ليتردد فـي قتل الرجل الذي كان يعده العدو اللدود الأول ـ اذ كان رحل في اليوم الدابر الى كركوك كي يستقبل زوجه في البصرة .

وكانت ثمة حامية صغيرة من القطعات الامبراطورية مستقرة فـي كركوك ، وبانتظار تجمع قوة اكبر صدر الامر الى (الآمر) بارسال مفرزة على طول الطريق المفضي الى (جمجمال) ،لقد قلل هذا (الآمر) مـن صفات الأكراد القتالية واغفل العمل باوامر حين قرر ان يمضـي الى السليمانية قدما، تصحبه خيالة وبعض المجندين الـ (ليفي) العراقيـين والمسلحات، وناقلات من طراز (فورد) ركبت عليها رشاشات (لويس) ، وهوجم عند (مضيق طاسلوجه)، على بعد ١٢ ميلا من (البليدة)، وكان ذلك من الجهات كافة، فاضطر على الانسحاب، وعقب الاكراد القوة المنسحبة لمسافة ٢٥ ميلا واوقعوا بها خسائر فادحة، وفقدت اربع سيارات مسلحـة و١٩ من النواقل .طبيعي ان يرمي هذا الحادث التاعس في النار وقـوداء ذلك ان كثيرا ممن اختاروا اول الامر، (الجلوس على التل لانه اسلـم)، التحقوا بمحمود، وحتى القبائل القاطنه عبر الحدود خرجـت على ولاء حكومتها طالبة الانضمام الى دولة كردية تحت ظل (الشيخ) .

وتعجل، الآن، ان لاسدى عن القيام بحركة ما ، بمعيار تام، ان اريد اعادة (الوضع) الى ما كان عليه، وعهد هذا الواجب الى (اللواء سر تيودور فريزر : قائد الفرقة /١٨) التي كانت اوانئذ في الموصل ..

وكان على (سون) ان يرافق (الرتل) بوصفه ضابطا سياسيا .

ويقول (ادموندز) : « وفي (كفرى) علمت ان (يوم عيد الميلاد) «[٨]» اختير ليكون اليوم الذى يقصف فيه(محمود) ،فغادرت الى كركوك حالا، والتزمت بالمحافظة على السر، اشد التزام، وكان على الطائرات الا تعمل من كركوك ،بل من اربيل .وكان لنا «ابن ذكاء «[٩]» ممتع» كرة اخرى . وفقدت طائرتان، اذ اضطرت الاولى الى النزول خارج السليمانية نفسها، قرب (سرجنار) ... وهوت الثانية عند قدم (مضيق طاسلوجه)، على جانب السليمانية وكان على طائرة او طائرتين العودة بسبب خلل طرأ على محركيهما، وفي خاتمة المطاف لم تلق من القذائف المقرر القاؤها الا نحو نصفها، وادعى (كنكهيد) انه استطاع ان يصيب باب دار (محمود) الامامي اصابة مباشرة، . «[١٠]»

وفي اليوم الثالث من آب اعلن ان السلم قد استتب في كردستان ، وما ان استعاد (الشيخ محمود) قوته على وجه يكفي لتحمل الرهق الا حوكم بتهمة الثورة من قبل محكمة عسكرية وحكم عليه بالاعدام ثم خفف الحكم لمدة ١٠ سنوات وارسل الى الهند .

● ويقول (لونكريك) في كتابه الموسوم بـ (العراق : ١٩٠٠-١٩٥٠) «[١١]» عن (المؤلف) بعد الاحتلال البريطاني الجزئي للعراق :

---

٨ - اى في يوم ولادة (نبي المحبة والسلام) ، فتأمل ، رعاك الله وهذا هو (الاستعباد) على حقيقة . (المترجم)

٩ - اى : الصحيح ، وذكاء هي الشمس وهو تعبير عربي جميل

١٠ - ص ٢٧٧ من المصدر المذكور

١١ - S.H. Longrigg : Iraq, 1900—1950, p. 84.

• كان بعض المقيمين الاجانب في بغداد قد رحلوا الى البصـــــرة والمحمرة، قبل اعلان الحرب، وسير الرجال من التاقله (الجاليــــــة) البريطانية، وكانت على حال سليمة تقريبا ، الى سورية حيث تدخـل في امرهم جمال باشاه والي بغداد السابق، وهو من كان يعرف جلّهم شخصيا، واستطاع انيطلق سراحهم من غير وعد صادق Parole ،ومن بينهـم كان (اى• بي• سون) وارثر نود ،وقد تمكنا من العودة الى البصــــرة عن طريق مصـــر •

ـ ويقول عنه انه ايضا «[12]» : •••• كان واقعيا مستخفا ،ناقـــدا الشيخ (يريد الشيخ محمود الحفيد رحمه الله) مزيحا الاوهام عنـــــه (كذا : المترجم)

١٢ ـ المصدر نفسه ص ١٠٤

الملحق الرابع
آراء وملاحظات
حول
(الكتاب المترجم)[1]

(١)

● في (يوميات) كتب الاستاذ عبد القادر البراك[2]، في عدد (جريدة الجمهورية) الصادر باليوم ٢-٧-١٩٧٠ ما يلي السطر :

جوائز الدولة التقديريه واثرها في تشجيع الكفاءات :اخطر رحلة الى كردستان يترجمها الاستاذ فؤاد جميل •

كان فوز العلامة عبد الرزاق السنهوري ، وعميد المسرح العربي يوسف وهبي والكاتب الروائي نجيب محفوظ بجوائز الدولة التقديرية هذا العام، موضع اغتباط كافة الاوساط العلمية والادبية التي تقدر جسامة الاثار التي خلفها كل من هؤلاء النوابغ الاعلام في حقول اختصاصهم، فان حصول كل منهم على (٢٥٠٠) جنيه، ليعتمد عليها وهو في الهزيع الاخير من مرحلة العمر، يدلل على مدى تقدير الدولة لجهود النوابغ من رعاياها واعتمادها القيام بهذا التقدير اداة تحفيز للاجيال الطالعة بان يقتدوا بذوي السابقة في الجهاد العلمي والادبي والفني لينالوا مثل ما نالوه من جوائز التقدير والتشجيع •

---

١ ــ اثار صدور (الكتاب المترجم) (آراء) و (ملاحظات) جمة آثرنا تثبيت (بعضها) ، ارادة الفائدة العامة ، وتمكينا لنا من التعليق عليها للغاية نفسها • لقد ثبتناها ، مسلسلة ، حسب تواريخ صدورها ، فكانة (كتابها) مقدرة لدينا ، على حد سواء •

٢ ــ صاحب (جريدة البلد) المحتجبة •

ان ثورة الـ ١٧ من تموز قد اصدرت قانونا بتقدير ذوى المواهب ومنحهم المكافئات المجزية ،ولكنها تسدي صنيعا جديدا انما هي خصصت جوائز ثابتة توزع كل عام على المستحقين من ذوى الكفاءة والابداع ممن يكونوا قد اضافوا اثرا جديدا، وساهموا ببناء الحضارة بالمجهود المفيد الخالد .

ليس هنالك من القراء من لايعرف مبلغ ما اسداه الباحث الثبت والمحقق المدقق الاستاذ فوءاد جميل للمكتبة العراقية بما ترجم ، وحقق، وقدم ونشر من الكتب التاريخية الخطيرة التي اصدرها كبار الشخصيات الاجنبية عن العراق، وما اعده من مباحث فوكلورية عن حياة بدو العراق وحضره تعتبر فتحا عظيما في الميدان الذي ولجه الكتاب الاجتماعيون في السنوات الاخيرة .

ولقد كان اخر ما اتحف به الاستاذ فوءاد جميل المكتبة العربية ترجمة لاخطر رحلة قام احد كبار المورخين الاعلام الراحلين الرواد والباحثين الاثبات الى.(بلاد ما بين النهرين وكردستان) ، هذه الرحلة التي وضعها المستعرق (ميجر سون) او (ميرزا غلام حسين) كما كان يسمى نفسه غداة اقامته الطويلة في كردستان منتحلا صفة المسلم الكردي والذي استطاع انيعرف عن تاريخ المواطنين الاكراد، وعن لغتهم، وعاداتهم، وشوءونهم الخاصة اكثر مما يعرفه المثقفون الاكراد بشهادة العلامة الكردي الكبير محمد امين زكي، موءلف الكتاب الشهير (تاريخ الكرد وكردستان).

ان (الجزء الاول) من هذه (الرحلة) قد تضمن معلومات خطيرة عن شمال الوطن لايبعد انتكون أسرارا مجهولةلدى القراء المعاصرين، ذلك لان كاتبها كان من ذوى الاطلاع الواسع، وقد اضاف الاستاذ فوءاد جميل بترجمته الدقيقة وتعليقاته الصيقة وتصحيحاته السديدة .وباسلوبه العالي

ثروة جديدة الى هذا الكتاب الذى مضى عليه زمن طويل، رهن النسيان، ولسوف يشعر القارئ، وهو يستغرق فى قراءة هذه (الرحلة) انه بازاء رحلة عالم غزير المعلومات، لاتفوته شاردة ولا واردة، وانها من الرحلات الممتعات ذوات الخطر، وان اسلوب كاتبها فى السرد يجعل القارئ، يكاد يشهد ما شهده ويسمع ما سمعه الامر الذى يستحق معه الاستاذ فؤاد جميل المزيد من التقدير والتبجيل •

(٢)

قصة جاسوس بريطاني في كتاب :
رحلة متنكر ...
الى بلاد ما بين النهرين وكردستان

بقلم : د . حسين أمين (١)

صدر موءخرا كتاب بعنوان (رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكردستان) وهو من تأليف (ميجر سون) وترجمة (الاستاذ فوءاد جميل) وفي هذا المقال يقوم الدكتور حسين امين بعرض ونقد الكتاب .

(الجمهورية)

كتب الرحلات ذات قيمة تاريخية كبيرة ، منها تستشف معلومات بالغة الاهمية، شاهدها ودرسها ومحصها اولئك الرحالة والجوابون وقدموها خلاصة ممتعة مفيدة .

ومن الرحلات ،ذات الاثر الخطير في معلوماتنا التأريخية، رحلة (الميجر سون) والذي لقب نفسه (ميرزا غلام حسين شيرازي)، وخطورة الكتاب واهميته تأتي من ان (الموءلف)، وهو بريطاني الأصل، كانت المناطق الشمالية التي يقطنها الاكراد مسرحا لنشاطاته السياسية. و(الموءلف) لايعدو عن كونه جاسوسا مهما من جواسيس الامبراطورية البريطانية في مطلع القرن العشرين ..

وملخص حياة (الموءلف) انه حل في بلاد فارس وعين محاسبا في (المصرف الشاهنشاهي)، سنة ١٩٠٢ ،وعاش بتقشف متعمدا في قرية (سانكي) من قرى (بوشهر) يراقب ويدرس ما حوله. وفي (شيراز) اتخذ

---

١ ـ أستاذ التاريخ بجامعة بغداد ورئيس جمعية التأريخ والاثار العراقية ابان تحرير المقال ، وقد نشر في جريدة (الجمهورية) بعددها الصادر بتاريخ ٢٥ـ٧ـ١٩٧٠ والدكتور حسين ذو موءلفات تاريخية قيمة (المترجم)

الاسلام دينا، ثم عين في (كرمنشاه) مديرا لمصرفها، وهناك اخذ يدرس اللغة الكردية واحوال الشعب الكردي، ومن ثم التحق بخدمة (شركة النفط الانكليزية ـ الفارسية)، وفي سنة ١٩١٤ اضطلع بعمليات التنقيب عن البترول في منطقة (جياسرغ) بالقرب من خانقين . وفي مطلع الحرب العالمية الأولى اسره العثمانيون ونفي الى (مرسين)، وبعد اطلاق سراحه سار الى مصر، ثم جيء به الى البصرة سنة ١٩١٦، فعمل في دائرة الاستخبارات التابعة لقوات الاحتلال البريطاني، ومحررا في صحيفتها، وفي تموز سنة ١٩١٦ ارسل الى مدينة (دزفول) كمساعد للحاكم السياسي فيها وتمكن من السيطرة على الامور هناك، وفي سنة ١٩١٧ دخلت القوات البريطانية مدينة خانقين، .[٢]، وكان (الميجر سون) حاكما سياسيا على مندلي، ونقل الى السليمانية بمنصب الحاكم السياسي عليها، وكان له الدور الكبير في قمع ثورة الزعيم الكردي العراقي الشيخ محمود الحفيد، طيب الله ثراه .

والكتاب الذي نحن في صدد الحديث عنه، الموسوم (رحلة متنكر الى بلاد مابين النهرين وكردستان) يعتبر، في الحقيقة، من المواضيع الممتعة والمعبرة عن نشاط ذلك الانسان الذي تكيف لكل الاحوال وجاري كل التقاليد والعادات وتزيا بكل الأزياء وتحمل كل المشاق من اجل خدمة الاستعمار وتحقيق اهدافه والعمل بجدية واخلاص من اجل مصلحة بريطانيا .

و (المؤلف) في (الفصل الاول) يوضح كيف نزل في استبول (القسطنطينية) وانك لتعيش مع (المؤلف) حين يتنقل بك بين فنادق و(بنسيونات)استنبول ومحاولاته الغريبة في ان يكون مقتصدا، لامبذرا، وان

---

٢ ـ نقل اليها الميجر سون باعتباره (مساعد حاكم سياسي) وله بعض الاثار العمرانية فيها . (المترجم)

يسكن البيوت العادية »[3]، وان يتعرف على احوال البلدة وسكانها بمـــا يعـــود على مهمته بالفائدة •

وفي (الفصل الثاني) بحث (المؤلف ـ الرحالة) الصعوبات التـــي جابهها اثناء سفره من القسطنطينية فقد مرت سفينته في (قبرص) و(بيروت) ثم اخذ القطار الى (بعلبك) ثم (حلب) ووصف تلك المدن وصفا جميـلا ، كما وصف عادات اهلها، ومنها امتطى جوادا الى قرية (باب)، وهي قريـة من قرى حلب، ومر بمنبج •ويستمر (المؤلف) في (فصله الثالث) فـــي تجواله بين (الفرات) و (دجلة)، وجاء في (الفصلين : الثانـي والثالـث) بمعلومات تأريخيه قديمة طيبة، وفي (الفصل الرابع) معلومات قيمة عــن (الموصل) وموقعها وعشائرها وعلاقاته مع بعض سكانها، وقد كتب في هذا (الفصل) عن (اليزيدية)، وجاء بطرف جميلة مفيدة، وهكذا فان (المؤلف)، على ما اعتقد، يبدو وفير الذكاء، حاضر البديهة، يتكيف لكل مجتمــع، اتقن اللغة الكردية وصار يحسن اداءها، كواحد من اهلها، وتظاهر انـــه يعمل تاجرا فتوغل في اسواقها وبيوتها ومجالسها الرسمية والخاصـــة • فكان له ما اراد من المعلومات والإخبار التي يعمل من اجل الحصول عليها،

ان الكتاب الذي اتحدث عنه من كتب الرحلات النفيسه، وقد كــان لاقدام الاستاذ الفاضل فؤاد جميل على دراسته وترجمته والتعليق عليه الاثر البليغ في اظهار وكشف معلومات قيمة يجهلها الكثير من المثقفين• وعندي ان الاستاذ الفاضل قد احسن صنعا في عمله هذا فقد اتحف (المكتبة العربية) بهذا الجهد العظيم •ارجو من قراء العربية الافاده من الكتاب بمطالعـــته ودراسته• كما ارجو للمترجم كل نجاح وتوفيق •

٣ ـ احكاما لتنكره وابعادا للشبهات عنه بطبيعة الحال ، سيما وان استنبول كانت تحفل عهد ذاك بجواسيس السلطان العثماني وحكومته •. (المترجم)

(٣)

الكتب .. وثمرة القرائح

رحلة متنكر ...
الى بلاد ما بين النهرين وكردستان
للميجر سون ترجمة فؤاد جميل

بقلم : صفاءخلوصي «١»

ولعي بكتب الرحلات لاينتهي ، فاما ان ادوّن (رحلة) قمت بها في الغابرات من الايام ، او ان اقرأ كتاب رحلة ، قام بها سواي في اشـــهر الصيف حيث تحلو ممارسة هذه الهواية .

ولقد اتفق لي في (الشهرين الاخيرين) ان قرأت (رحلتيـــــن) احداهما : (رحلة ابي طالب خان الى اوربة) ترجمة العلامة المرحـــوم الدكتور مصطفى جواد ، والاخرى «رحلة متنكر» الى بلاد ما بين النهرين وكردستان» للميجر سون ، الذي كان يعرف بـ «ميرزا غلام حســين شيرازي» ، ترجمة الاديب الباحث الاستاذ فؤاد جميل ، ولقد اسفـــت عندما وصلت الى الفقرة الختامية من (رحلة ابي طالب خان) لانني لـم ارد ان افارق (الرحالة) ، فلقد كانت رحلته ممتعة ، وكذلك هو شأنــي عند الفراغ من كل رحلة من هذا الطراز ، ولكن اسفي لـــم يطـل اذ سرعان ما تلقفت (رحلة الميجر سون) وشعرت بانها تكملة وامتـــداد لرحلة (ابي طالب خان) من حيث المواقع الجغرافية بين (الرحلتين) ، ومن حيث الاسلوب (المصطفى جوادي) ـ اذا صح النحت ، فالحق ان الاستاذ

---

١ ـ الدكتور صفاء خلوصي استاذ الادب العربي بكلية الاداب بجامعة بغداد ، وصاحب المؤلفات الادبية النفيسة والتحقيقات القيمة .

ونشر المقال في عدد (التآخي) الصادر بيوم الاثنين ٥ـ١٠ـ١٩٧٠
(ف.ج)

فوءاد جميل متأثر الى حد بعيد باسلوب العلامة الراحل ، وقد لمحت ذلك في اكثر من موطن (*) .

وليس كتاب (الميجر سون) ككتاب (ابى طالب خان) ، فبقدر ما نجد الملامح الشعرية والادبية الحقيقة طاغية على (الرحالة الفارسي) نجد العمق التأريخي والاطلاع الثقافي الواسع هو الغالب على (الرحالة الانكليزي) والحق انه يفرقنا ، احيانا ، بمعلوماته التأريخية عن (الحيثين) و (غير الحيثين)، بحيث يجعلنا ننسى (الرحلة) ومعالمها لفترة من الزمن .

وقد جعلها واقعية بكل معاني الكلمة حتى انه لم يتردد من ذكر بعض عبارات السباب والشتائم التى جرت على السنة بعض الحجاج الايرانيين (ص ٤٠) ، غير انني لاحظت ، خلال الرحلة انه يكثر من التركيز حول نفسه ويوءكد براعته في اللغة الفارسية بحيث ان لهجته لاتكاد تتميز عن لهجة اهل فارس الاصليين ، وانه كان متقنا (تنكرم) الى حد انه لم يشتبه به احد .

لقد قام بالرحلة خلال سنتي ١٩٠٧ و١٩٠٩، فهي بالبداهة قبل اكثر من ستين سنة ولها اهميتها فيما يتعلق بتأريخنا المعاصر ، ولا اعني اننا ينبغي ان نستمد عناصر هذه (الحقبة) منها وحدها ، انما اعني ان تأريخنا يجب الا يكتب من وجهة نظر محلية ، وحسب ، بل علينا ان نجعل المصادر الاجنبية مع المصادر المحلية ، عند كتابة مثل هذا التاريخ . وابرز (الرحالة) في (كتابه) كثيرا من خصائص الشعب الكردي ، فهو شعب مضياف سمح ، فقد ذبح الاكراد له ، عند اول لقاء لهم به ــ افضل دجاجة لديهم ... وجيء بعدد من البيض يكفي عشرة من الرجال

(*) هذا حق، اذ بمن يتأثر (التلميذ)، ابغير (استاذه) ؟! اولا ثم ابان زمالته لاستاذه في (التدريس الجامعي) ثانيا لمشاركته اياه في أخراج كتاب (بغداد مدينة السلام) اخيرا ، هذا هو شأني مع استاذي (الدكتور مصطفى جواد) طيب الله ثراه وعطر ذكراه الخالدة (ف.ج) .

عدا (ص ٦٠) • والاكراد ـ كشعب ـ ذوو فطنة مازحون يحبون النكتة ويكلفون بالفكاهات الحقه حبا جما (ص ٦١) • ويقول عنهم : « انهم طلائع شعب عظيم يشغل رقعة من الارض مساحتها ١٢٥،٠٠٠ من الاميال المربعه الجبليه (ص ٦٢) •

ويتعرّض لذكر الصراع بين الاكراد والرومان ، وذلك عندما يتعرّض لذكر تأريخ اديسا ـ او اورفه ص ٧٠ ـ وكان بودى لو ان (المترجم الفاضل) سماها (الرها) ـ فهو اسمها العربي العريق المعروف في التأريخ• «*»

ويبدو لي ان (الكتاب) ، خلافا لما الفناه في معظم كتب (السياحات)، مرجع علمي مهم ،فهو يوضّح مثلا اسم (دجلة) ـ قد تطور من لفظة (تيكرى) ـ او السهم ـ الميدية ـ اى الكردية القديمة ـ وان اراضي ميديا قد احتلها الميديون ،منذ وطئتها قدم اول آري جاء من اسيا الوسطى منجها صوب الغرب (ص ٧٦) •

وباعتقادى ان مثل هذا (الكتاب) يجب ان يقرأه كل عربي وكردى بامعان وتبصّر لانه يخلق روح التقدير المتبادل لكلا الشعبين المتآخين ، فانت تبين الشيء الكثير من مزايا وفضائل الشعب الكردى بعد ان نفرغ من قراءة هذا الكتاب الذى اجيدت ترجمته غاية الاجادة على يد كاتب قدير ومترجم بارع هو الاستاذ فؤاد جميل •

والى ذلك كله فان صفحات (الكتاب) تتخللها نظرات فلسفيه ونفحات صوفيه، على نحو ما نجد في ص ٩٤ و٩٥، ولم يفقد

(*) وردت في (الكتاب الاصل) بصيغة اديسا ، وهي (اورفه) ، ونسترجع ان اسمها عربي الاصل اعنى «معلم الحد بين ارضين» وهي (الرها) على ما تفضل به الزميل الدكتور صفاء خلوصي مشكورا (ف٠ج)

(المؤلف) لحظة واحدة قدرته التعبيرية الدقيقة ، خلال النيف والثلثمائة صفحة من هذا (الجزء) ، فهو كاتب واقعي الى اقصى حدود الواقعيــــة وقصاص تصويري يذكرنا بالمدرسة التصويرية في فرانسة، تلك التـــي ما كانت تغادر صغيرة ولا كبيرة الا وذكرتها في ثنايا القصة •

اصغ اليه ، وهو يصف رفيقه في الطوف (الكلك) ـ وهما ينحدران على دجلة صوب الموصل : وان الرجل العجوز يتكلم ولكن عينيـــــه الزرقاوين كانتا تخبوان وصوته يهتز وهو يتكلم ••• وحقا ان ثمـــــة شذوذا في هذا العالــــم •

والكتاب ، بعد ، مثير للتفكير حقا ،فقد جاءت فيه افكار جديدة لم نعثر عليها في مصادر او أمكنة أخرى من نحو تفسيره لقصة يونس ـ او ذي النون ـ فالنون في نظره يعني السمكة في اللغة الارامية ، وهـــي كذلك اصل لاسم (نينوى) الذي اشتق من (نونو) ، فالسمكة التـــي ابتلعت (ذا النون) هي نينوى ، بكل ما فيها مـن مساوىء واخـــــطار (ص ٢٢٢)ـ وربّما كانت (نينوى) في الاصل مبنية بهيئة سمكة فمنحت هذا (الاسم) •

وقد صحح (المترجم) اخطاء (المؤلف) في مواطن عديدة وذلــك

في حواش مركزة دقيقة ، واود ان اضيف هنا تصويبا ربما سقط من الطبع او فات (المترجم الفاضل) الاشارة اليه وذلك في الصفحة ١٥٤ حيث يقول (المؤلف) ـ والاشارة الى التون كوبرى ـ وهــــي احــــدى المستوطنات التي نجمت اصلا في ايام السلاطين السلاجقة في القــرون الوسطى ـ والحقيقة انها احدى المستوطنات التي انشأها السلطان مـراد الرابع في صراعه مع الايرانيين فجعلها نقطة في خط دفاعه الممتد الـــى خانقين ، من جهة والى تلعفر ، من جهة اخرى •

وراعى المترجم الفاضل نقاء اللغة وزيّن ثنايا الكلام بابيات مناسبة من الشعر العربى ، كما انه لم يتردد من اصطناع العامى الفصيح ، او حتى العامى الدارج من نحو كلمة جايخانه ـ اقتداء بامام من ائمة العربيه هو الجاحظ (*) ، لذلك اعتقد ان هذا سبب من اهم اسباب رواج كتب الاستاذ فؤاد جميل فضلا عن كونه يختار موضوعات قريبه من نفوس ابناء الشعب ولصيقة بهم وبحياتهم •

فتهنئة للاخ الصديق على ترجمته الجديدة والف تحية للقادمات من ترجماته التى يعكف عليها فى منزله ، وكانه راهب من رهبان العلم فى عصر الاسلام الذهبى •

بغداد ـ صفاء خلوصى

(*) فى استعمالنا العامى ـ الفصيح بعض ما يزيل عن نفوس السواد الاعظم من الشعب الشعور الخاطىء القائل بان لغته فاسدة كلها ، وفيه محاولة لرد العامية الى الفصحى وقد ثبتنا بعض الكلمات العامية ـ الدارجة من امثال (جايخانة) لان (المؤلف) يوردها بهذه الصيغة فى (الكتاب الاصل) وقد وضعناها لذلك بين (عضادتين) ، كما استعملنا ، فى غير موضع من الكتاب ، (المقهاة) و (المقهى) و (وبيت القهوة) • (ف•ج)

(٤)

مـلاحظات

عـــلى

كتاب(رحلة متنكر الى بلاد مابين النهرين وكردستان)

تاليف : ميجر سون   ترجمة : فؤاد جميل

بقلم : على التلعفرى ●

على الرغم من انسياق السياح والرحالة الاجانب وراء الاطمـــاع الاستعمارية فى مدوّناتهم عن العراق ، لكنها تكتسب اهمية كبيــرة ، لا بسبب تعدّدها الى ما يربو المئات ، وتنوع مضامينها حتى تشمل اكثر مناحي الحياة ، لفترة من فترات تأريخ بلادنا تكاد تكون وقائعها واحداثها فـــى طي المجاهيل الحالكة، من هنا، ومن اجل وضع تلك المجاهيل تحـــــت مدّيات الاضواء الساطعة يصبح الاهتمام، بنقل تلك المدّونات الى اللغـــة العربية لتعم فائدتها اكبر عدد ممكن من القراء ، امرا ذابال .

ومن هنا تأتى اهمية عمل اولئك الذين جعلوا من نشاطهم الفكرى والثقافي ميدانا للترجمة كذلك . ولعلّ الاستاذ فوءاد جميل ، لما لـــه من ايد فى الترجمه الى العربية يأتى فى مقدمة هوءلاء . اذ بدأ اسمه فى الآونه الاخيرة يقفز من بين العديد فى التآليف الاجنبية . المترجمة والتى كان آخرها كتاب (رحلة متكر الى بلاد ما بين النهريـــــن وكردستان) الذى خلفه لنا الميجر سون موعلى غلافه ما ينبيء بان يــراع (الاستاذ جميل) قد خط ترجمته المطبوعة قبل ايام .

● نشر فى جريدة التآخي بعددها الصادر باليوم ١٨-١٠-٧٠ (ف.ج)

ومهما بذلنا من جهد فائق في سبيل تعريف هذا (الكتاب) بصفحاته ٣٤٥ ، فان القلم لن ينوشه من كل جانب ، لهذا نتركه الى القـــــراء ليسبروا غوره بانفسهم ، مذكرين اياهم بتلقي هذه الترجمة العنايـــــة المطلوبة من لدن (خبير) تمرّس في مهنته فاجادها بل واخرجها بهـــذا الثوب القشيب ، بعد ان ضمنها ما اتحفتنا به قريحته من محسنات اللغـــة العربية ومصطلحاتها التي تنفذ في الصميم وتفي بالمراد • وهو في كـــل هذا اتعب نفسه في استعمال الكلمات العربية كما هي منذ ان كانت لفظة في الافواه او منذ ان رتبت وفق القواعد والأساليب النحوية • وعلى هـــــذا الاساس يجد القارىء في هذا (الكتاب) الاستعمالات الصحيحة لكثير من الكلمات والعبارات التي لم تسلم عند الاخرين من التحريف ، فـــي كثير من الاحيان• وربما يجد هذا المنحى اصوله في علاقة (المترجـم) بالدكتور مصطفى جواد والتي ابرزت (نتاجهما المشترك) ونعني بـــــه ترجمتها لكتاب (بغداد ، مدينة السلام ـ لمؤلفه ريجارد كوك) • وفـوق هذا وذاك لقد سكب (المترجم) الكتاب بقالب من الصياغة البليغـــــة والتعابير الدقيقة التي يجد الكثير منها رسيسها في ثنايا الآيات القرآنيـــه الكريمه مما يدل على طول باع (المترجم) وكثرة بضاعته في حقـــــول قواعد اللغة العربية ومشتقاتها وادبها واصولها •

والكتاب ، بعد هذا ، وكأي عمل بشري ـ تعتوره بعض الهفـوات سواء من حيث (مضمونه) او من حيث (ترجمته) فمن حيث (المضمون) ،

وباعتبار المؤلف قد اوفد في واجب سري خطير يتصل بالامبراطورية البريطانية ، بلاده (ص ٦) فان انحصاره في نطاق هذا (الواجب) فقط ، بعيدا عن الحيدة وموجبات التمييز بين (الغث) و (السمين) وبين (الخطأ) و(الصواب) جعله فريسة مثل هذه الهفوات التي لاتغتفر .. وقد كفانا (الاستاذ المترجم) مشكورا عناء الرد والتصحيح فيما اثبت في الهوامش – شروحا وتعليقات وتصويبات واستدراكات – ارادة الفائدة واغناء معلومات القارىء الكريم ص ٨ .

واما من حيث الترجمة ، فلا معدى عن تبيان الملاحظات التالية : فسّر المترجم ، في الصفحة ١٦ ،كلمة الطربوش بكلمة (فيز) «[1]» ثم اعاد نفس هذا الكلام في الصفحات : ٢٩ ، ٣٣ ، ١٧٤ ، و٢٥٢ ،هكذا بالزاي ، لابالسين ، في حين ان الكلمة الشائعة هي بالسين ،ومن الممكن الاستدلال هنا بما كتبه الباحث الفولكلوري الاستاذ عزيز جاسم الحجية في (مجلة التراث الشعبي – العدد الرابع كانون الاول ١٩٦٩) – وخاصة ان كلمة فيس – قيلت نسبة الى مدينة فاس المغربية . ثم ان اللون المعروف – فيس رنكي – الشائع ايضا ربما يفسر اصل هذه الكلمة وهل هي بالزاي ام بالسين ، وفوق هذا وذاك وعملا بالخطأ الشائع خير من صحيح ضائع «[2]» ،لايساورنا الشك بان ذكر كلمة (فيس) بالسين اصوب

---

١ – ان (فيز) وردت في (الكتاب الاصل) Fez اما في (الكتاب المترجم) فثبتناها على وفق ذلك، وذكرنا المصطلح المعرب لـ (طربوش) وهو من (سر) و (بوش) اي غطاء الرأس وفي امكنة اخرى من (الكتاب) – على ما يلحظ القارىء الكريم – ذكرنا (الفينة)، الكلمة المستعملة في العراق وبينا ان بعضهم يرجعها الى (فينا) ، عاصمة النمسا ، اذ قيل انها كانت تستورد منها ،على وجه رئيس مخصوص، كما اشرنا الى (فيس) ايضا في (الجزء الثاني) استدراكا . (ف٠ج)

٢ – يقول عميد الادب العربي : الدكتور طه حسين : ان هذا الرأي آثم ! ونحن مع الدكتور ، فان كان ثمة صحيح مهجور يدل بدقة على معنى

من ذكرها بالزاي حتى اذ كان هذا الـ «زاي» ـ هو الاساس «ثم لـــو كان لدى (المترجم) تخريج اخر غير هذا لاستوجب اطلاع القـــاريء عليه ليقف على حقيقه هذه الصيغة الجديدة ٠

واعتبارا من (المقدمه) وفي اكثر الكتاب عمد المترجم الى تضميـن النص المترجم ابياتا من الشعر وكلمات مأثورة او امثالا سائرة يقتضيهـا السياق ـ لكي يقرأ الكتاب فيغير سأمة ولا ملالة ص٧ «وهذه الطريقـة لافقط «[٣]» (كذا : المترجم) تخرج القاريء منصميم الموضوع بل يحدث

معين فلا بد من الرجوع اليه واستعماله كي يكون مانوسا ، سيمـــــا ان كان اللفظ حلو الجرس ٠ (ف٠ج)

٣ ـ كذا : ليسمح الاخ الفاضل ان قلت: الصواب : وهذه الطريقة لا تخرج القاريء من صميم الموضوع ، حسب، اذ تستعمل (فقط) ، عنـــد الفصحاء مع العـــدد ٠

لقد بينت في (المقدمة) وفي مواضع شتى من (حواشي الكتاب) هد: الذي ارمي اليه من وراء (التضمين) ، وقد غدا في الصميم من اسلوبـــي الخاص في الترجمة ، ولكل اسلوبه ، «والاسلوب هو الرجل» على مايقول : بوفون ٠ لقد اكاد الاخ التلعفري ذكر ما بينته في تعليل التضمين واعنـــي به(كي يقرأ الكتاب المترجم في غير سأمة ولاملالة ص٧)، وما دام التضمين لايخرج (النص المترجم) عن المعنى الاصل ويقتضيه (السياق) ويزيـــد المعنى جلاء والمبنى اشراقا فهو ـ في نظري ـ خير كله ولست في ذلـــك بمبتدع ، ولست، بطبيعة الحال بمتبع، فالترجمة عندي فن خلاق أصيل ولكني اذكر ، على سبيل المثال لا الحصر ، المترجم العربي البارع : عادل زعيتر، وكتابه المترجم (روح التربية)، تاليف الدكتور غوستاف لوبون، واورد من تضميناته هذا التضمين الجميل الذي اقتضاه السياق وزاد في المعنى والمبنى كثيرا من الاشراق :

«والبيئة من اقوى العوامل في التربية الخلقية ، فما توجيه البيئةمن التلقين فذو اثر بعيد في تربية التلميذ لما فيه من ميل لاشعوري الى التقليد تجمشديد القوة بسبب هذا الميل ، والتلميذ تكون مبادئه الغريزية وينشأ مثله الاعلى وفق سير من يحيط به ، وفي هذا مصداق لمثلنا البالغ وهو :

«عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي»

ص ٣٣٩ منالكتاب المذكور٠ وغوستاف لوبون لم يستشهد بالبيت، طبعا٠

«⁴» فراغا ملحوظا حين الاقتباس وخاصة اثناء وقوع هذه الاضافات بين عبارات متكاملات، (المعنى والمبنى)» فلتصور بيتين من الشعر ـ كما جرى ـ ضمن جملة ذات مدلول مترابط نريد اقتباسه ،الا يسبّب الاقتباس مع الشعر تضخيما لامبرر له ، او يسبب تقسيم الجملة الى قسمين منفصلين بسبب ترك الشعر جانباء فراغا بينا . نستخلص من هذا بان هذه الاضافات تكون عبثا ثقيلا على القارىء وعلى النص معا وهي بالتالي تخرج عن الاخير اي عن النص بعكس مايعتقده المترجم . (كـــذا ! : المترجـــم) .

وعلى غرار هذه الطريقة اكثر المترجم من ذكر كلمة (كذا)، وذلك حين عدم ارتياحه من فكرة او رأي طرحه الكتاب . . «⁵».

وهذا هو ديدنه في كل ما ترجمه ـ ولو كان هذا الـ (كذا) خارج المتن لاصبح مستحباء وربما واجبا ،لاغنى عنه، ولكنه وقد استقر في المتن فقد سبب له في العديد من الاحايين التباساء كانت النتيجة اخراج

بقي (الاحتكام) الى جمهرة قراء (الكتاب) بقدر تعلق الامر بهـــذا (لاسلوب) فحكمهم هو (الفصل) ، وقد وقفت عليه اذ نفد (الكتاب) ولا فخر في اشهر معدودات ، على ما هو شائع معروف (ف٠ج)

٤ ـ الراجح انه خطا مطبعي فالصواب : (تحدث)

٥ ـ اقولها ثانية : لست بمبتدع في هذا ، ولست بمتبع ، وانما هي الضرورة الملجئة الى استعمال (كذا : المترجم) ، عندما اشعر ، وانا انقل عن (المؤلف) نصا يخالف الحق ، او يتعارض مع معتقدي ، ومعتقد (القارىء الكريم) فالاخير وهو يستغرق في قراءة الكتاب تفجاه (عبارات) تنطوي على ماذكرت ، فهذه الـ (كذا) اولا تزيل سورة الغضب منه، وتنبيهه الى انها (للموءلف) لا (للمترجم) وتمهد للتصويب والاستدراك والتعليق. واود أن ابين ان هذا هو الاسلوب المتبع لدى كبار الموءلفين والمترجمين العالميين ولا أدل على ذلك من ذيوع الكلمة الدالة على (كذا !) اعني Sic ردى (لاطينية الاصل) في اللغى الاوربية الحديثة كلها .. وهي تستعمل في (المتن) وفي (التعليق) على وفق الحاجة المذكورة (ف٠ج)

هذا ال (كذا) من دائرة المستحبات فضلا عن دائرة الواجبات. وهذا يعني بان تخليص النص من هذا ال (كذا) امر مرغوب فيه، ولا ضير من ايراده في الهوامش في حالة الضرورة القصوى فقط (كذا ! والصواب عند الفصحاء ، حسب لا (فقط) ، المترجم ٠)

وفي صفحات عديدة وفي كثير من المرات، وبعد تكلف ظاهر استخدم المترجم كلمات بعيدة عن الاذهان ثقيلة "[6]" (كذا ! : المترجم) ،

---

٦ ـ قد يكون هذا صحيحا بالنسبة الى من لم يتفقه في لغتنا العربية الكريمة الفنية التي تدل كل كلمة فيها على معنى دقيق خاص به ، ولست بمبتدع في احياء الكلمات غير المأنوسة ، لدى من لغتهم العربية ضعيفة ، وليس الاخ (التلعفري) ، على ما احسب ، احدهم ، أن في (القرآن الكريم)، وهو لايفلد ولايعاب. اسوتي الحسنة ، ألم ترد فيه كلمات غير مأنوسة، بالنسبة للسواد الاعظم من قرائه اليوم ، من امثال: (عتل) و(الحاقة) و(ضيزى) و(طحاها) و(دساها) و(تجاجيا) و(قنوان) وغيرها كثير يجدها المستقصي في هذا الذي ألفه بعضهم في (غريب القرآن) على حين تعتد المفردات القرآنية الدراري المتألقة في سماء الاعجاز، والقرآن هو كلام الله المعجز، والاعجاز اعلى درجة في سلم البلاغة. فهل يعني جهل الضعفة بمعاني هذه المفردات الشريفة أنها ليست في القمة من الفصاحة ؟! لقد جاءت شبهة الغرابة فيها من هجر استعمال الكتاب، غير البلغاء ،اياها، هذا ولئن خفاء معنى اللفظ على فرد لايستلزم خفاءه على غيره من اوساط الناس، بله علمائهم. اننا نلتزم بالترجمة الادبية، ولسنا فيها بمتبعين ولسنا بمبتدعين فليقرأ (الاخ التلعفري) ترجمات المرجوة لهم الرحمة : (المنفلوطي) و(الزيات) و (مصطفى جواد) ـ في اخر رحلة مترجمة له اعني (رحلة ابو طالب) فسيجد فيها من امثال المفردات (الرميس) واليحموم ـ وهي مفردة قرآنية شريفة ـ والذاكي والسبهللة، وهي أبعد ما تكون عما وصفها هو، هينة الفهم يسيرة. ولي هدف اخر في استعمال المفردات التي تتراءى مترادفات وهو تفادي تكرار الكلمة الدالة على معنى واحد بوجود كلمات اخرى تدل عليه ولا ضير في أن يوسع قارئ الترجمة الادبية ـ ان كان في حاجة الى ذلك ـ من حصيلته اللغوية ، بل في ذلك الخير كل الخير .كما قد تغني (سبهلله)، التي ليست في جرسها اثقل من (حوقلة)، عن ان يقال : هو رجل يذهب ويجيء في غير حاجة ، فكلمة دالة عند بلغاء العربية افضل من جملة . (ف٠ج)

قليلة التداول ، الامر الذى جعلها تتافى لا مع القراءة السريعة التى افرزها العصر الراهن كسمة مميزة بسبب كثرة المطبوعات فحسب، بل مع القراءة السريعة بتكيف الحال مع اصحاب القراءة البطيئة والقابليات الضعيفة. كما جعل الارتكان الى المعاجم اللغوية التى تجد فيها مثل هذه الكلمات مستقرّها ومستودعها ضرورة لامحيص عنها .ولا اخال المترجم الا شاعرا بهذه الحقيقة فها هو قد اشغل حيّزا لابأس به من هوامش الكتاب لتوضيح معاني بعض تلك الكلمات، وعلى سبيل المثال لا الحصر ننقل منها مع شرح مضامينها ، كما اوضحها المترجم للاطلاع نيس الا (كذا ! وعند الفصحاء : ليس غير : المترجم): الرسيس : ابتداء الشيء ،اليحموم : الدخان ، المذاكي: الخيول ، السبهلله : من يذهب ويجيء في غير حاجة ـ الصفحات ١٤ ،٦٠، ٢٦٠ على التوالي .

وثمة ظاهرة اخرى طبعت هذه الترجمة تمثلت في ايراد بعض الاسماء بصيغ متعددة او بتثبيت اكثر من رسم لكلمة واحدة. وعلى الرغم من تقارب هذه الصيغ بحيث يكاد (ينعدم) معها الفرق الا ان توحيدها بالنسبة لكل اسم لا فقط (كذا ـ المترجم) بتآلف واصول الترجمة والتدوين بل يقضى على كل لبس وغموض ،وبالتالى يصبح واجبا لاغنى للتحريرات عنه. وعلى سبيل المثال فقط نقول : لقد ذكر المترجم في الصحيفتين ـ ٥٣، ٦٦، كلمة اديسة ـ تحت هذه الصيغة ثم رجع في الصفحة الاخيرة وفي الصفحات ٦٨ و٦٩ و٧٠ و٧١ وغيرها فرسم الكلمة تحت صيغة (اديسا) بينما لو قفلنا عائدين [٧] الى كتاب الدكتور احمد سوسة (الري والحضارة في وادى الرافدين) ص ٢٩١ لوجدناه يرسم

---

٧ ـ الفصيح لو رجعنا الى (المترجم) .

هذه الكلمة على شاكلة (ايديسيا) »[8] .

كما بين المترجم في الصفحتين (٧٢ و٢٠٣) الصور التالية لكلمة الكفاروني الكفرناي ، كافاروني واخيرا وفي الصفحتين ٢٧٧ و٢٨٥ لكلمة واحدة قدم الصيغتين التاليتين (قزلرباط) (قزل رباط) ثم عاد واستخدم الصيغة الاولى من استعمالها الان . »[9]

وفي الصفحات ١٢٠ - ١٢٢ وما بعدها قرن المؤلف اسم النبي يونس (عليه السلام - المترجم) ولاشك بان الترجمة جاءت مطابقة مع النص ولكن كان الواجب يقضي بالاشارة الى ان السمكة هنا تعني الحوت الوارد ذكره في القرآن الكريم - وذا النون اذ ذهب .. اي صاحب الحوت وخاصة ان المترجم لايفتأ يهتم بالاستدلال بالايات القرآنية وحسنا يفعل .... ان قصة النبي يونس قد اقترنت عندنا باسم - الحوت - ولعل في الاغنية الشعبية التي تشير الى ابتلاع الحوت للقمر كفاية لابتلاع

---

٨ - الكلمة كما رسمها (المؤلف). في (كتابه) Edessa - يراجع الفهرست ص ٤١٣ من الاصل . وعلى ما وردت في الصفحات ٤٥، ٤٧، ٥٠ و١٤٤ .وقد وردت في كثير من الكتب العربية بصيغة (اديسة)، وقد اردنا ابتداء تثبيت الكلمات على ما رسمها (المؤلف) من غير h في الاخير ، وعلى ما وردت في المصادر العربية . ولست ادرى من اين جاء الدكتور احمد سوسة برسم (ايديسيا) ؟! وهنا يحضرني الاختلاف الواقع في رسم (سوسة) - ان كان مرده الى مدينة (سوسا - شوشان القصر) المدينة التاريخية المعروفة فهي تكتب تارة (سوسة) و(سوسا) تارة اخرى . (ف.ج)

٩ - رسمها (المؤلف) Qizil Rubat (يراجع فهرست الكتاب ص ٤١٨) وعلى ما وردت في الصفحات ١٦٩ و٢١١ و٢٧٢ و٢٩٦ ، وقد اردنا استعمال الصيغة (قزلرباط) التي هي الشائعة، ولامشاحة من استعمالها الان» - على ما يقول (الاخ التلعفري) و(القارىء) لمن قرأ الصيغتين فلا ينصرف ذهنه الى بليدتين مختلفين .

(ف.ج)

الحوت للنبي يونس من جهة وتوضح لانتشار تلك القصة في الاوساط الشعبية على هذا النسق من جهة اخرى .

واخيرا وعلى الرغم من هذه الملاحظات وعلى الرغم من الاخطاء المطبعيه التي يستوعبها مسرد الخطأ والصواب والتي نأمل من اصحاب المطابع اقلالها او ازالتها رحمة بالمؤلفين وحفظا لجهودهم المضنية نقية صافية ومنهم (المترجم) . على الرغم من كل هذا فقد اسدت هذه الترجمة كما اسدى هذا الكتاب الى المجتمع العراقي وتاريخه التليد وطلائعه المثقفة اجل الخدمات واغزرها فللمترجم الاستاذ فؤاد جميل منا خير الجزاء واجزل الشكر .

علي التلعفري

الملحق الخامس

مصادر الكتاب الاصل

ان الموءلفات المذكورة في ادناه هي المصادر الرئيسة التي صرنا اليها لمقاصد المراجعة والمقارنه

1. The Bible.
2. A Literary History of Persia, Prof. Brown, 1906.
3. A Year Among The Persians, Prof. Brown.
4. Bustan us Siaha, Haji Zainu'l Abidin Shirwani.
5. Hagaiqu't Taraiq, Haji Mirza Ma'sum Shirazi, Naibu's Sadr, Teheran, 1314 — A.H.
6. Treaties between Persia and Turkey, Aitchison.
7. Ghayyath ul Lugha. Bombay.
8. Dictionary of Islam, Hughes.
9. Athar-i-Ajam, Fursat Shirazi, Bombay. 1314 A.H.
10. Persia, Past and Present, Prof. T.W. Williams Jackson, Macmillan, 1906.
11. Nineveh and its Remains. Layard. Murray. 1850.
12. Dabstanu'l. Mazahib, A.H. 1267.
13. The Qur'an.
14. Commentary on the Qur'an. Wherry Paul Trench Trubner, 1896.
15. Sale's Quran.
16. Persia, Lord Curzon.

17. Assyria, Ragozin.

18. Parthia. Rawlinson.

19. Armenia, H.F.B. Lynch.

20. Travels in Koordstan, Frazer Bentley, 1835.

21. Residence in Koordstan, Rich, 1836.

22. Armenia, Koordstan, etc. Kinneir, 1818.

23. Wild Life Among The Koords. Millingen Hurst & Blackett, 1870.

24. Kurdstan en Mesopotamie, Binder. Paris, 1887.

25. Travels in Persia, etc. Wagner Hurst and Blackett, 1856.

26. Armenians, Koords, and Turks, Creagh. Tinsley, 1887.

27. History of Persia, Malcolm (Persian Translation).

28 Assyrian Life and History, Harkness R.T. Soc.

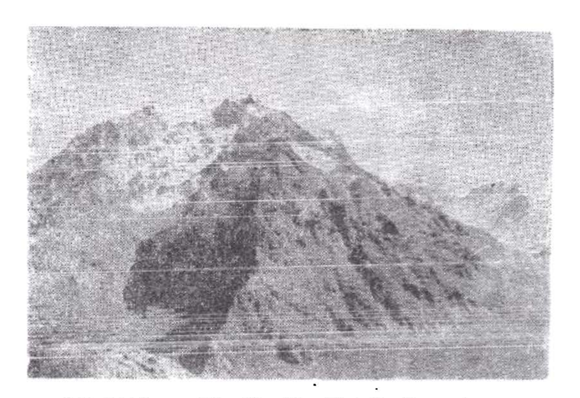
الملحق السادس

- خارطة رحلة (المؤلف)
- صور

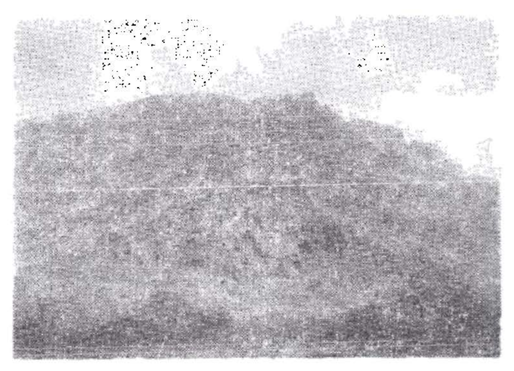
ملحوظة : ثبتنا الخارطة الواردة في (الكتاب الاصل) وما فيه من (صور) واضفنا اليها أخرى توضيحا لتعليقاتنا وما ورد في (الملاحيق) ارادة الفائدة التامة .

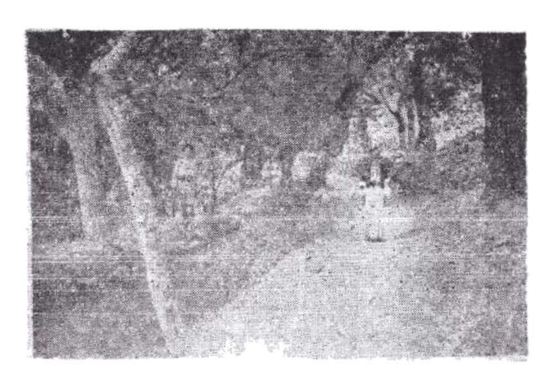


احد رؤساء قبيلة (الجاف) الكردية الرحالة ، نابهة الشأن .

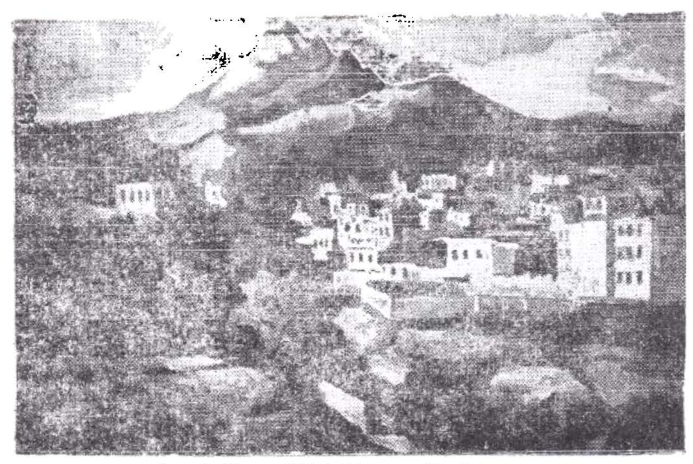


جبال كردستان الشامخة ويكلل الثلج الناصع هاماتها عاليا

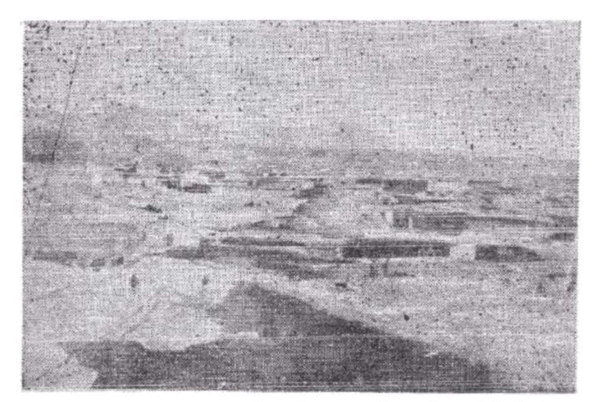




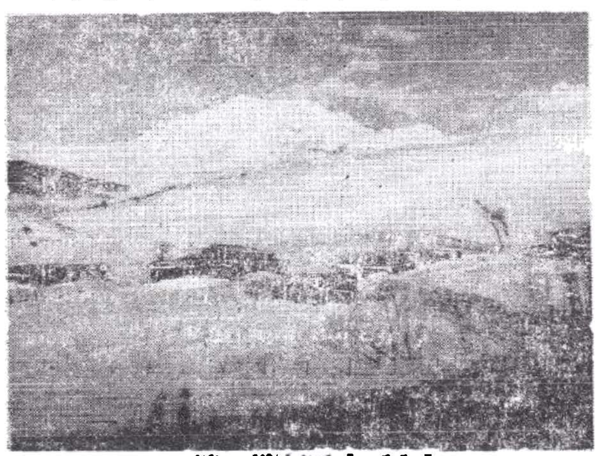
الحدود العراقية ـ الايرانيـة (بيارة)



بيره مه كرون ... يطل شامخا عـل السليمانية



السليمانية : طريق السيارات الذي شقه (المؤلف) ابان وجوده فيها باعتباره (الحاكم السياسي البريطاني) ايام الاحتلال البريطاني الزائل .



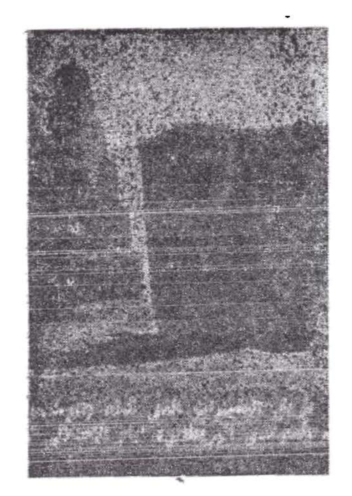
قرية كردية يكتنفها الثلج الناصع



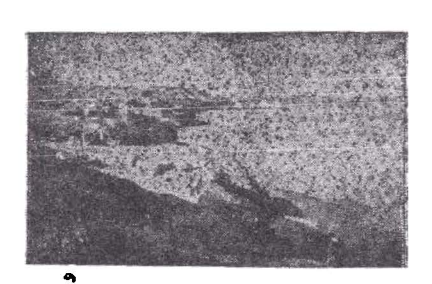
امـرأة كردية بكامل زينتها



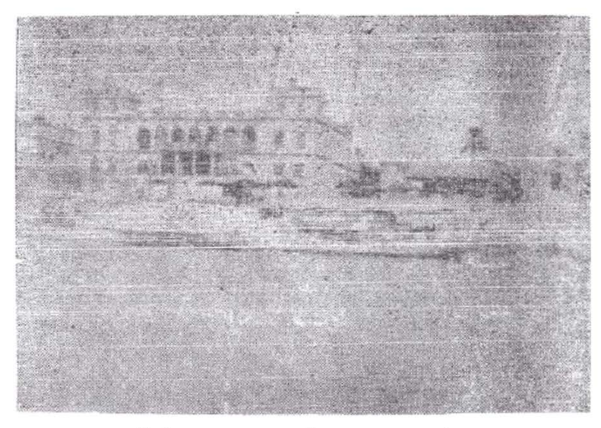
امراة كردية تختلف زينتها عن اختها الاولى



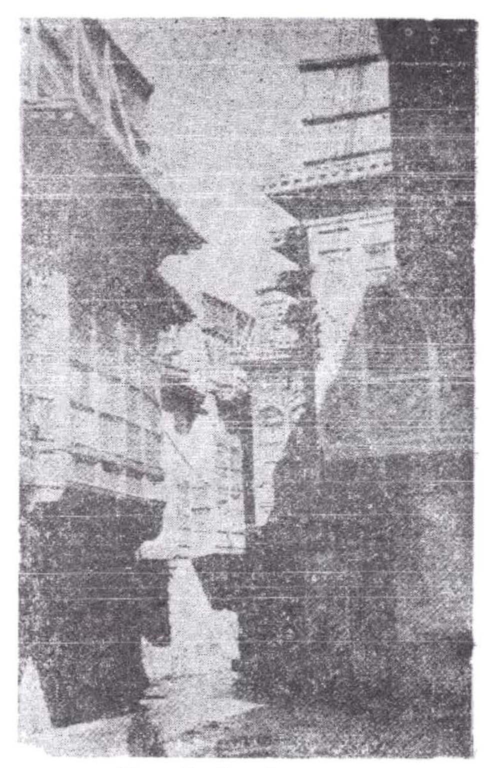
ملويـــة ســامراء



خرائب آشور ... على دجلة



دار المقيم البريطاني ببغداد ابان زيارة (المؤلف)



من دروب بغداد القديمة ودورها

فهرست

تصـويبات واستدراكات

السطر	الصحيفة	الخطأ	صوابه
٥	٢١	يواكل	يؤاكل
١٢	٢٢	ينظر	ينتظر
٦	٢٥	رامـا	ومـــا
١٧	٢٥	موجود	موجودة
٤	٣٥	مرة ومعه	مرة اخرى ومعه
١٨	٣٩	فـوق	فـوق
١	٤٦	افـول	اقول
١٠	٥٠	نعـــد	تعد
٢٤	٥٥	الكهريين	الكلهربين
١٥	٥٦	(يارة) «١٥»	(بيارة) «١٥»
٦	٥٩	فومسير	قوميسير
١١	٦٥	تكــن	تكن
٧	٧٠	الحطر	الخطر
٩	٧٠	كان	كانا
٢	٧١	تقريضاته	تقريظاته
٢١	٧٤	الحكومات الفارسية	الحكومتان ، لا الفارســية
١٨	٧٥	قارس	فارس
١٧	٨٧	يعاملو	يعاملوا
٢٢	٨٧	لنفحة	لقحة
١٥	٨٩	المتارات	المنارات
٦	٩٢	تركذها	تركناها
٤	٩٣	خفيف الرح	خفيف الريح
١٦	٩٥	جميعه	جميعـــا
١١	٩٦	احدى	احد
١٤	٩٧	لتراب	التراب
١١	٩٨	باشجاووس	باشجاووش
١٥	١٠٠	المسكعين	المتسكعين
٤	١٠٧	لمرعايا	الرعايا
٢	١٠٧	ذات	ذاهب
١٢	١١٥	اصطبل	اسطبل

١٤	١١٨	(التدل)	(التادل : غلام المتهي)
٢٤	١٢٠	مفقوعا	متقوعا
٢٤	١٢١	معددات	معدودات
٢٤	١٢٢	واننــا	وان
٤	١٢٥	الوديمة	الوديقة
٢٥	١٢٩	بمصطنع	يصطنع
١٥	١٣٢	الثوراة	التوراة
١٨	١٣٢	القرن	الفرن
١٣	١٣٤	التسماح	التسامح
١٦	١٣٤	ترايخ	تاريــخ
١٧	١٣٤	باسماء	ســماء
٥	١٣٧	ليست	لبست
١٧	١٤١	آليات	المبات
٢٧	١٤١	الحالين	الحاليين
٩	١٤٤	يكن	تكــن
٢٢	١٤٨	نمردا	تمردا
٤	١٥٠	(ديار بكز)	(ديار بكر ١٤) ويحذف «١٤» من السطر (١٥)
١٩	١٥٥	ننافس	تنافس
٢	١٦٣	تابهة	نابهة
٨	١٦٥	حقيقها	حقيقتها
١	١٨١	خسيسنة	خسيسة
٨	١٨٤	الاعتار	الاعتبار
١٨	١٩٧	يسلك	لسلك

على الرغم مما بذلناه من عناية مستأنية في مراجعة اخطاء طبع (تجــارب الطبع) ـ وبالاسف ـ لامعدى عن (مسرد) لهــا ولتصويباتها وقد تكون في (الكتاب) غيرها ، غير خافية على القارىء الكريم فمعذرة ٠

آثار (مترجم الكتاب)

المطبوعة

١ ـ (مقالات واحاديث ج ١) ط سنة ١٩٥٨ نافد

٢ ـ اصول أدارة الشرطة ـ بالاشتراك مع المرحوم اسماعيل الراشد(طبعة اولى) ١٩٥٧ نافد

٣ ـ اصول ادارة الشرطة ـ (طبعة ثانية) ١٩٥٨ نافد

٤ ـ (حضارة العالم الجديد) ـ فصول تاريخية شارك فى اعدادها ٦٠ استاذا جامعيا وعلما من الكتاب ط سنة٩٥٨ نافد

٥ ـ (فى بلاد الرافدين ـ صور وخواطر) ط سنة ١٩٦١ نافد

٦ ـ (فن الدراسة) ط فى بيروت سنة ١٩٦١ نافد

٧ ـ (بغداد ٠٠٠ مدينة السلام ج ١) بالاشتراك مع المرحوم د٠ مصطفى جواد ط سنة ١٩٦٢ نافد

٨ ـ (ثورة العراق سنة ١٩٢٠) ط بسنة ١٩٦٥ نافد

٩ ـ (رحلات الى العراق ج ١) ط ١٩٦٦ نافد

١٠ـ (بغداد ٠٠٠ مدينة السلام ج٢) بالاشتراك مع المرحوم د٠ مصطفى جواد ط سنة ١٩٦٧ نافد

١١ـ (رحلات الى العراق ج٢) ط سنة ١٩٦٨ نافد

١٢ـ (بلاد ما بين النهرين بين ولاءين ج١) ط ١٩٦٩ نافد

١٣ـ (رحلة متنكر الى بلاد مابين النهرين وكردستان ج ١) ط ١٩٧٠ نافد

١٤ـ (بلاد مابين النهرين بين ولاءين ج١ ط سنة ١٩٧١ صدر مؤخرا

١٥ـ (رحلة متنكر الى بلاد مابين النهرين وكردستان ج٢) الذى تحمله بيمينك ايها القارىء الكريم

قيد الطبع

ـــ سنتان فى كردســـتان بجزءين يصدران تباعا

رقم الايداع فى المكتبة الوطنية ببغداد (٥٢) لسنة ١٩٧٢

٩٦ انتهى الطبع فى ١٩٧٢/٢/١٠ العدد المطبوع ١٤٠٠ ٢٠



الاستاذ فؤاد جميل في سطور

ولد عام ١٩١٤ في مدينة العمارة

أكمل دراسته الابتدائية في بغداد وكان أول الناجحين في جميع مراحل دراسته

كان أول الفرع الأدبي للدراسة الثانوية سنة ١٩٣٠ في العراق فأرسلته وزارة (المعارف) الى الجامعة الأمريكية في بيروت في بعثة دراسية وحصل على شهادة ب٠ع

مارس التدريس في المدارس الثانوية بعد تخرجه

كان أول سكرتير للأذاعة اللاسلكية في العراق

تولى عدة مناصب ادارية في وزارة (المعارف) ووزارة (التموين)

زاول مهام المفتش الاخصائي في اللغة الانكليزية مدة طويلة والتدريس في جامعة بغداد

إنصرف لترجمة الكتب التي تعني بالتراث والأدب والرحلات وأخرج ١٤ كتاب ولازالت هناك ٣ كتب جاهزة للطبع ستولى أسرته طبعها بأذن الله

كان رحمه الله شعلة دائمة من النشاط والحيوية يعمل أكثر من عشر ساعات في اليوم يقضيها في الترجمة وكتابة الأحاديث للمجلات والصحف والمذياع

إنتقل الى الرفيق الأعلى في الساعة الثانية عشر ظهراً من يوم ١٩ / ١٠ / ١٩٧١ بالسكتة القلبية فأنطفأ بذلك السراج وسكت القلب الكبير الى الأبد ٠